العدد (١٧٩) ـ جمادى الأولى ١٤١٢ هـ السنة (١٥)
تشرين الثاني (نوفمبر) / كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩١م
ISSUE. (179) - 15TH YEAR - NOV/DEC. 1991

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

مصطفى صادق الرافعي — ملف خاص

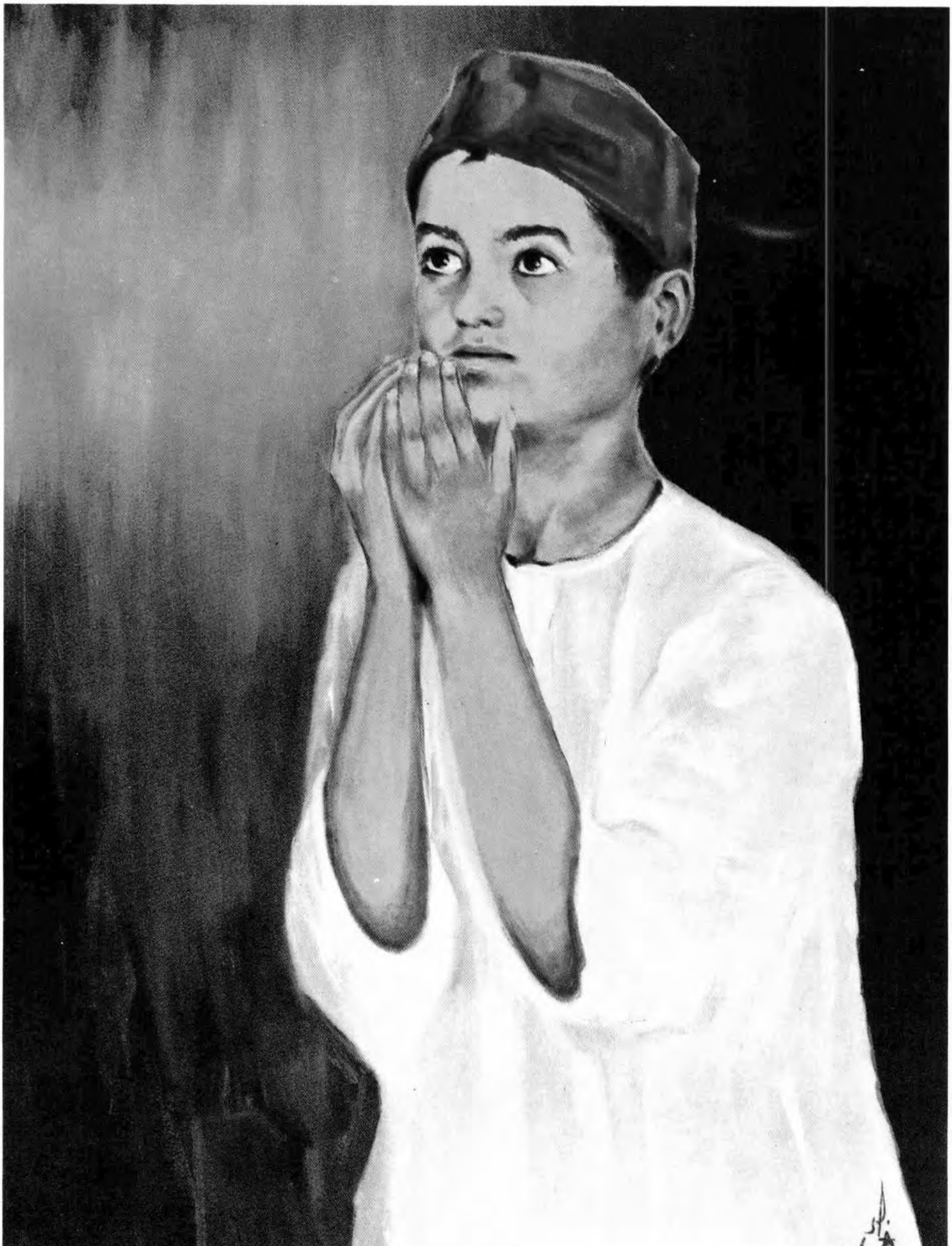
شعب يتحدى المدينة — استطلاع مصور

عالم عربي يصف أمريكا قبل اكتشافها

القلم .. وراثة وصناعة



العلوم البحرية عند العرب (ص ١٠٩)



اللهم اجمع قلوب قومي على الحق

العدد (١٧٩) جمادى الأولى ١٤١٢ هـ
السنة (١٥) - نوفمبر / ديسمبر ١٩٩١م
NO. (179)- 15TH YEAR - NOV/DEC. 1991

الفيصل

AL-FAISAL MAGAZINE

المشرف على التحرير
د. زيد بن عبد المحسن الحسين

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية
MONTHLY CULTURAL MAGAZINE • PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

الى كتابنا الكرام

١ - يرجى من كل كاتب أن تكون المادة التي يرسلها لمجلة « الفيصل » جديدة وفيها إضافة ، وأن تكون خاصة بها ، ولم يسبق نشرها في كتاب أو مجلة أو صحيفة ، أو إرسالها إلى أية جهة ناشرة .

٢ - ما تنشره المجلة من آراء الكتّاب لايعكس بالضرورة رأيها ، وإنما يتحمل مسؤوليتها الكاتب نفسه .

٣ - يرجى من الكتّاب أن تكون دراساتهم وأبحاثهم واستطلاعاتهم مدعمة بثبت المراجع والمصادر ، وفي حالة الترجمة الإشارة إلى اسم الكاتب وعنوان المادة المترجمة ومكان النشر والناشر وتاريخ النشر ورقم الطبعة .

٤ - ترجو المجلة من كتّابها أن تكون مناقشاتهم موضوعية علمية ومؤكدة بأسماء المراجع والمصادر ، وأن تكون بعيدة كل البعد عن التجريح الشخصي أو الخروج عن الموضوعية .

٥ - تسلسل نشر الموضوعات في المجلة لايعني أفضلية كاتب عن آخر ، لأن التسلسل تحكمه اعتبارات فنية .

٦ - حين ترد المجلة على كاتب ما بأن موضوعه (غير مناسب للنشر) ، فإن هذه العبارة لاتعني أنه (غير صالح للنشر) في غيرها ، وإنما تعني أنه غير مناسب للنشر في المجلة لعدم مناسبته لسياستها ومنهاجها وخططها العام .

٧ - تعترف المجلة بأن المكافأة المادية المرسلة لأي كاتب ليست مقياساً لقيمته العلمية أو لقيمة أثره المكتوب ، وإنما هي عبارة عن رمز تقدير وعرفان من المجلة لكتابها .

٨ - ما نشر أو لم ينشر من موضوعات لاتعاد لأصحابها .

ولكم الشكر سلفاً

الفيصل

● المراسـلات :
مجلة « الفيصل » ص . ب : (٣) الرياض : ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦-٤٦٥٣٠٢٧ - تلكس : ٤٠٢٦٠٠ DRFATH SJ -
فاكسملي : ٤٦٤٧٨٥١

● أسعار بيع النسخ في البلاد العربية :
المملكة العربية السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٠٠ فلس - الامارات العربية المتحدة ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٦٠٠ فلس - سلطنة عمان ٦٠٠ بسة - الأردن ٤٠٠ فلس - الجمهورية اليمنية ٦ ريالات - مصر ١٠٠ قرش - السودان ١٠٠ قرش - المغرب ٥ دراهم - تونس ٥٠٠ مليم - الجزائر ١٠ دنانير - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ١٠ ليرات - ليبيا ٨٠٠ درهم .

● أسعار الاشتراكات السنوية :
للأفراد ١٥٠ ريالاً سعودياً لغير الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعودياً
ترسل قيمة الاشتراكات باسم مجلة « الفيصل »

● الإعلانات يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة

• ALL CORRESPONDENCE TO:
AL-FAISAL MAGAZINE P.O. BOX (3) RIYADH 11411 - SAUDIA
Tel. 4653026 - 4653027, Telex: 402600 DRFATH SJ, Telefax: 4647851

• EUROPE - AMERICA - ASIA:
Norway NKR30 - Pakistan RS15 - Portugal ESQ100 - Spain PTS150 - Sweden SKR30 - Switzerland SF6 - United Kingdom £2 - U.S.A. $5 - Belgium BF200 - Denmark DKR30 - Finland FMK30 - France FF15 - F.R.G. DM10 - Greece DR200 - Italy L4000 - Netherlands DFL10
• ANNUAL SUBSCRIPTION RATES:
Personal Subscription S.R. 150 Others S.R. 250
Payable to AL-FAISAL MAGAZINE

في هذا العدد



ص ٢٩



ص ٣٥



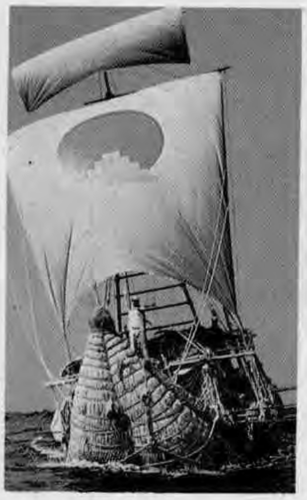
ص ٦٧



ص ٨٩



ص ٩٦



ص ١٠٩

إطلالة

هل الثقافة أثر في الذات الفردية...؟

ارتبطت الثقافة في اذهان الكثير من الناس بالقراءة وسعة الاطلاع ، وذهب بعضهم إلى تعريف الثقافة بانها الاخذ من كل شيء بطرف ، وان الإنسان المثقف هو ذلك الذي تتعدد معارفه ، وتتنوع مصادر اطلاعه من العلوم والفنون والآداب كافة . على أن هذين الاتجاهين في التعريف لايخرجان بمفهوم الثقافة عن دائرة الذات الفردية ، ولايُعنَيان بالناحية الاجتماعية التطبيقية التي تكوّن الهوية الشخصية لثقافة امة من الامم .

فإذا نظرنا إلى مفهوم الثقافة الشامل من حيث إنها ليست قراءة وسعة اطلاع فحسب ، وليست اثراً في الذات الفردية ، وإنما هي انعكاس على مجتمع ما في الفكر والسلوك والذوق ، فإننا نخلص بهذه النظرة الشاملة إلى ان ثقافة الامة هي التي ترسم تصورها للحياة بكل وجوهها من خلال مايسهم به افرادها مجتمعين . ومن هنا نجد ان ثقافة امة من الامم تنعكس على ذوقها واخلاقها ومعتقداتها وطريقتها في الحياة ، وهكذا يصبح النتاج الفني والفكري للأمة عنصراً من عناصر ثقافتها يتضافر مع العناصر الاخرى ليعطي لهذه الثقافة لوناً معيناً تعرف به ، وينسب إليها ويميّزها عن غيرها من الامم .

ويمكن ان ننظر إلى ان مكونات الثقافة تعود إلى قواعد عامة :

الأولى : العموميات او المعارف العامة التي تشكّل الأساس اللازم للبناء الثقافي ، والتربة الصالحة التي يمتد فيها الدين وجذور الحياة الثقافية للمجتمع كاللغة والتقاليد الموروثة ، وهذه كلها تحدد العقلية الخاصة بالنموذج الاجتماعي الشائع في صور جميع الافراد .

والثانية : الافكار الخاصة المتاثرة بنمو العلوم والمعارف ، والتعمق في جوانب الاختصاصات المختلفة ، وهي التي تميز ـ في المجتمع الواحد ـ بين الطبقات ، وتضم الأفراد الموهوبين الذين يتاثرون بثقافة مجتمعهم العامة ، ويؤثرون فيها بفعالية مجدية تغنيها وتدفع بها إلى الامام .

والثالثة : هي التي تجمع بين القاعدتين السابقتين ، وتعين على نموّ المواريث التاريخية بتلقيحها بالافكار الجديدة ومظاهر التقدم في جميع نواحي الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وهكذا يطرا تبدل على الوجه الثقافي للأمة لايلغي خصوصيّتها ، وإنما يجعلها قادرة على ان ترسي وجودها الثقافي بين الثقافات المختلفة .

ولا شك ان الثقافة الإسلامية قد حققت في أيام ازدهارها هذا التصوّر العام للثقافة ، فقد أضفت العقيدة الإسلامية على تصور الإنسان العربي المسلم للوجود شيئاً جديداً قلبت ماورثه من تراث روحي زائف ، وعلاقات اجتماعية مبنية على العصبية القبلية ، وحياة فكرية ضيّقة الافق محدودة الاهتمامات ، قلبت ذلك كله راساً على عقب حتى استوى هذا العربي المسلم خَلْقاً آخر ، تحررت روحه حينما اخلصت عبوديتها لله وحده ، وتحررت اخلاقه من الكُره والحقد والانتقام ، فغدت علاقاته مع الآخرين قائمة على المحبة والإيثار والتعاون وإرادة الخير العام الشامل ، وتحرر عقله حين أُمِرَ بالنظر في نفسه وفي السموات والأرض نظر وتامل وتدبّر ، وكان ذلك كلّه من اثر الإيمان الذي طوّر الموروث العربي فاقرّ مافيه من خير ، واستاصل منه ما يخدش المفهوم الإنساني الخير الكريم « إنما بُعِثْتُ لاتمِّمَ مَكَارِمَ الاخْلَاقِ » .

وقد سار المسلمون في الارض واختلطوا بالامم الاخرى التي دخلت الإسلام فاثرت فيهم وتاثرت بهم ، فغدا من الصعب الحديث عن الثقافة العربية بمعزل عن الاثر الإسلامي الذي امتص ثقافات امم اخرى كالفرس والروم والهند وغيرهم من الشعوب التي دانت بالإسلام واختلطت بالعرب ، وتكلمت اللغة العربية التي اصبحت وعاء عالمياً لثقافات هذه الشعوب جميعاً قروناً عديدة ، ومع ذلك فلم يكن همّ اللغة العربية كما قال احد العرب : « ان ترث لغات اخرى ، ولا ان تمحو لغات قومية قائمة كما فعلت في افريقيا واسيا » . إنما كان تنوع الثقافات في اللغة العربية وصبغها بالصبغة الإسلامية تجربة حضارية تميّزت بها امتنا في الماضي .

ولا مجال للحديث اليوم عن واقع الثقافة العربية دون الحديث عن التجارب والخبرات والخلفيات التاريخية والتراثية للإنسان العربي المعاصر . ولا مجال للحديث عن دور الثقافة العربية الحالية دون دراسة اثر هذه الثقافة في مدارك الإنسان العربي ودرجة وعيه وارتقاء ذوقه ونوع الخدمة التي يشارك بها في تطوير مجتمعه ، لان هذه الخصائص جميعاً تشكل ثقافته ولا تفصل واحدة منها عن الاخرى .

إن من الصعب الحكم على ثقافة امة دون النظر إلى مستوى الانسجام بين الوجه النظري والوجه التطبيقي لثقافتها ، وإذا ماحدث انفصال بين هذين الوجهين في ثقافة امة من الامم فإن ذلك دليل انحدارها ، وهي المشكلة التي تعاني منها الثقافة العربية التي تستند إلى تراث عريق لم تستطع الاجيال الحديثة ان ترتقي إلى مثيله في الحاضر بعد ان ضاعت بين اتجاه يدعو إلى الاخذ بكل ماعند الغرب من خير وشر ، واتجاه يرفض كل ماعند الغرب من خير وشر . وينسى الطرفان ان الثقافة العربية في اوج ازدهارها كانت منفتحة على ثقافات الامم الاخرى ، فظهر كيان جديد للامة عرف بالثقافة العربية الإسلامية التي كانت اللغة العربية عماده والمصبّ الذي تجمعت فيه كل الثقافات المتنوعة للشعوب المسلمة كافة .

ويجب التنبه إلى أشياء لها أثرها الخطير في إظهار الوجه الثقافي المعاصر لامتنا واضحاً سليماً معافى ، او مريضاً مشوهاً حائراً :

١ ـ ينبغي ان نعترف ـ من باب النقد الذاتي ـ ان العرب والمسلمين ـ بواقعهم لا بحقيقتهم ـ اصبحوا متخلفين في ميادين العلم المختلفة ، فلا ضيْر علينا ان ناخذ من ثقافات الامم التي سبقتنا ما هو من ثمرات العقل ، على الاّ ننسى أبدا من نحن . والخطر كل الخطر ان نتنازل مختارين عن شخصيتنا وان نقتبس عن الغرب كل شيء في جو من نسيان النفس والماضي ، دون تمييز بين النافع والضار .

٢ ـ الحياة متجددة متطورة ، وجديد اليوم سيصبح قديماً غداً ، ومايصلح لمجتمع ما في حقبة من تاريخه قد لا يصلح له في حقبة تاريخية اخرى ، وكل ذلك مبني على تطور الشخصية الثقافية بجوانبها المختلفة خلال العمر الذي قطعته هذه الامة ، ولذا كان من المغامرة غير المحمودة او غير المامونة ان نقتبس ـ نحن المسلمين ـ لمشكلاتنا حلولاً من اي امة لاختلاف المنابع التي أثرت في تكويننا ، وصبغت حياتنا بصبغة تميزنا بها من غيرنا حينما كنا متمسكين بها عاملين في ضوئها ، حينما كنا امة فاعلة معطية لا منفعلة آخذة كما هي حالنا اليوم .

وقصارى القول : إن ثقافة الامة هي البنية الفكرية والوجدانية التي اقيمت على أسس موروثة ، وتطوّر ياخذ بالنافع ويتنكر للضار ، وهذه الثقافة هي التي تحدد هوية الامة ، وتبني نظرتها إلى الحياة ، وتقوم موازينها الخلقية بجانبيها النظري والتطبيقي .

ولعل ما سبق يتناول الثقافة على مستوى المجتمع ، ويبقى ما هو على مستوى الفرد . والحديث في ذلك موصول إن شاء الله .

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين



الأمير فهد بن سلمان



د . حسن أبو ركبة

السعودية

مؤتمر الأقليات المسلمة

بدعوة كريمة من **خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز** ، تستضيف المملكة العربية السعودية قريباً أكبر تجمع للعلماء والشخصيات الإسلامية من مختلف أنحاء العالم ، لمناقشة **أوضاع الدعوة والأقليات المسلمة**.

ينتظر أن يبحث المؤتمرون الذين يمثلون مختلف الأقليات والمنظمات الإسلامية كيفية مساعدة الأقليات المسلمة في العالم على الحفاظ على هويتها والحصول على حقوقها السياسية والاجتماعية والدينية ، والوسائل المعنية على ترسيخ العقيدة في نفوس المسلمين في الدول غير الإسلامية ، وما إلى ذلك من الموضوعات .

معرض « ملامح من التراث العسكري »

تعتزم الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض تنظيم معرض بعنوان **ملامح من التراث العسكري** يضم (٣٨٠) قطعة تمثل أنواعاً مختلفة من الأسلحة ، وتؤرخ المعروضات للفترة الواقعة ما بين القرن الثامن إلى القرن الثالث عشر الهجري (١٤ - ١٩م)

كما يضم المعرض جناحاً خاصاً ببعض أنواع الأسلحة المستخدمة أثناء المراحل التي تم خلالها توحيد الجزيرة العربية وتأسيس المملكة . كما يضم بعضاً من مقتنيات دارة **الملك عبدالعزيز وقاعة الملك فيصل التذكارية ووزارة الدفاع والطيران** .

تكريم أدباء الطائف

قام صاحب السمو الملكي **الأمير سعود بن عبدالمحسن** نائب أمير منطقة مكة المكرمة بتكريم مجموعة من أدباء الطائف ومفكريها وهم : **يحيى عبدالقادر كمال ، محمد سعيد كمال ، علي حسن العبادي ، د. إبراهيم محمد الزيد ، علي خضران القرني ، علي حسين محمد الفيفي ، حمد الزيد ، حماد حامد السالمي ، ومحمد المنصور الشقحاء** .

حضر حفل التكريم أمير الطائف **فهد بن معمر** ، ولفيف من المسؤولين والأدباء والمثقفين .

جائزة لأحسن كتاب

قرر صاحب السمو الملكي **الأمير فهد بن سلمان بن عبدالعزيز** نائب أمير المنطقة الشرقية خلال افتتاحه للموسم الثقافي للنادي الأدبي بالمنطقة إنشاء جائزة سنوية لأحسن كتاب في المنطقة الشرقية .

تأتي هذه الجائزة حافزاً ودعماً لحركة التأليف والنشر في المنطقة .

د. أبو ركبة .. إلى رحمة الله

فقدت الأوساط الصحافية والأكاديمية السعودية أحد أعلامها بوفاة الدكتور **حسن عبدالله أبو ركبة** - يرحمه الله - الأمين العام لجامعة الملك عبدالعزيز بجدة ، والمدير العام الأسبق لمؤسسة البلاد للصحافة والنشر ، أثر نوبة قلبية عن عمر يناهز (٥١) عاماً .

وُلد د. أبو ركبة عام ١٣٦١هـ ، وهو من خريجي جامعة الملك سعود ، وعمل معيداً بجامعة الملك عبدالعزيز إبان فترة تأسيسها ، ثم ابتعث إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث حصل على الدكتوراه عام ١٣٩٠هـ ، وتقلد بعد عودته مناصب أكاديمية مختلفة ، كما مارس إلى جانب عمله الأكاديمي الكتابة الصحافية والعمل الإداري عبر مؤسسة البلاد للصحافة والنشر ، وهو عضو في عدد من لجان التخطيط والتنمية في المملكة العربية السعودية .

من مؤلفاته : **«الأبحاث الإجرائية وتطبيقاتها الإدارية» ، «الإعلان» ، و«الأبحاث في التسويق والإدارة في المملكة العربية السعودية»** .

متحف علمي

تعد اللجنة العلمية للنشاط **بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن** بالظهران لتأسيس **متحف علمي دائم** ، يضم المشروعات الهندسية التي قام بتنفيذها طلاب الجامعة .

يهدف المتحف إلى إبراز القدرة الإبداعية للطلاب ، حيث يمكن للطالب أن يقدم شرحاً موجزاً للمشروع الذي يرغب في المشاركة به في المتحف ، وتقوم لجنة بدراسة جدواه ومدى توافقه مع أهداف المتحف ، ومن ثمّ تصدر قرارها بهذا الصدد .

مكتبة نسائية

تعد **الجمعية الفيصلية النسائية الخيرية** بجدة - حالياً - لإنشاء **أول مكتبة نسائية** في مدينة جدة تضم آلافاً من الكتب في شتى فنون المعرفة .

ينتظر أن تقدم المكتبة خدماتها للقارئات بأحدث الطرق عبر استخدام أقراص الليزر في تقديم معلومات آلية .

موسوعة علمية عربية

قام الباحث **الدكتور احمد نبيل أبو خطوة** بجامعة الملك عبدالعزيز في جدة بإصدار **موسوعة علمية باللغة العربية** .



محمد عبدالله الحميد

تضم الموسوعة **ستة آلاف مصطلح علمي** مع شروحها بلغة عربية واضحة وبسيطة ، وتقع في (١٩٠٠) صفحة .

مشاركة سعودية في مسابقات خليجية

تشارك **الرئاسة العامة لرعاية الشباب** خلال الفترة ما بين (١٠ ـ ١٤) جمادى الأولى الجاري في **مهرجان الشعر والقصة الشبابي** لدول مجلس التعاون المقرر عقده في البحرين .

كما تشارك الرئاسة خلال الفترة من (١٤ ـ ١٧) جمادى الأولى الجاري في **مسابقة القرآن السادسة** لشباب دول مجلس التعاون .

الفائزون في مسابقة نادي أبها

أُعلنت ـ مؤخراً ـ أسماء الفائزين **بالمسابقة العشرين لنادي ابها الأدبي** لعام ١٤١١هـ . وأوضح رئيس النادي **محمد عبدالله الحميد** أن الجائزتين الأوْلَيَيْن في مجال البحث قد حُجبتا ، وفازت المشاركة الوحيدة **كلثوم هارون محمد عبدالله** بالجائزة الثالثة عن بحثها «المسلسلات وأفلام الكرتون» .

وفي **مجال الشعر** حُجبت الجائزتان الأولى والثالثة ، وحصل على الجائزة الثانية الشاعر **حسن حجاب الحازمي** .

أما في مجال القصة القصيرة ، فقد حجبت الجائزة الأولى وحصلت على

كلمـــة

تحقيق التراث .. والتخطيط المنهجي الموحّد

نشطت **دور النشر العربية** في هذا القرن على وجه الخصوص بنشر كتب التراث الإسلامية ، على اختلاف معارفها وتباين مؤلفيها ومصنِّفيها ، وتعدد لذلك المحققون وناشرو هذه الكتب والمصنفات .

وكان **للمستشرقين ـ والمستعربين** ـ على اختلاف جنسياتهم ، دور كبير ومهم في ردف **عملية تحقيق المخطوطات** نحو الأحسن ؛ والأهم من ذلك انهم أسّسوا المنهج العلمي في تحقيق المخطوطات ، والذي أخذ به محققونا العرب المسلمون ، وحذوا حذوه في تحقيقاتهم لهذه المخطوطات .

على أنَّ أخذهم وتَتَلْمذتهم للمستشرقين لم يَمْنَعهم من نَقْد بعض تحقيقات المستشرقين ، وبيان الخطأ في قراءة المخطوطة ، أو بعض القضايا التاريخية ، التي لم يعرفها هؤلاء الأعاجم ، فجاء محققونا فكشفوها وبَيَّنوها .. فأهل مكة أدرى بشعابها .

وبرز من هؤلاء المحققين كثيرون منهم العلاّمة **الأستاذ عبدالسلام محمد هارون** (ت ١٤٠٨هـ) يرحمه الله ، صاحب **كتاب (تحقيق النصوص ونشرها)** ـ وهو أول كتاب في هذا الفن ـ ، و د. **صلاح الدين المنجّد** ، صاحب كتاب **(قواعد تحقيق المخطوطات)** ، ود . **رمضان عبدالتواب** ، **والشيخ حمد الجاسر** ، ود . **حاتم صالح الضامن** .. وسواهم ممّن عنوا بالتحقيق وكُتُبه والمخطوطات !

إلا ان القضية التي نريد إثارتها هنا ، هي أنه على الرغم من تطور وسائل المواصلات النقل بكافة أشكالها وصورها ، فإن الأمر المؤسف له أن ما يُطبع في السعودية ـ على سبيل المثال ـ لا يعلم به القاطن في المغرب ، أو العكس . على الرغم من أن أجدادنا الكرام في ذلك العصر يعرفون ما يؤلف ويُنْسَخ من الكتب أحْسَن مما نحن عليه من التقدم التقني والعلمي ! فَشَتّان ما بين العصرين .

وقد نتج عن ذلك أن يطبع كتاب واحد عدة طبعات ، على أيدي عدة مُحقِّقين ، وسأضرب على ذلك مثالين لا غير .

●● **المثال الأول** : كتاب **(الإماء الشواعر)** للأديب **علي بن الحسين الأصفهاني** (ت ٣٥٦هـ) ، صاحب **(الأغاني)** ، فقد نشر ثلاث مرات ، وفي سنوات متقاربة جداً ، وبلد واحد . إذْ نشره د . **نوري حمودي القيسي** ، ود. **يونس احمد السامرائي** ـ المحققان العراقيان ـ في بيروت ـ **مكتبة النهضة** عام ١٩٨٣م ، ثم نشره د. **جليل العطية** ـ المحقق العراقي ـ في بيروت ، **دار النضال** عام ١٩٨٤م . وقد سبقهم إلى تحقيقه ، إلا انه تأخر في نشره ، د. **مصطفى حسين عناية** ، وطبع في بيروت .

●● **المثال الثاني** : **شعر علي بن جبلة العكوّك** (ت ٢٢٣هـ) . إذْ نشره أولاً د. **احمد نصيّف الجنابي** عام (١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م) ـ وهو رسالة ماجستير ، وطُبع في العراق . ثم نشره باسم (ديوان ..) الأستاذ **زكي ذاكر العاني** وطُبع في بغداد عام ١٩٧١م ! ثم نشره د. **حسين عطوان** ، وصدر في القاهرة عن دار المعارف عام ١٩٧٢م .

●● **السؤال هو** : لِمَ تتبعثر الجهود في انجاز كتاب واحد فقط ؟ وما السبيل إلى تفادي هذا الإهدار بالوقت والمال والورق والطباعة ؟

إن السبب الرئيسي في ذلك هو عدم وجود تخطيط مُسبق مُوَحَّد بين المؤسسات والجامعات والمعاهد المعنية بالأدب العربي ، والتراث على وجه التحديد ، إضافة إلى استعجال بعض (المحققين) نشر (تحقيقاتهم) بدافع الشهرة ، مما قد يؤدي إلى اعتماد طبعاتهم على أنها الطبعات المحققة تحقيقاً علمياً .

ونرى أن تَرَيُّث بعض المحققين والباحثين في نشر الكتاب المخطوط ، واتصالهم مع المؤسسات ودور النشر التي تُعنى بكتابهم ، سيؤدي إلى معرفتهم بمصير نتاجهم المحقق ، سواء إلى النشر أو عدمه . علاوة على نشر الفهارس الخاصة بالكتب الصادرة في الوطن العربي ، عبر المجلات المعنيّة بذلك مثل **(معهد المخطوطات العربية) في الكويت** ، و**(المورد)** في العراق ، وسواهما ، مما سيعزّز صلة المحقق بكتابه ، ومعرفة المعلومات التي يريدها عنه ، مطبوعاً كان او مخطوطاً ، ولن يكون ذلك ـ قَطْعاً ـ إلا بتضافر الجهود وتكاتفها وتنسيقها لإخراج تراثنا الإسلامي الزاهر إلى النور .. والله الموفق لما فيه الخير .

عباس هاني الجراخ

العراق ـ بابل ـ الحلة

● **الفيصل** : سبق أن نشرنا ندوة خاصة عن هذه المشكلة في أحد الأعداد الماضية ، ولكنها صرخة ذهبت مع غيرها أدراج الرياح .


د . محمد بن سعد بن حسين


سعد الحميدين

الجائزة الثانية **صالحة عبدالله السروجي** ، وعلى الجائزة الثالثة **فاطمة سعد الدين محمد** .

نشاطات نادي الطائف الأدبي

أشارت إحصائية صدرت عن **نادي الطائف الأدبي** ، أن النادي قد نظم خلال عام ١٤١١هـ **اربعين ندوة ثقافية** أسبوعية ضمن نشاطه المنبري ، ناقشت قضايا فكرية وأدبية .

وأصدر النادي خلال العام نفسه **اربعة كتب هي** : «وقفات مع بعض القاصين» للدكتور **محمد بن سعد بن حسين** ، وديوان «تقاسيم على الرمس» **للشاعر دخيل الله ابو طويلة** ، و«مدخل إلى نظريات الشخصية» **للدكتور فهد الدليم** ، فضلاً عن ملف النادي الخامس .

كتب جديدة

- **«مضامين القضاء البدوي قبل الحكم السعودي»** تأليف **المقدم صالح بن غازي الجودي** ، صدر عن **نادي الطائف الأدبي** .
- **«وتنتحر النقوش .. احياناً»** ديوان جديد للشاعر **سعد الحميدين** ، صدر عن **دار شعر بالقاهرة** .
- **«المدينة المنورة .. بين التاريخ والأدب»** تأليف د. **عاصم حمدان** ، صدر عن **نادي المدينة المنورة الأدبي** .
- **«أطفالنا ومرض السكر»** إعداد د. **محمد احمد عبدالله** ، صدر عن **مستشفى قوى الأمن الداخلي بالرياض** .
- **«المراجع العربية»** إعداد **سعود بن عبدالله الحازمي** ، صدر عن **معهد الإدارة العامة بالرياض** .
- **«الإبحار ضد تيار المستحيل»** مجموعة قصصية للقاصة **حصة إبراهيم العمار** .
- **«رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر»** للكاتب الإسلامي **محمد قطب** ، صدر عن **دار الوطن للنشر** في الرياض .
- **«النصر نحن صنعناه»** تأليف **عبدالله عمر خياط** .

الكويت

إعادة التراث المنهوب

بدأت السلطات الكويتية في استلام الكتب والمخطوطات التي نهبها النظام العراقي أثناء غزوه للكويت في صيف عام ١٩٩٠م .

وقد بدأت بالفعل عمليات إعادة هذا التراث الثقافي إلى أصحابه ، وينتظر أن تنتهي هذه العمليات والمجلة ماثلة للطبع .

كتب جديدة

- **«البيت»** مسرحية **لجريجوري جورين** ، ترجمها إلى العربية **ثائر ديب** ، صدرت ضمن **سلسلة «من المسرح العالمي»** عن وزارة الإعلام الكويتية .

قطر

صحيفة جديدة

صدرت في الدوحة مؤخراً جريدة **«شباب اليوم»** التي يرأس تحريرها **جاسم صقر** .

وتهتم الجريدة الجديدة - بالدرجة الأولى - بالرياضة ، وهي إلى جانب ذلك تفرد مساحات واسعة للثقافة والأدب والفن ، فضلاً عن النواحي الاجتماعية .

الإمارات

موسم ثقافي ديني

بدأ في أواخر شهر ربيع الأول الماضي **الموسم الثقافي الديني الثالث** للجنة العليا للمساجد في **مدينة العين** .

يتضمن الموسم الذي يستمر إلى نهاية شهر ذي القعدة المقبل ١٤١٢هـ أحاديث أسبوعية في الفقه والتفسير ودروساً في تجويد القرآن الكريم وحفظه للصغار والكبار ، فضلاً عن برنامج خاص للتوعية الدينية خلال شهر رمضان المبارك .

مصر

وفاة عبدالمنعم شميس

توفي - مؤخراً - في القاهرة الكاتب والأديب **عبدالمنعم شميس** عن عمر يناهز (٧٣) عاماً .

وقد كان الفقيد من المهتمين بكتابة التاريخ والتراث العربي ، وأحد رواد الكتابة الإذاعية ، كما أشرف على العديد من المجلات والدوريات ، حيث شغل منصب رئيس تحرير «مجلة المجلات» ، وعمل أيضاً وكيلاً لوزارة الإعلام ومراقباً عاماً لمصلحة الاستعلامات ، ومديراً للرقابة على المصنفات الفنية .

وقد منحه الرئيس الأسبق **جمال عبدالناصر «وسام الاستحقاق»** ، كما منحه الرئيس السابق **انور السادات «وسام الجمهورية»** .

أول كلية للقرآن الكريم

أقيمت في فرع جامعة الأزهر في مدينة طنطا أول كلية في مصر للقرآن الكريم . وتهدف الكلية إلى سد حاجة العالم العربي والإسلامي من معلمي القراءات وقرّاء القرآن الكريم .



د . ثروت عكاشة



سعد الدين وهبة

هذه الكلية الجديدة التي تبلغ مدة الدراسة فيها أربع سنوات أقيمت بالجهود الذاتية .

فرع لرابطة الأدب الإسلامي

افتتح في القاهرة مؤخراً **فرع رابطة الأدب الإسلامي العالمية** .

الفرع اتخذ من **المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين** مقراً له .

وعُيّن الدكتور **عبده زايد** أستاذ الأدب بجامعة الأزهر رئيساً للفرع .

والرابطة تهدف إلى تأصيل الأدب الإسلامي ، مع رسم منهج مفصل للفنون الأدبية المعاصرة ، والاهتمام بالتفسير الإسلامي للأدب ، وتشجيع الأدباء والأديبات على الاهتمام بقضايا المرأة المسلمة ، وبأدب الأطفال والتعريف بالآداب المختلفة لشعوب العالم الإسلامي ، والدفاع عن حقوق الأدباء المسلمين ، وإقامة المحاضرات والندوات والمؤتمرات الأدبية .

مكتبة الطهطاوي

خصصت **كلية الألسن بجامعة عين شمس** قاعة في مبناها الجديد لحفظ **مكتبة مؤسسها الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي** ، رائد حركة التنوير والترجمة .

وقررت الكلية تصوير المكتبة والمخطوطات النادرة الموجودة فيها بالميكروفيلم ، لتمكين الباحثين من الاطلاع عليها .

مجلة إذاعية إسلامية

بدأت إذاعة «صوت العرب» المصرية في بث **أول مجلة إذاعية إسلامية** أسبوعية تهتم بشؤون المسلمين في العالم وقضايا الفكر الإسلامي .

وتولي المجلة الإذاعية الجديدة اهتماماً خاصاً بالتعريف بالمؤسسات الإسلامية العالمية ومتابعة أحوال الأقليات المسلمة ، كما يهتم البرنامج بالتعريف بالجهود المبذولة في مجال الدعوة ونشر اللغة العربية .

دائرة معارف بيئية

أحدث **دائرة معارف بيئية** صدرت في القاهرة ، لتضم سلسلة من الكتب تتكون من نحو (١٣٠) **كتاباً** .

وتعالج الكتب موضوعات بيئية مختلفة وتركز بصفة خاصة على مشكلة التلوث .

اكتشاف أول هرم في الأقصر

اكتشفت بعثة أثارية ألمانية في منطقة **«دراع أبو النجا»** بالبر الغربي لمدينة **الأقصر** بالقرب من **وادي الملوك أول هرم** في تلك المنطقة **لبلاط آمون** ، يعود تاريخه إلى ما قبل (٣٤٠٠) عام أي في عصر الدولة الفرعونية الحديثة .

والهرم المكتشف مشيد بالطوب ، وقد تهدمت أجزاء كثيرة منه ، غير أن جدرانه الداخلية لا تزال بحالة جيدة ، ومحتفظة بنقوشها الزاهية ، ويبلغ ارتفاعه ثمانية أمتار ، أما مساحته فتربو عن مائة متر .

موسوعة عن أسس التصميم المعماري

أصدرت **منظمة العواصم والمدن الإسلامية موسوعة لأسس التصميم المعماري والتخطيط المصري في العصور الإسلامية** المختلفة .

وتعد هذه الموسوعة التي تشتمل على **مائة نموذج** من التراث العمراني الإسلامي في القاهرة دراسة تحليلية للعاصمة المصرية .

جائزة لأحسن عمل فني للطفل

قرر **المجلس العربي للطفولة والتنمية** منح **جائزة سنوية** قيمتها عشرة آلاف جنيه مصري لأحسن عمل عربي مرئي أو تلفازي يهدف إلى ترسيخ القيم والمبادىء لدى الطفل العربي .

أعلن ذلك رئيس اتحاد الفنانين العرب **سعد الدين وهبة** ، **ولم يُعلن - حتى إعداد هذا الخبر - عن موعد أول جائزة** .

جمعية لأصدقاء المتاحف

أسست - مؤخراً - في القاهرة **جمعية لأصدقاء المتاحف** برئاسة الدكتور **ثروت عكاشة** وزير الثقافة الأسبق .

تهدف الجمعية إلى إيجاد قاعدة عريضة من المثقفين تحمي المتاحف والتراث القومي وتعمل على تطويره وتنوير عامة الشعب بقيمة كنوز مصر الحضارية التراثية ، فضلاً عن تبنّي الحفاظ على الأحياء السكنية القديمة تقديراً لقيمتها التاريخية ، والدعوة إلى إنشاء متاحف جديدة في القصور التاريخية ، وتحويل منازل رواد الفكر والأدب الراحلين إلى متاحف ، مع إصدار النشرات والمطبوعات التي تنمّي الوعي والذوق المتحفي .

كتب جديدة

- **«فن كتابة البحوث العلمية وإعداد الرسائل الجامعية»** ، تأليف **محمد عثمان الخشن** ، صدر عن **مكتبة ابن سينا بالقاهرة** .
- **«فهرسة ابن خير .. للأموي الإشبيلي»** ، تحقيق **إبراهيم الأبياري** ، صدر عن **دار الكتاب المصري** في القاهرة .
- **«لسنا وحدنا في الكون»** ، تأليف **فتحي أمين** ، صدر عن **مؤسسة روزاليوسف** .


د . عبدالعزيز شرف

● «**مثلث برمودا : مثلث الرعب والكوارث . اللغز المحير لإختفاء عدد من السفن والطائرات**» تأليف **ايمن ابو الروس** ، صدر عن **مكتبة ابن سينا** .

● «**المدخل إلى وسائل الإعلام : الصحافة ، الإذاعة ، التليفزيون**» تأليف د . **عبدالعزيز شرف** ، صدر عن **دار الكتاب المصري** .

● «**مصطلحات الكمبيوتر والميكروكمبيوتر**» تـأليف : **رافت عدس** ، صدر عن **مكتبة مدبولي** .

● «**مناهج البحث في العلوم السلوكية**» ، تأليف **داوود حسن كمال** ، صدر عن مكتبة **الإنجلو المصرية** بالقاهرة .

● «**الإسلام واللغة والتاريخ**» تأليف **عبدالرشيد عبدالعزيز سالم** ، صدر عن مكتبة **التراث الإسلامي** في القاهرة .

● «**بنك المعلومات : كل سؤال وله جواب**» إعداد **لطفي وحيد** ، صدر عن **المكتب الجامعي الحديث** في الإسكندرية .

● «**دار الكتب القومية : ذاكرة مصر ، كنوز من التراث العربي**» إعداد ونشر قسم المخطوطات **بالهيئة المصرية العامة للكتاب** بالقاهرة .

● «**دراسات في التحرير الإخباري**» تأليف **محمود ادهم** ، صدر عن **مكتبة النهضة المصرية** بالقاهرة .

● «**الصحفي المحترف**» تأليف **جون هوهنبرج** ، ترجمة **محمد كمال عبدالرؤوف** ، صدر عن **الدار الدولية** بالقاهرة .

● «**قضايا الإعلام الدولي**» ، تأليف **سامي دسوقي** ، صدر عن **دار المعرفة الجامعية** في الإسكندرية .

● «**سمك اللُجّة**» رواية للكاتب الفلسطيني **فيصل حوراني** ، صدرت عن دار **الثقافة الجديدة** بالتعاون مع **دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية** .

● «**منظومة العقل البشري**» تأليف **رمزي الغنيمي** ، صدر عن **دار الحرية** .

● «**شتاء داخلي**» مجموعة قصصية للقاص **احمد زغلول الشيطي** ، صدرت ضمن مختارات «فصول» عن **الهيئة المصرية العامة للكتاب** .

● «**علي احمد باكثير في مراة عصره**» تأليف د. **محمد ابو بكر حميد** ، صدر عن **مكتبة مصر** بالقاهرة .

الأردن

جائزة عبدالحميد شومان

فتحت مؤسسة عبدالحميد شومان ـ مؤخراً ـ باب الترشيح **لجوائز عبدالحميد شومان للعلماء العرب الشباب لعام ١٩٩١م في تسع مجالات هي** : العلوم الأساسية أو البحتة (فيزياء ، كيمياء ، جيولوجيا) ، العلوم الطبية السريرية ، العلوم الهندسية العلوم الزراعية ، العلوم الإنسانية ، الرياضيات بما فيها الإحصاء والأنظمة والحاسب الآلي ، والعلوم الاجتماعية .

وحددت المؤسسة نهاية شهر كانون الثاني (ديسمبر) ١٩٩١م آخر موعد لقبول أوراق الترشيح .

بقايا مسجد اموي

اكتشف أثاريون ـ مؤخراً ـ بالقرب من **قرية النعيمة** شمال الأردن **بقايا مسجد يعود إلى العصر الأموي** .

المنطقة التي اكتشف فيها المسجد كانت قد تعرضت من قبل لأعمال تخريبية أدت إلى إزالة نحو ثلث مساحة المسجد .

سورية

مسابقة

أعلنت مجلة «**الثقافة**» السورية عن مسابقة أدبية لنيل «**جائزة مدحت عكّاش**» في مجالات : الشعر ، القصة القصيرة ، الرواية ، الدراسة الأدبية ، والنقد .

ودعت المجلة الادباء والنقاد العرب إلى المشاركة في المسابقة ، موضحة ان لكل قاص الحق في المشاركة بعملين مع احتمال فوز قصة واحدة فقط ، وبالنسبة **للرواية** فمن الممكن المشاركة بأكثر من عمل على الا يزيد عدد صفحات الرواية عن (٢٠٠) صفحة من الحجم الوسط ، أما **الشعر** ، فلكل شاعر الحق في المشاركة بقصيدتين على الا تكونا قد سبق نشرهما ، وفي مجال **الدراسة الادبية** تحدد موضوعها في : التاريخ ، التراث ، وعلم الاجتماع على الا تزيد صفحاتها عن (٢٠) صفحة من الحجم الوسط ، ولا يحق للمشارك التقدم بأكثر من دراسة . وفيما يتعلق بمجال **النقد** ، اشترطت المجلة الا يتجاوز المقال النقدي (٢٠) صفحة ، والا يقل عن (١٠) صفحات .

وخصصت المجلة (١٥) ألف ليرة سورية للفائز الأول في كل مجال ، و(١٠) آلاف للفائز الثاني ، و(٥) آلاف للفائز الثالث ، وحددت نهاية شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩١م آخر موعد لتلقي المشاركات .

معرض كتاب

أقيم في شهر ربيع الأول الماضي المعرض السابع للكتاب العربي الذي نظمته مكتبة الأسد في دمشق .

شارك في المعرض **(٣١١) داراً للنشر من (١٩) دولة عربية واجنبية هي** : مصر ، المملكة العربية السعودية ، الأردن ، تونس ، فلسطين ، الكويت ، قطر ، لبنان ، ليبيا ، اليمن ، سوريا ، إيران ، الاتحاد السوفييتي ، فرنسا ، الصين ، انجلترا ، قبرص ، الولايات المتحدة الأمريكية ، والهند ، وبلغ عدد العناوين في المعرض **(٢٢٥٠٠) عنوان في مختلف فنون المعرفة** .



علي عقلة عرسان

وقد اقيم على هامش المعرض نشاط ثقافي تضمن محاضرات وأمسية موسيقية .

اكتشافات تدمر تتوالى

لا تزال الاكتشافات تتوالى في **مدينة تدمر الأثرية** ، حيث تم ـ مؤخراً ـ اكتشاف امتداد جديد للسوق الواقعة في الشارع المستقيم الذي يعد من أبرز الشوارع الأثرية في العالم ، وتشكّل الأعمدة التدمرية طرفيه الرئيسيين .

كذلك تم العثور على كشف نادر عبارة عن مواقع جديدة تعود إلى العصر الحجري القديم الأعلى ، وخزائن تحتوي على أقمشة تدمرية وأوراق بردي مكتوب عليها باللغتين التدمرية واليونانية .

مدفن من العصر البيزنطي

اكتشف في مدينة **حمص مدفن يعود إلى العصر البيزنطي** مؤلف من سرداب طوله ثلاثة امتار عثر فيه على ستة هياكل عظمية آدمية وبعض الأوعية الفخارية فضلاً عن جرة مليئة بالعطر وسراج مثبت على أحد الجدران .

وذكر أثاري أن هذا الكشف الذي يعود إلى **القرن الرابع الميلادي** يعد من أهم الكشوف حيث يتوقع أن يسلط الضوء على تاريخ الممالك والمدن السورية خلال العصر البيزنطي .

كتب جديدة

● **«اغرب الغرائب واعجب العجائب في العالم»**، تأليف **احمد عبدالرحيم** ، صدر عن **دار الإيمان** في دمشق .

● **«جوائز نوبل ١٩٠١ ـ ١٩٨٩م»**، إعداد **ميشيل خوري** ، صدر عن **دار طلاس** في دمشق .

● **«حوادث خارقة للطبيعة»**، إعداد **سمير عبدالكريم** ، صدر عن **دار قتيبة** في دمشق .

● **«الدوريات : دراسة في اهمية الصحف والمجلات»**، تأليف **برجس عزّام** ، صدر عن **دار طلاس** في دمشق .

● **«مصادر علم المكتبات والمعلومات»**، تأليف **خيال الجوهري** ، صدر عن **دار الحوار** .

● **«معجم المصطلحات العلمية العربية»**، إعداد **الكني وآخرين** ، صنّفه وعلّق عليه **فايز الداية** ، صدر عن **دار الفكر** في دمشق .

● **«دراسات في المثالية الإنسانية»**، تأليف **ندرة اليازجي** ، صدر عن **دار الغربال** في دمشق .

● **«التخاطر عن بُعد والاستبصار : قوة العقل والإرادة»**، تأليف **غاي ليون بليفير** ، ترجمة **عيسى سمعان** ، صدر عن **دار الحوار** في اللاذقية .

● **«مشكلات في الثقافة العربية»**، تأليف **علي عقلة عرسان** ، صدر عن **منشورات اتحاد الكتّاب العرب** في دمشق .

● **«حيوانات جافة»**، رواية الكاتب **غراسيليانو راموس** ، ترجمها إلى العربية **صالح علماني** ، صدرت عن **دار الأهالي** .

لبنان

موسوعة معلومات الكترونية

تمكن **فريق لبناني / امريكي** مشترك من خبراء الحاسب الآلي من إنتاج **موسوعة معلومات جغرافية الكترونية** تضم ارشيفاً جغرافياً وأطلساً مرسوماً للعالم العربي .

وتتيح هذه الموسوعة للباحثين وطلاب العلم إمكان الحصول على المعلومات الاقتصادية والاحصائية والجغرافية عن الدول العربية مثل تلك المتعلقة بعدد وكثافة السكان ، وتعداد القوى العاملة ، ونسبة البطالة ، وأهم المنتوجات ، وأحوال الجو والمناخ ، وغيرذلك من المعلومات التي تفيد الباحث والدارس .

كما أن هذه الموسوعة تعد دليلاً طيباً يستفيد منه السيّاح ورجال الأعمال الذين يتعاملون مع العالم العربي .

كتب جديدة

● **«اساسيات الحاسبات الالكترونية»**، تأليف **محمد السعيد خشبة** ، صدر عن **الدار المصرية اللبنانية** .

● **«قاموس علم الكمبيوتر المصور»** عربي / انجليزي ، إنجليزي / عربي ، إعداد **احمد شفيق الخطيب** ، صدر عن **مكتبة لبنان** في بيروت .

● **«نهارات متهدمة»**، للشاعر الفرنسي **جاين تارديه** ، ترجمه إلى العربية **وضاح شرارة** ، صدر عن **دار الجديد** في بيروت .

● **«معجم المعاجم»**، تأليف **يسري عبدالغني عبدالله** ، صدرعن **دار الجيل البيروتية** .

● **«الشعرية العربية»**، تأليف **ادونيس** ، صدرت في طبعة جديدة عن **دار الآداب** في بيروت .

تونس

مؤتمر للدراسات الشرق أوسطية

استضافت **مدينة تونس** في أواخر شهر أيلول (سبتمبر) الماضي ١٩٩١م أعمال **«المؤتمر العالمي الخامس حول تقويم الدراسات المتعلقة بالشرق الأوسط»**


عبدالله كنون


محمد العروسي المطوي

شارك في المؤتمر الذي أشرفت على تنظيمه الجمعية الدولية لدراسات الشرق الأوسط بالتعاون مع مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات بزغوان في المغرب ، خبراء وباحثون من تونس ومصر والمغرب والولايات المتحدة الأمريكية وكندا .

وتركزت المحاور التي ناقشها المؤتمرون على وضع منطقة الشرق الأوسط في السياسة الدولية وتقويم النصوص والبحوث المتعلقة بها ودور التحولات السياسية العميقة التي يشهدها العالم في صياغة الاستراتيجيات الجديدة للتعامل مع المنطقة .

وفاة الشاذلي عطا الله

انتقل إلى رحمة الله تعالى في غرة شهر ربيع الأول الماضي ١٤١٢هـ المفكر والأديب التونسي **الشاذلي عطاالله** عن عمر يناهز (٩٢) عاماً .

وقد كان للفقيد إسهامات عديدة في إثراء الحركة الفكرية التونسية ، فضلاً عن نضاله السياسي والوطني ضد الاحتلال ، بأشعاره الداعية إلى الاستقلال وخطبه السياسية الحماسية .

كتب جديدة

● **«رجع الصدى»** مجموعة قصصية تأليف **محمد العروسي المطوي** ، صدرت عن **الدار العربية للكتاب** في تونس .

الجزائر

معرض للخط العربي

أقيم في مدينة الجزائر العاصمة خلال شهر تشرين الأول (أكتوبر) الماضي معرض للفنان **رابح بو عنيفة انطوى** .

ضم المعرض **أربعين لوحة تدور حول الخط العربي** ، وتصور القيمة الجمالية للأحرف والكلمات العربية .

ملتقى أفريقي لحماية حقوق المؤلف

أقيم في **الجزائر** العاصمة مؤخراً **ملتقى لتدارس الإجراءات القانونية لحماية حقوق التأليف والإبداع في افريقيا** ، شارك فيه مديرو الهيئات الأفريقية لحقوق التأليف .

تم خلال الملتقى إقرار عدة توصيات منها : الإعداد لإدخال كافة الأعمال الفكرية في انظمة الإعلام الآلي بأسماء مؤلفيها ، ودعوة الحقوقيين المتخصصين بالنزاعات القانونية المتعلقة بالملكية الفكرية إلى عقد اجتماعات دورية تهدف إلى تطوير النصوص القانونية بما يسهم في حماية حقوق المؤلفين .

وقد تقرر أن يقام الملتقى المقبل في **مدغشقر** خلال شهر أيلول (سبتمبر) ١٩٩٢م .

معرضان للتراث والفن التشكيلي

استضاف **متحف القصبة** في الجزائر العاصمة **معرضاً للفنون والمصنوعات والآثار** يلقي الضوء على تراث قبائل الطوارق . أقيم المعرض بإشراف **وزارة الثقافة والاتصال** الجزائرية .

وفي الوقت نفسه أقيم **معرض تشكيلي** للفنان المكسيكي **«فانسنتي غانديا»** . غلب على الأعمال الفنية المعروضة المذهب الانطباعي ، وتجلت بوضوح قدرة الفنان على التفنن في لعبة الألوان .

ليبيا

مهرجان الفنون المسرحية

استضافت مدينة **بنغازي المهرجان الرابع للفنون المسرحية** ، وقد شاركت في المهرجان فرق مسرحية من كل من : **ليبيا** ، **ومصر** ، **وسورية** ، **والجزائر والمغرب** .

المغرب

جائزة عبدالله كنون

أنشأت **الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي** جائزة جديدة لأفضل البحوث في مجال الثقافة الإسلامية .

تحمل الجائزة اسم **«جائزة عبدالله كنون للدراسات الإسلامية والأدب المغربي»** تقديراً للمفكر الراحل .

وتمنح الجائزة لأحسن دراسة أو بحث في القضايا والموضوعات التي تتناول أوضاع العالم الإسلامي ، وشؤون الأقليات ، وتعالج جوانب الفكر والثقافة الإسلامية ، كما تمنح للبحوث المبتكرة المفيدة في مجال الأدب المغربي .

« الصحوة »

هذا اسم **احدث جريدة إسلامية** صدرت مؤخرا في المغرب خلفاً لجريدة إسلامية أخرى كانت تحمل اسم **«السبيل»** .

وتهتم الصحيفة الجديدة بالدرجة الأولى بقضايا العالم الإسلامي والدعوة والفكر والثقافة .

مهرجان تشكيلي

استضافت مدينة **وجدة** خلال شهر أيلول (سبتمبر) الماضي ١٩٩١م **«المهرجان المغاربي الثالث للفنون التشكيلية»** .



عبدالله بن خميس

حوى المهرجان **مائة وثلاثين** لوحة قدمها **ثمانون فناناً** ينتمون إلى مختلف المدارس التشكيلية في المغرب والجزائر .

كذلك تضمن المهرجان عرض مجموعة من التحف المنحوتة وعقد ندوات ومحاضرات تدور حول الفن التشكيلي وتطوره في دول المغرب العربي .

كتب جديدة

● **«المجداف الأخضر»** الديوان الأول للشاعر المغربي **محمد نجيد** .

موريتانيا

اليونسكو ترمم الآثار

بدأت منظمة **اليونسكو** العالمية ـ مؤخراً ـ في تنفيذ خطة **لترميم اربع مدن تاريخية موريتانية** تهددها الرمال بالإندثار .

من أهم المناطق التي تشملها الخطة **مدينة شنقيط** التي اقيمت في القرن الـ (١٣) الميلادي ، حيث سيرمم بها منزلان قديمان تمهيداً لتحويلهما إلى متحف تحفظ فيه المخطوطات التي يعود بعضها إلى ما قبل عشرة قرون . وسيكلف هذا المشروع قرابة المليون ونصف المليون دولار .

اليمن

كتب جديدة

● **«البدايات الجنوبية»** ، دراسة أعدّها **الدكتور عبدالعزيز المقالح** ، صدرت في **صنعاء** .

● **«الثروة اليمنية في الأمثال الشعبية»** ، تجميع وتصحيح **محمد عثمان ثابت الأديمي** ، سيصدر في **صنعاء** .

● **«اليمن .. والعصر»** ، **للدكتور محمد علي حوان** ، صدر في **صنعاء** .

محاضرات وندوات

● **«اخلاق المؤمنين»** ، عنوان محاضرة القاها في **الجامع الكبير بالطائف** ، سماحة الشيخ **عبدالعزيز بن عبدالله بن باز** .

● **«مستقبل الثقافة العربية»** ، عنوان ندوة أقيمت في **مسقط** ، شارك فيها نخبة من المفكرين والمثقفين العرب .

● ينظم **النادي الأدبي في المنطقة الشرقية** امسية شعرية في الأحساء احياها الشعراء والأدباء : **عبدالله بن خميس ، محمد المبارك ، وخالد الحليبي** ، ادار الأمسية **احمد بن علي المبارك** .

● **«هل تعرف كيف تستخدم الأنسولين ؟»** ، عنوان محاضرة القاها في **مستشفى الملك فهد بالمدينة المنورة** ، الدكتور **نادر فريد** .

● **«الأدب في الإسلام»** ، عنوان محاضرة القاها في **نادي ابها الأدبي** . الدكتور **مرزوق بن صنيتان بن تنباك** .

● **«الصحة العامة وأثرها على المتدرب»** ، عنوان محاضرة القاها في **مركز التدريب المهني الثاني بالرياض** الدكتوران : **كامل حسن علي ومحمد محمد بيومي** .

● **«مستقبل الإبصار في المملكة العربية السعودية»** ، عنوان ندوة نظمها **مستشفى الملك خالد التخصصي للعيون بالرياض** ، وشارك فيها عدد من المتخصصين .

● **«جنة الخلود والعبور إليها»** ، عنوان محاضرة القاها في **جامع آل هذال** بالحمر في الأفلاج ، الشيخ **درعان عبدالرحمن الدرعان** .

● **«فرص عظيمة غفلنا عنها»** ، عنوان محاضرة القاها في **مسجد اسامة بن زيد** في البديع الشمالي في الأفلاج الشيخ عبدالرحمن الزريق .

● «استخدام الليزر في جراحات القرنية» ، موضوع محاضرة القاها في **فندق ماريوت** بجدة البروفيسور **جورج وارنج** .

● **«الأدب الإسلامي ، ما له وما عليه»** ، عنوان محاضرة القاها في **جامعة الملك فيصل بالهفوف** د. **محمد بن سعد بن حسين** .

● **«شروط لا إله إلا الله»** ، عنوان محاضرة القاها **بجامع ابي عبيدة بن الجرّاح** بحي النسيم الشرقي في الرياض الشيخ **محمد الدريعي** .

● **«حاجتنا إلى تزكية النفس»** ، عنوان محاضرة القاها في **مسجد الخالدية** بنجران الشيخ د. **عبدالله سفيان الحكمي** .

● **«العمل الصالح للفوز بدار الأبرار»** ، عنوان محاضرة القاها في **جامع حي الزهرة الغربي** بالسويدي الشيخ **عبدالله حماد الرسي** .

● **«القاب الشعراء بين الاستحسان والاستهجان»** ، عنوان محاضرة القاها **بفندق مسرة انتركونتننتال** بالطائف د. **محمد مريسي الحارثي** .

● **«الإلتهابات الجراحية»** ، عنوان محاضرة القاها في **مستشفى الحمادي بالرياض** ، البروفيسور **كونراد هيل** .

● **«مقدمات في علوم القرآن»** ، عنوان محاضرة القاها في **جامع الأمير سلطان بحي السويدي** الشيخ الدكتور **صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ** .

● **«آفاق تنمية الصناعات التقليدية بالدول الإسلامية»** ، عنوان ندوة نظمها في **الرباط** مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في اسطنبول بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية في جدة ، وجمعية رباط الفتح في الرباط ، وشارك فيها عدد من المتخصصين .

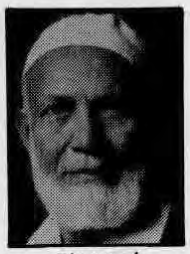
● **«اليهود في القرآن الكريم»** ، عنوان محاضرة القاها في **مسجد الأمير سلمان بجدة** الشيخ **لطف الله حاتم** .

● **«الكشف عن غوامض مصر القديمة»** ، عنوان محاضرة القتها في **واشنطن** د. **باربارة ميرتز** .

● **«الروائيات العربيات»** ، موضوع محاضرة القتها في **صالة «الف» في واشنطن بثينة شعبان** .

● **«الدمار البيئي في الخليج العربي»** ، موضوع ندوة نظمتها في واشنطن **لجنة البيئة والأشغال العامة في مجلس الشيوخ الأمريكي** ، وشارك فيها عدد من الاختصاصيين .

● **«علماء الاجتماع والبرنامج الإسلامي للتسعينيات وما بعدها»** ، موضوع ندوة عقدتها في **مدينة ديترويت** بولاية ميشيجان **رابطة علماء الاجتماع المسلمين** .


احمد ديدات


نادين جورديمر


اونج سوكبي


اروين نير

تركيا

مرجع للمخطوطات الإسلامية بقبرص التركية

● يعد خبراء **مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية** في اسطنبول دراسة على هيئة كتاب حول المخطوطات الإسلامية الموجودة في الإرشيف الوطني ومكتبات جمهورية شمال قبرص التركية باللغات العربية والفارسية والتركية ، لتكون مرجعاً شاملاً للباحثين .

وحتى لحظة إعداد هذا الخبر تم حصر (٢٢٥٥) **مخطوطة إسلامية ، منها (١٩٤٨) مخطوطة باللغة العربية و (٢١١) باللغة التركية و (٩٦) باللغة الفارسية .**

الدراسة تشمل ايضاً إعداد كتاب مصور يوضح عناوين المخطوطات مصنفة حسب الموضوعات ، ويشمل ذلك المخطوطة الأصلية والنسخ المتوفرة منها .

الهند

مؤتمر عن السيرة النبوية

● نظمت **الجامعة السلفية** في الهند في منتصف شهر ربيع الآخر المنصرم **مؤتمراً عالمياً عن السيرة النبوية العطرة .**

ناقش المؤتمر الذي حضره نخبة من كبار علماء المسلمين من الهند والمملكة العربية السعودية ومصر والكويت وقطر والإمارات نحو (٥٠) **موضوعاً** تدور حول السيرة ومكانتها وآثرها .

ماليزيا

جائزة للعثور على وثيقة إسلامية

● أعلنت حكومة **ولاية « ترنجانو »** الماليزية عن رصد جائزة قدرها خمسون **الف** رنجيت ماليزي لِمَنْ يعثر او يدل على جزء من **حجر اثري نقشت عليه بالأحرف العربية الجاوية وثيقة مؤرخة بعام ٧٠٢هـ/١٣٠٣م تدور حول تطبيق احكام الشريعة الإسلامية .**

وكان الجزء الأكبر من ذلك الحجر قد اكتشف في تلك الولاية عام ١٩٠٢م ، ولم يعثر على بقيته رغم أن السلطات عرضت عام ١٩٢٣م جائزة مقدارها خمسة آلاف رنجيت لمن يعثر عليه .

مركز للدراسات القرآنية

● بدىء - مؤخراً - العمل في إنشاء **اول مركز للدراسات القرآنية على بعد (٣٥) كيلومتراً من العاصمة الماليزية كوالامبور .**

المشروع تبلغ مساحته (٨٠) هكتاراً ، ويستغرق بناؤه ثلاث سنوات ، ويكلف (١٨) مليون دولار .

مؤتمر للتقويم الإسلامي

● استضافت **كلية العلوم الفلكية في جامعة ماليزيا** بمدينة بينانج في بداية شهر ربيع الآخر الماضي **مؤتمراً عالمياً للتقويم الإسلامي العالمي .**

حضر المؤتمر مايزيد عن (٢٠٠) **عالم يمثلون (٣٥) دولة** ، فضلاً عن الكليات والمنظمات الإسلامية في ماليزيا .

وهدف المؤتمر إلى صياغة موسوعة فلكية تحدد مواقيت مولد القمر وغيابه حسب كل دولة ، ومعرفة افضل الوسائل العلمية المعينة على رصد القمر ، وما إلى ذلك من الموضوعات .

تنزانيا

مركز إسلامي

● اقيم مؤخراً في مدينة **دار السلام** أحدث مركز إسلامي في تنزانيا للإسهام في الدعوة الإسلامية ونشر الثقافة الإسلامية في القارة الأفريقية .

قامت بإنشاء المركز وزارة الأوقاف المصرية .

جنوب افريقيا

كتاب جديد لديدات

● **« القرآن مُعجزة المعجزات »** ، من تاليف الداعية **احمد ديدات** ، كتاب جديد صدر عن **المركز الدولي الإسلامي** في مدينة دوربان .

السويد

الفائزون بجائزة نوبل

● أعلنت في ستوكهولم أسماء الفائزين بجائزة نوبل لعام ١٩٩١م في فروع : الآداب ، والسلام ، والطب والاقتصاد ، والطبيعة ، والكيمياء .

فقد فازت **بجائزة الآداب** الكاتبة الجنوب افريقية **« نادين جورديمر »** . وقد وُلدت **« نادين »** التي تعد سابع امرأة تحصل على هذه الجائزة العالمية في ١٩٢٣/١١/٢٠م في بلدة سبرينجز بضواحي جوهانسبرج ، واشتهرت بتكريسها فنها القصصي والروائي لتناول الانعكاسات المترتبة على الإنسان بسبب التمييز العنصري عبر نحو **عشرين رواية ومجموعة قصصية وعملاً نقدياً .**

وبدأت شهرتها بنشر اقاصيص في المجلات الأمريكية ، جمعت عام ١٩٢٩م في مجموعة عنوانها **« فحيح الأفعى الناعم »** ، وهي عضو منذ العام الماضي في **المؤتمر الوطني الأفريقي** ونائبة رئيس **« انترناشيونال بن كلوب »** . ومن ابرز أعمالها : **« وجهاً لوجه » ، « الأيام الكاذبة » ، « ستِ اقدام في البلاد » ، « آثار اقدام نهار الجمعة » ، « غير صالح للنشر » ، « العالم البرجوازي الزائل » ،**


بيرت ساكمان


سولنجستين


جارسيا ماركيز


ليوبولد سنجور

« رفاق ليفينجستون » ، قصص مختارة » ، و« شيء ما هناك » .

اما جائزة السلام فكانت من نصيب زعيمة المعارضة في بورما « اونج صن سوكيي » ، تقديراً لالتزامها بالديموقراطية وحقوق الإنسان .

و« اونج » حالياً ومنذ عامين قيد الإقامة الجبرية بقرار من الحكومة العسكرية الحاكمة ، وهي من المتأثرات بشخصية الزعيم الهندي المهاتما غاندي ، حيث تعتمد في معارضتها على أسلوب « اللاعنف » .

وحصل على جائزة الطب (مناصفة) العالمان الالمانيان : « اروين نير » و« بيرت ساكمان » للاكتشافات التي حققاها في مجال اتصال الخلايا التي تتم عبر قنوات الايون ، والتي لها وظائف عديدة .

وذكر معهد كارولينكا السويدي في براءة منحهما الجائزة أن « الأبحاث التي اسهم بها نير وساكمان تعني ثورة في مجال بيولوجيا الخلية لانها تتيح فهم آليات امراض مختلفة وتفتح الطريق للتوصل إلى ادوية وعقاقير جديدة اقصى قوة وفعالية » .

ونال الجائزة في مجال الاقتصاد البرفسور البريطاني « رونالد كوز » لابحاثه المتميزة حول اهمية كلفة التحويل والحقوق الاقتصادية للمؤسسات .

ويعمل « كوز » المولود في ويلسون ببريطانيا عام ١٩١٠م أستاذاً للاقتصاد السياسي في مدرسة الحقوق بجامعة شيكاغو .

وحصل العالم الفرنسي « بيير جيل دي جين » الذي يعمل استاذا في جامعة فرنسا على الجائزة في مجال الطبيعة لإنجازاته في تفسير سلوك السوائل ذات الخواص البصرية والبوليمرات والموصلات فائقة التوصيل والمغناطيسيات .

كما فاز أستاذ سويسري هو « ريتشارد ارنست » بجائزة الكيمياء لتطويره اجهزة قياس تستخدم على نطاق واسع في هذا المجال ، يطلق عليها أجهزة القياس الطيفي باستخدام الصدى المغناطيسي النووي .

ويعمل « ارنست » الذي يبلغ من العمر (٥٨) عاماً أستاذاً للكيمياء الطبيعية بجامعة زيوريخ .

اليونان

مؤتمر دولي للشعراء

● احتضنت جزيرة كريت اليونانية في أواخر أيلول (سبتمبر) وأوائل تشرين الأول (أكتوبر) الماضيين أعمال المؤتمر الدولي العاشر للشعراء .

شارك في المؤتمر عدد من الحائزين على جائزة نوبل للآداب وشعراء آخرون كبار من ابرزهم الكسندر سولجنتسين وجابرييل جارسيا ماركيز وليوبولدسيدار سنجور واوكتافيوباث وكاميلو خوسيه سيلا .

رسائل جامعية

●● «تاريخ التعليم في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز خلال الفترة من ١٣٨٤هـ ـ ١٣٩٥هـ» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب للبنات في الرياض ، تقدمت بها بصيرة بنت إبراهيم الداود .

●● «عمر بن احمد الباهلي: حياته وشعره» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب التابعة للرئاسة العامة لتعليم البنات بالرياض ، تقدمت بها هند محمد الدخيل .

●● «الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي من اول ترجمة حفيف بن عبدالرحمن إلى نهاية ترجمة زارة بن ايمن : تحقيقاً ودراسة» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية اصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض ، تقدم بها حمود بن عبدالعزيز الصايغ .

●● «التحكم في تكلفة الإنتاج للمشاريع الهندسية في المنطقة الشرقية» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية تصاميم البيئة بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن في الظهران ، تقدم بها سامر احمد إبراهيم الزامل .

●● «التوبة والاستغفار في القرآن الكريم» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية اصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض ، تقدم بها بهاء الدين بن محمد فاتح عقيل .

●● «دراسة لمشكلات العلاقة الزوجية في الأسرة السعودية الناجمة عن العقم من المنظور الدينامي لحل المشكلة في خدمة الفرد» ، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بالرياض ، تقدمت بها حصة بنت سعد الشعيبي .

●● «تطوير معالج إنذارات صناعي» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم الهندسة الكهربائية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران ، تقدم بها مازن عبدالله صلاح .

●● «فاعلية الاتصالات الإدارية باقسام الشرطة : دراسة ميدانية على اقسام شرطة مدينة الرياض» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في المعهد العالي للعلوم الامنية التابع للمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض ، تقدم بها سعد بن منصور الجريسي .

●● «تاهيل المتعهدين قبل الدخول في المشاريع» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية تصاميم البيئة بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن في الظهران ، تقدم بها محسن العلوي .

●● دور التدريب في رفع كفاءة ضباط الدفاع المدني» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في المعهد العالي للعلوم الامنية التابع للمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض ، تقدم بها عائض جمعان الغامدي .

●● «فعالية نظم ملاحقة المجرمين الفارين عبر الحدود» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في المعهد العالي للعلوم الامنية التابع للمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض ، تقدم بها محمد ظافر الشهري .

●● «اثر توعية الجمهور بمهام واعمال الدفاع المدني في التقليل من الخسائر» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في المعهد العالي للعلوم الامنية التابع للمركز العربي للدراسات الامنية والتدريب في الرياض ، تقدم بها عبدالله حامد الأحمري .


محمد الماغوط

وتمحورت أعمال المؤتمر حول كل من : الحرية والإبداع ، والحفاظ على البيئة كشرط اساسي للإبداع الفني ، والشعر والأدب وعلاقتهما بالترجمة

بريطانيا

تفاعل السريانية مع العربية في لندن

● بحضور نحو (٥٠) باحثاً وباحثة من مختلف جامعات أوروبا والولايات المتحدة والشرق الأوسط ، عقد - مؤخراً - **المؤتمر الثاني لجمعية « أرام » لدراسة حضارات بلاد الشام ومابين النهرين** .

وهدف المؤتمر الذي عقد في رحاب **جامعة اكسفورد** إلى دراسة التفاعلات الحضارية بين السريانية والعربية في العراق في عصر الخلفاء العباسيين .

جائزة لرشدي !

● في تحدٍ لمشاعر المسلمين ، قامت **رابطة الكتّاب في بريطانيا** بمنح **جائزة افضل قصة للأطفال** إلى الكاتب المرتد **سلمان رشدي** عن قصته **« هارون وبحر الروايات »** .

وقد خرج **رشدي** من مخبأه خصيصاً لاستلام الجائزة في حفل أقيم في فندق دورشستر بلندن .

وفاة د . مجدي وهبه

توفي في نهاية شهر ربيع الأول الماضي في لندن الدكتور **مجدي وهبة** ، أحد أبرز المتخصصين في الترجمة والنقد الأدبي في العالم العربي ، اثر مرض خبيث في الدم .

وقد كان للفقيد دور كبير في حركة الترجمة ونقل التراث الغربي إلى اللغة العربية والتعريف به ، كما أسهم بقسط وافر في تأليف الموسوعات الثقافية العربية . ,

والفقيد عضو في مجمع اللغة العربية في القاهرة ورئيس لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة في مصر ، كما عمل وكيلاً لوزارة الثقافة ورئيساً لقسم اللغة الإنجليزية في كلية الآداب بجامعة القاهرة .

مذكرات جورباتشوف في كتاب

● ينتظر أن يصدر قريباً عن دار النشر الأمريكية البريطانية **« هاربر كولينز »** في لندن مذكرات الزعيم السوفييتي **ميخائيل جورباتشوف** عن الأحداث الأخيرة في بلاده بعنوان : **« إنقلاب آب »** .

ويحلل الكتاب أسباب انقلاب ١٩ آب (اغسطس) ١٩٩١م ونتائجه . يُذكر أن دار النشر ذاتها سبق لها أن اصدرت في ايلول (سبتمبر) الماضي سيرة ذاتية لرايسا جورباتشوف بعنوان « أملي : ذكريات وتأملات » .

مليون كتاب للاتحاد السوفييتي

● تم التوصل لاتفاق لتنفيذ مشروع **إهداء مليون كتاب لمؤلفين بريطانيين إلى الاتحاد السوفييتي** .

الكتب ينتظر ان تصل قبل نهاية العام الميلادي الحالي ، وتتنوع عناوينها مابين قضايا علمية وفلسفية وتاريخية وأدبية .

من أحدث الكتب

● **« راحة الغرباء »** للروائي **ايان ملكوان** ، صدرت في طبعة جديدة عن دار **« بيكادور »** في لندن .

● **« الأرجوحة »** ، رواية للشاعر الروائي **محمد الماغوط** ، صدرت عن دار **شركة رياض الريس للنشر** في لندن .

فرنسا

« رؤية الإسلام »

● تحت هذا الاسم أصدر **المركز الأوروبي للإعلام والبحوث** أحدث مجلة إسلامية في باريس .

وتهتم المجلة التي يديرها فرنسي اعتنق الإسلام بالتعريف بالقيم والمبادىء الإسلامية وأحكام الشريعة .

يصل عدد المسلمين في فرنسا إلى قرابة اربعة ملايين معظمهم من أصل مغاربي أو افريقي .

مكتبة دولية

● افتتحت في **باريس مكتبة دولية يُعتقد أنها الأولى من نوعها** حيث تعرض كتباً بخمس عشرة لغة ليس من بينها الفرنسية ، إلى جانب كشك للصحافة الدولية يعرض حوالي **مائة صحيفة يومية واكثر من الف دورية** من الصحف والمجلات الأسبوعية والشهرية .

وتنظم المكتبة **ندوات ادبية** يلتقي فيها الكتّاب مع قرائهم .

شبكة آلية إعلامية دولية

● انتهى خبراء من **منظمة اليونسكو** من وضع **برنامج لإنشاء شبكة إعلامية الكترونية** متخصصة لنشر برامج التكوين العلمي والتقني في المدارس الابتدائية والثانوية في جميع انحاء العالم .

يندرج هذا البرنامج في إطار **مشروع « اينسيت »** الذي بُدىء في


د . هونكه


جيمس جويس

إنجازه منذ عام ١٩٨٤م ، ويهدف إلى ترقية التبادل في مجال الإعلام الآلي والخبرات والاختراعات بين المدارس في مختلف دول العالم .

منزل من العصر الحجري

● عثر آثاريون في **مدينة هاربلي** الفرنسية على بقايا منزل سكني يرجع تاريخه إلى العصر الحجري .

ويعد هذا المنزل الذي يتخذ شكلاً مستديراً أقدم منزل تم اكتشافه ، وقد عثر فيه على عدة أنواع مختلفة من السيراميك تعود ـ أيضاً ـ إلى العصر الحجري .

ندوة لإنقاذ المخطوطات

● ناقش نحو **اربعمائة اختصاصي من ٢٥ بلداً** في ندوة اقيمت مؤخراً في باريس أفضل الطرق والتقنيات **لإنقاذ الآلاف من الكتب والمخطوطات القديمة من التلف** ، وحماية الكتب الحديثة في المكتبات من ذات المصير .

لم تسفر اجتماعات الندوة عن نتائج ملموسة لكون معظم الطرق المقترحة تضمنت من السلبيات أكثر مما تضمنت من الإيجابيات ، فضلاً عن أن كثيراً منها مكلّفة جداً اقتصادياً .

من أحدث الكتب

● « **الصداقة** » تأليف شيشرون ، ترجمة **كريستيان قوبا** ، صدر عن دار **نشر « ارليا »** .

● « **مضاءةٌ بجمالها ، ومضاء انا بحزني** » للشاعر **محمد القيسي** ، صدرت عن دار **المتنبي** بباريس .

المانيا

بيرمان يفوز بجائزة بوخنر

حصل الكاتب الألماني **«فولف بيرمان» على «جائزة جورج بوخنر»** لعام ١٩٩١م التي تعد من أرفع الجوائز الأدبية الألمانية وتبلغ قيمتها المادية (٦٠) الف مارك الماني .

و«بيرمان» متعدد المواهب ، ففضلاً عن تميّزه ككاتب فهو أيضاً موسيقي ومغنٍ ، وقد تسلم جائزته في حفل أقيم في الثاني عشر من شهر ربيع الآخر الماضي ١٤١٢هـ في مدينة دار مشتات .

من أحدث الكتب

● **«الله على حقيقته»** تأليف المستشرقة **د. زيجريد هونكه** .

ايطاليا

من أحدث الكتب

● **«ارملة الفرح»** مختارات قصصية من قصص الأدبية السورية **غادة السمان** ، ترجمها إلى الايطالية **بيرلويجي فينونا وآخرون** ، صدرت عن **نشورات «ابرامو»** في كاتانزارو .

الولايات المتحدة

مركز ثقافي إسلامي جديد

تحت رعاية سمو أمير دولة الكويت الشيخ **جابر الاحمد الصباح** افتتح مندوب الكويت الدائم لدى الأمم المتحدة **محمد ابو الحسن المركز الثقافي الإسلامي في مدينة نيويورك** .

حضر افتتاح المركز وزراء خارجية دول منظمة المؤتمر الإسلامي الموجودين في نيويورك آنذاك لحضور اجتماعات الجمعية العامة للامم المتحدة .

وتجدر الإشارة إلى أن مجلس أمناء المركز الذي كلف عشرة ملايين دولار يترأسه السيد محمد أبو الحسن .

وفاة «سوس»

توفي في جولا بالقرب من سان دييجو الكاتب الأمريكي المعروف **«تيودور سوس جيزل»** ، الذي اشتهر بكتاباته للأطفال ، عن عمر يناهز (٨٧) عاماً .

وُلد «سوس» في مدينة سبرينغفيلد بولاية ماسوشوستس وحين انهى دراسته الأدبية في منتصف العشرينات انتقل إلى باريس ، حيث قضى فيها عاماً عايش خلاله كتّاب الجيل الضائع مثل **«ارنست همنجواي» و«جيمس جويس»** وغيرهما ، ثم عاد إلى الولايات المتحدة عام ١٩٢٧م ، لكنه لم يبدأ ككاتب إلا بعد هذا التاريخ بعشر سنوات ، حيث كان أول كتبه للأطفال بعنوان «شارع مولبيري» . فكان هذا الكتاب بداية رحلة في عالم الطفل والأدب أثمرت عن **(٤٧) مؤلفاً طبع منها اكثر من مائة مليون نسخة ، وترجمت إلى (١٨) لغة عالمية** ، حاز بفضلها عام ١٩٨٤م على **جائزة «بولتيزر»** .

أقدم ديناصور

عثر في **ولاية يوانج** على هيكل عظمي لديناصور عملاق ، يرجح العلماء أن عمره يعود إلى ما قبل (١٣٠ ـ ١٩٠) مليون عام .

ويعتقد العلماء ان هذا النوع من الديناصورات كان يتغذى على أنواع أخرى من جنسه كانت تأكل النباتات .



ادوارد سعيد

ويبلغ طول الديناصور المكتشف (١٨) قدماً ، وقد تعرضت أجزاء من هيكله لعوامل البيئة ، ويقول العلماء إنه يعد من أقدم الديناصورات الشرسة التي كانت تطوف في الأرض ، وإنه كان يمشي على قدمين خلفيتين كبيرتين ، لكنه كان يقف في وضع أفقي ولا يجر ذيله .

«شرق أوسط جديد .. أسطورة أم حقيقة ؟»

تحت هذا الشعار عقد خلال شهر تشرين الأول (أكتوبر) الماضي ١٩٩١م **المؤتمر السنوي الخامس والأربعين لمعهد الشرق الأوسط** .

شارك في المؤتمر الذي أقيم في **نادي الصحافة الوطنية** بالعاصمة واشنطن كل من : د. **حنان العشراوي** من جامعة بيرزيت **ومايكل هدسون** من جامعة جورج تاون **وهام ملحم** من صحيفة السفير **وجون ايسبوزيتو** من كلية هولي كروس ، جيفري كمب من جامعة كارنيجي ميلون ، **وادوارد سعيد** من جامعة كولومبيا ، وعدد من خبراء السياسة الدولية .

ونوقشت في المؤتمر عدة موضوعات منها : **«إسرائيل والفلسطينيون : إمكانات السلام مع مصر وسورية والمملكة العربية السعودية»** ، **«الخليج ما بعد الحرب»** ، **«الديمقراطية في الشرق الأوسط»** ، و**«العالم العربي .. نظرة إلى الماضي والمستقبل»** .

ما بعد الحداثة

● **«ما بعد الحداثة»** تأليف **مامون حمزة** ، كتاب صدر عن **المعهد العربي للدراسات الثقافية** بواشنطن .

المكسيك

جائزة لشاعر عربي الأصل

منحت مدينة **اجواس كالينقيس** المكسيكية جائزتها التي تحمل اسمها في مجال الشعر لعام ١٩٩١م **للشاعر «فابيو مرابط»** الذي ينحدر من أصل عربي .

ويكتب «فابيو» قصائده باللغة الأسبانية التي لم يكن يتحدث بها أصلاً ، واستطاع أن يتقنها في مدة وجيزة وهو من الشعراء الذين يتملكهم شغف بالمدن إذ ينظر إلى الشعر باعتباره ذاكرة المدينة وسجل أحداثها .

رحيل كسادا

توفي ـ مؤخراً ـ الرسام الكاريكاتوري المكسيكي الشهير **«آبل كيسادا»** عن عمر يناهز ٧١ عاماً .

وُلد «كيسادا» عام ١٩٢٠م في مدينة «مونتيراي» المكسيكية ، وفي الخامسة عشرة من عمره بدأ الرسم ، وبدأت رسوماته تأخذ طريقها لوسائل الإعلام ، وعُدَّ من الفنانين المكثرين ، حيث كان ينجز في الأسبوع نحو ٥٠٠ رسم ، وكانت رسوماته تتميز بسخرية نادرة ، إذ طالما صوّر العالم في شكل كوميديا إنسانية .

وهو حاصل على **الجائزة الوطنية للصحافة** عام ١٩٨٠م ، وبها بدأت شهرته تتجاوز حدود بلاده إلى العالمية ، واختارته **مجلة تايم الأمريكية** عام ١٩٨٩م ضمن أحسن عشرة رسامين على مستوى العالم . وفي عام ١٩٩٠م صدر عنه كتاب في ميلانو بإيطاليا تحت عنوان **«صيّاد الأفكار»** بثلاث لغات هي : الايطالية والأسبانية والانجليزية .

كاساريس يفوز بجائزة رولفو

منحت **جائزة خوان رولفو** الدولية في الآداب للكاتب الأرجنتيني الكبير **«ادلفو بيو كاساريس»** .

ويعد **كاساريس** من أبرز روائيي أمريكا الجنوبية ، وسبق له الحصول هذا العام على جائزة «سرفانتيس» الأدبية الاسبانية ، وقد بدأت شهرته منذ عام ١٩٤٠م حين نشرت روايته **«اختراع موريل»** .

ومن أشهر أعماله : **«حلم الأبطال»** ١٩٥٤م ، **«جانب الظل»** ١٩٦٢م ، **«سرافين الأعظم»** ١٩٦٧م ، **«قصص حب»** ١٩٧٢م ، **«النوم في مواجهة الشمس»** ١٩٧٣م ، و**«قصص خيالية»** ١٩٨٥م .

كندا

حفرية لأقدم حشرة

اكتشفت في كندا ـ مؤخرا ـ **حفرية حجرية تجسّد بقايا كاملة لحشرة يعود تاريخها إلى بداية عهد ظهور صنف الحشرات** على سطح الأرض .

يؤكد هذا الاكتشاف أن ظهور الحشرات على الأرض قد بدأ في تاريخ أكثر تأخراً بكثير عما كان يعتقد العلماء ، حيث يدل على أن ظهورها يواكب نفس الفترة الزمنية التي ظهرت فيها النباتات البرية .

باكستان

أحدث الكتب

● **«الباكستان والأمن الإقليمي»** ، تأليف **محمد احسن** .
● **«جغرافية الباكستان»** ، تأليف **ج . كوريشي** .
● **«الباكستان العصرية»** ، تأليف **الدكتور منذور الدين** .
● **«الباكستان : هوية الثقافة»** ، تأليف **الدكتور جميل جليبي** .
● **«الجانب الخفي في لعبة القوة»** ، تأليف **م . اسغار خان** .
● **«الباكستان في مفترق الطرق»** ، تأليف **مشتاق احمد** .

رحلات حول العالم (١١)

بقلم : حمد الجاسر

.. وغابت اللغة العربية عن المؤتمر !

في الحلقة الماضية كتب الأستاذ الجاسر عن دعوة تلقّاها من رئيس قسم الدراسات الإسلامية في جامعة باريس لحضور مؤتمر للمستشرقين يعقد بالعاصمة الفرنسية ، وفي الأيام الأربعة الأولى من وصوله وصف انطباعاته عن العاصمة الكبيرة وأهمّ الشخصيات التي التقى بها ، وها هو يواصل ما انقطع .

وممن قابلته هذا الصباح **الأستاذ مصطفى غالب ، وهو من الباحثين اللبنانيين المهتمين بتاريخ الإسماعيلية** ، وله مؤلفات عن هذه الطائفة كما نشر بعض المخطوطات المتعلقة بها ، وكان تعارفنا عن غير قصد ، فقد تركت شعر رأسي ولحيتي مسترسلاً بدون تشذيب أو إصلاح ، فبدت لحيتي كثة أشبه بلحى (البهرة) ولعل هذا مما حمل الأستاذ مصطفى على أن يتقدم إلي مصافحاً ظاناً انني احد رجال طائفته التي يُعنَى بتاريخها ، ولقد أقمت في بيروت زمناً لم يجر بيننا تعارف مع حرصي على أن أعرف وأقابل واتصل بكل من يعنى بأي جانب من جوانب التاريخ العربي ، ولعل الفضل في تعارفنا هذا يرجع إلى لحيتي التي لفتت نظر كثير من إخواني الذين أبدوا لي عدم تناسق شعرها ، وحاجتها إلى إصلاح ، وليست هذه أول مزية للحية ، فقد خلصتني من ورطة كدت أقع فيها أثناء رحلتي إلى **(باكستان)** سنة ١٣٨١هـ (١٩٦١م) .

لقد سافرت من **جدة** يوم الأربعاء (١٣٨١/٦/٢١هـ - ١٩٦١/١١/٢٩م) إلى بيروت ، ثم من بيروت الساعة السابعة ليلاً (١٣٨١/٦/٢٢هـ) فكان الوصول إلى مطار **كراتشي** الساعة الرابعة صباحاً بتوقيت كراتشي ، والنزول في ضيافة الحكومة الباكستانية ، غير أن سفيرنا **الرجل الكريم الشيخ محمد الحمد الشبيلي** أضفى على الوفد



لقطتان من مدينة كراتشي



الصحفي من كرمه ما طوق به عنق كل فرد من أفراده ، وقد صلينا الجمعة في مسجد يؤم المصلين فيه **الشيخ مولانا خليق الزمان** الذي كان له موقف معروف حيال «اليمامة» الجريدة التي كنت صاحبها ونشرت فيها مقالاً لم يثر الاستياء في (باكستان) وحدها بل في غيرها من البلاد ، وكانت الإقامة في كراتشي أسبوعاً ، ثم **(راول بندي)** ثلاثة ايام

وفي ٤ رجب (١١ ديسمبر) في **مدينة (بشاور)** ثم العودة إلى **(راول بندي)** بعد زيارة **ممر خيبر - بين باكستان وافغانستان** - ثم الاتجاه إلى **لاهور** جواً في يوم الثلاثاء ٤ رجب ومواصلة السير إلى مدينة **(دكا)** الساعة ١٢,١٥ والوصول إليها الساعة ٥,٣٠ والسفر منها بالقطار إلى **مدينة (شيتا قونق - Chitta Gang)** والوصول إليها بعد ثماني ساعات .

وفي ليلة الجمعة (١٣٨١/٧/٧هـ - ١٩٦١/١٢/١٥م)

اقامت نقابة الصحفيين في هذه المدينة حفلة استقبال للوفد الصحفي السعودي فكان من بين المتحدثين شاب حليق اللحية صاحب جريدة ومدير وكالة أنباء غير أنه في حديثه تجاوز حدود اللياقة فهاجم صاحب «اليمامة» ورماه بأشنع فرية ، وبعد انتهاء المتحدثين طلب مني إلقاء كلمة عن الوفد ، وبعد أن قلت ما يحسن قوله في هذه المناسبة ، طلبت من ذلك المتحدث الوقوف ثم وجهت اليه سؤالاً عمن حكم بتكفير صاحب «اليمامة» وكان خطابي بالعربية يترجم إلى الانكليزية فأجاب : مولانا خليق الزمان .

فقلت : ما رأي مولانا خليق الزمان فيمن يحلق لحيته ! فلما ترجم السؤال أجاب الحاضرون بصوت واحد : كافر !! كافر !! وجلهم إن لم يكن كلهم بدون لحى ، وهكذا خرجت من تلك الورطة بفضل اللحية .

لا تستعمل اللغة العربية في المحاضرات والأحاديث أثناء الاجتماعات في جميع أقسام مؤتمر المستشرقين - حتى القسم المتعلق باللغة العربية والتاريخ الإسلامي -وكلها باللغة الفرنسية أو الانكليزية ، أو إحدى اللغات الأخرى باستثناء اللغة العربية ، وكانت تلك المحاضرات قد لخصت وطبعت في كتاب وزع على الحاضرين ، وليس بينها ما استهواني موضوعه للحضور أثناء إلقائه ، ولهذا كنت أكتفي بالتردد في مكان الالتقاء في الصباح ، وقتاً قصيراً . وفي المساء ذهب بنا **أبو رائد** إلى ناحية مرتفعة ، حيث تقع **(كنيسة القلب الأقدس)** حيث تشاهد مدينة باريس واضحة من ذلك المكان المرتفع ، ومساكن تلك الناحية صغيرة ، وشوارعها ضيقة ، ملتوية ، **وكان سكانها القدماء من (الغجر) فأخرجوا منها قهراً** ، وشيدت هذه الكنيسة الضخمة فوق هذه الأرض التي أخذت ظلماً . وفي هذه الناحية عدد من المقاهي يجتمع فيها الرسامون **ويقولون : إن (بيكاسو) أحد مشاهيرهم كان يمارس هوايته هنا** . وهم يتعرضون للزوار ، يعرضون بضاعتهم ، وقل أن يزور أحد هذه المدينة ولا يأتي إلى هذه الناحية . وبعد استراحة في مقهى من مقاهي (الشانزيليزية) وتناول العشاء في بيت الأستاذ عبدالله ، وقضاء سويعات لا تنسى مغمورين بكرمه ولطف أسرته الكريمة ، كانت العودة إلى الفندق .

الأربعاء : (١٨/٦/١٣٩٣هـ - ١٨/٧/١٩٧٣م) في **مدخل (السربون)** قامت بعض دور النشر بعرض نماذج من مطبوعاتها مما له صلة بأبحاث المؤتمرين على اختلافهم، ومنها **(بريل** Leidem E.J.Brill**) أشهر دار في أوربا تتولى نشر الكتب العربية وتوزيعها** وقد أردت شراء «**صفة جزيرة العرب**» والجزء الذي طبع أخيراً من «**أنساب الأشراف**» **للبلاذري** و «**ديوان مزاحم العقيلي**» الذي جمعه **سالم الكرنكوي (ف. كرنكو) المستشرق الألماني الذي** أسلم و «**فهرس الكتب التي باعها أمين بن حسين، في هولندا**» ، وبعد أن كتب أحد المشرفين على عرض الكتب عنواني ، وأسماء الكتب التي أريدها طلب مني التوقيع في الورقة ، فأخرجت قلمي من جيبي ووقعت به ثم أعدته فما كان من الرجل إلا أن أشار إشارة فهمت منها أنه يبحث عن قلمه ، فأخرجت له قلمي ، وأبرزت له خلو جيبي ، فصار ينظر إليّ نظر المستريب ، ولحسن الحظ كان **الدكتور عبدالعزيز الدوري** يتحدث مع **الدكتور عبدالعزيز مرزوق** على مقربة منا ، فدعوته وقلت له : خلصني من هذه الورطة ، لقد ظن أنني أخذت قلمه . وبينما **الدكتور الدوري** يحادثه ويقلب بعض الكتب إذ وجد القلم ساقطاً بينها ، فصار ذلك الرجل يكرر (إيام سوري) !! ولكن بعد أن كدت أتصبب عرقاً من الخجل ، وأحمد الله أنني لا أحسن لغته لكي أخاطبه بها ! وليست هذه هى المرة الأولى التي لدغت فيها من هذه الدار ، بل هذه هي الثانية ، أما الأولى فكانت في شهر اكتوبر سنة ١٩٦٠م حين مررت **بمدينة ليدن** عائداً من **امريكا** ، وكان مدير **جامعة ليدن** قد دعا جماعة أنا أحدهم لزيارة الجامعة ، ومكتبتها القي تضم مجموعة كبيرة من الخطوطات العربية ، وبعد انتهاء الزيارة ، وتناول الغداء في ضيافته طلبت منه أن يبعث معي من يرشدني إلى **مكتبة بريل** ، فكان أن انتقيت من مطبوعاتها عدداً من الكتب هي «**شمس العلوم**» الجزء الأول ، و «**منتخبات في تاريخ عدن**» و «**منتخبات من شمس العلوم**» **وكتاب «الخيل» لابن الأعرابي تحقيق دلا فيدا** فطلب مني صاحب المكتبة ثمناً لهذه الكتب ١٣١ دولاراً ، فاستحييت من إرجاعها وطلبت نسخة من القائمة (الكتالوج) مع قائمة الثمن (الفاتورة) ولما وصلت إلى **(بادقود سبرج) في المانيا** عرضت القائمتين على أحد موظفي سفارتنا **وهو الأستاذ صبحي خنشت** ، فوجد أن قيمة ما اشتريته لا تتجاوز ٥٠ دولاراً ، فكان أن كتبت بذلك إلى تلك المكتبة ، فكان الجواب :

(١) اعتذار عن وقوع خطأ في القيمة .

(٢) الأسعار الموضوعة في القائمة العامة قد زادت كثيراً بعد طبعها .

(٣) إعادة مبلغ زهيد تحويلاً على أحد المصارف في المملكة . وهكذا كانت اللذعة الأولى !!

ورأيت في قائمة إحدى المكتبات إعلاناً عن كتاب يتحدث عن بلادنا من جميع نواحيها العمرانية والاجتماعية والتاريخية ، فلما اطلعت عليه وجدته أحد الكتب التي الفت حديثاً ، وقد ترجم إلى الفرنسية وكنت قد قرأته وكتبت عنه إبان صدوره في «اليمامة» منذ عشر سنوات . ولما سألت صاحب المكتبة عما لديه من الكتب المتعلقة ببلادنا عرض علي كتابا باللغة الفرنسية عنوانه : Expedition en Arabie Centrale ومؤلفه ويُدعى Philippe Lippens وقد قدمه **فلبي** وتاريخ مقدمته ٨/١٠/١٩٥٤م كما وضع له **ريكمنز** G.Ryckmans مقدمة أخرى ويظهر أن المؤلف رافقهما في رحلة من **الرياض إلى وادي الدواسر ونجران وأبها وبيشة** . ويقع الكتاب في ٢١٤ صفحة وفيه ٣٩ صورة ، وخريطة واحدة توضح الطرق التي سلكها المؤلف في رحلته ، ومضامين الكتاب كما يظهر من فصوله الأحد عشر : ١ - مدخل ٢ - جدة ، ٣ - في جبال الحجاز ٤ - من الطائف إلى بيشة ، ٥ - من بيشة إلى أبها ، ٦ - من أبها إلى نجران ، ٧ - في نجران ، ٨ - الربع الخالي ، ٩ - من نجران إلى الدمام ، ١٠ - من الدمام إلى الرياض ، ١١ - الرياض . وقد أعود للحديث عنه .

خرجت أنا **والأستاذ يوسف محمد عبدالله** ، وهو شاب يمني درس في الجامعة الأمريكية ، ونال شهادة (الماجستير) عن الآثار في شمال الجزيرة ، وهو الآن يعد رسالة (الدكتوراه) في الموضوع نفسه في إحدى جامعات المانيا ، وهو من تلاميذ **الأستاذ الدكتور محمود الغول** ، وسبق أن قرأ لي بعض النقوش التي نشرتها في كتابي «**في شمال غرب الجزيرة**» .

ولما عدت إلى الفندق لم أجد الكتاب بين ما معي من الكتب ، فظننت أنني نسيته في مطعم تغدينا فيه ، فبحثت عن المطعم فلم أهتد إليه ، ولكنني بعد يومين وجدت الكتاب في مكتب الاستقبال في الفندق ، ويظهر أنني نسيته مع الأستاذ يوسف وأنه جاء به فلم يجدني ، وكما يقولون : **(الذي فيه نصيب ، ما يأكله الذيب)** .

لمحت - هذا الصباح - وأنا في بهو الاستقبال ، رجلاً هندياً ، ليس على جسمه من اللباس سوى رداء وإزرار صغيرين ، وكان حافي القدمين ، وكنت لا أزال أحتذي الحذاء الأجرب ، مع إلحاح ابنتي علي بأن أغيره لئلا أكون اضحوكة لمن يراني ، فإذا قلت لها : إنه لا يوجد في هذه المدينة من ينظر إلى وأنا اقل من أثير فضول أحد حتى لو مشيت حافياً ، لا يقنعها هذا الكلام ، بل تجيبني : بأن الانسان ينبغي أن يهتم بنفسه ويعتني بمظهره ، وكانت والدتها أوصتها بأن تلاحظ جميع شؤوني ، وهكذا كانت . سرعان ما التفتُّ - عندما رأيت الرجل الهندي متأبطا حقيبة المؤتمر ، ويزدان صدر إزاره ببطاقته -





د . علي جواد الطاهر — د . محمد الشامخ — د . عبدالرحمن الانصاري

فرأيت الدكتور الدوري على مقربة مني وكان مشغولاً بمحادثة رجل آخر ، ولكنني صرفته قائلاً : أنظر يا دكتور هذا أحد زملائنا في المؤتمر يمشي حافياً في بهو الجامعة (السربون) وقد لا أصدق حينما أقول هذا لأحد فأردت الاستشهاد بك ، فقال : وأنا على ذلك من الشاهدين وأزيدك بأنني رأيت فتيات يمشين حافيات !!

رغبت ابنتي منا قراءة بعض الصحف الانكليزية فذهبنا مساء إلى **شارع السان ميشيل** . وقبل العودة لمحت في أحد مقاهيه **أستاذنا الدكتور علي جواد الطاهر** ، وكنت حريصاً على الالتقاء به لأقدم له مجموعة من أجزاء «العرب» التي تحوي . لقات من مقاله القيم «**معجم المطبوعات في المملكة العربية السعودية**» لم تصل إليه في بغداد ، ووجدت معه **الدكتور فيصل السامر** ، **عميد كلية الآداب في جامعة بغداد** ، وبعد استراحة عندهما ذهبنا جميعاً إلى الفندق ، حيث أمضينا هزيعاً من الليل في أحاديث لا تخرج عن نطاق التاريخ والأدب والمؤلفات القديمة ، وكنت قابلت في الصباح **أستاذنا الدكتور إبراهيم السامرائي رئيس قسم اللغة العربية في جامعة بغداد** ، ثم قابلته مرة أخرى ، وكان غير مرتاح البال ، فقد تلقى برقية من صهره المقيم في لندن يخبره بأن زوجته مريضة ، وأنها بحاجة إلى إجراء (عملية) بصورة مستعجلة ، ولذلك فهو يتأهب للسفر ، بعد أن ألقى البحث الذي أعده للمؤتمر ، كما ألقى الدكتوران الطاهر والسامر بحثيهما .

●● **يوم الخميس** : (١٩/٦/١٣٩٣هـ - ١٩/٧/١٩٦٣م) قابلت في صباح هذا اليوم **الدكتور وليد عرفات** ، **أستاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامعة لانكستر في انكلترا** ، بدون سابق معرفة ، وكنت أتحدث مع أحد الإخوان ، فلما مرَّ بنا وكنا نتهيأ للذهاب إلى قاعة المحاضرات عرفني به ، ثم قابلنا **الدكتور محمد الشامخ** فذهبنا جميعاً ، ولكننا لم نطل الجلوس إذ المحاضرة بالفرنسية ، وكان يجلس بجوار الدكتور عرفات **الأستاذ شارل بلا** ، فسألني : أتعرف هذا ؟ إنه فلان وأشار إليه . فقلت : لا وأودُّ أن أعرفه فقد تكاتبنا ، وقد عرفته بما قرأت من كتاباته وتحقيقاته لبعض مؤلفات الجاحظ .

وبعد حديث بيننا خرجنا ، وأبديت رغبتي **للأستاذ شارل بلَّا** في زيارته في مكتبه . وكنت قد وضعت في صندوق بريده ورقة كتبها **الدكتور حمد الخويطر** أوضحت فيها عنواني ، ويظهر أنه كان غارقاً في أعمال المؤتمر إلى أذُنيه ، فقد قال لي : إنه لم يطلع على الورقة ، وأنه لا مكتب له ، ولما أخبرته بأنني أحضرت له أجزاء من «العرب» كان كتب إليَّ بأنَّها تنقص مجموعته ، لكي يبعث من يتسلمها من الفندق الذي أوضحت له عنوانه قال : بأننا سنتلاقى . صعدت مع الدكتور وليد إلى المقهى (الكافتريا) في الدور الخامس .

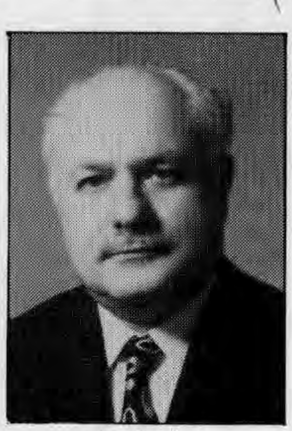
ولما استقر بنا الجلوس إذا **بالدكتورين عبدالرحمن الطيب الأنصاري وعبدالله العنقاوي** يأتيان ، فكانت ندوة أدبية حول شعر حسان ، وتاريخه وما يتصل بهما ، إذ **الدكتور وليد عرفات** قد قام بتحقيق **شعر حسَّان** ، ونشره في مجلدين نشراً علمياً ثم حان موعد إلقاء محاضرة عن **(الله)** جل جلاله فنزل الدكتوران لسماعها ، وذهبت مع الدكتور وليد إلى الفندق ثم ذهبنا لتناول الطعام الغداء في أحد المطاعم القريبة منه ، وبينما كنا مستغرقين في الحديث عما نعيش في جوه بأفكارنا ، لا بما يحيط بنا ، إذا بإنسان يجلس أمامنا يصوب نظراته نحونا ، ويجري قلمه على ورق أمامه ، ويكرر تصويب نظره تكريراً يثير الاستغراب ، ومظهر ذلك الإنسان يبدو عليه الوقار ، وهندامه حسن ، وقد بلغ مرحلة الكهولة من عمره ، وبعد أن انتهينا من تناول الطعام ، تقدم إلى الدكتور ومدَّ إليه الورقة التي كان يكتب فوقها ، وحدثه باللغة الفرنسية ، فقال لي الدكتور :

إن هذا يقول : بأنه رأى في ملامح وجهك ما دعاه إلى أن يرسم صورتك ، فهو يعتذر عن هذا إذا كان فيه شيء من المضايقة ، ويقدم لك الصورة ، فسألته : أيريد مكافأة ؟ فقال الدكتور لا كلمة (مرسي) تكفيه . ولما أبصرت خرابيشه ولا أريد أن أقول صورتي - استعذت بالله من الشيطان الرجيم -، وذكرت **قصة الجاحظ مع الفتاة الماجنة** التي طلبت منه أن يتبعها ، فسار خلفها حتى وقفتْ به على صائغ فقالت له : كهذا !! وانصرفت . فسأل الجاحظ الصائغ عن المرأة وعما أرادت منه ، فقال : إنها طلبت رسم صورة الشيطان على خاتمها وأن الصائغ لم ير تلك الصورة حتى يتمكن من رسمها ، فكان أن رأت في صورة أبي بَحْر ما أرادت ، ولئن كان الجاحظ يتخذ من السخرية أسلوباً للتعبير عن آرائه ، وأنه في كثير من الأحيان يلذ له أن يسخر من نفسه ، فإنني لا أفعل ذلك ، وها هو الرسم الذي تخيله الباريسي الفضولي لي ، ولئن كنت فهمت من الدكتور وليد عرفات أن فيه ملامح صادقة تعبر عن قسمات وجهي وخاصة أثناء إصغائي لاستماع الحديث ، فإنني أرجو ألا يكون ذلك حقاً .

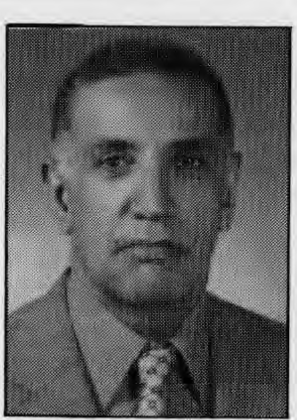
لقد سُررت - رغم بشاعة هذه الخرابيش - بأن في وجهي من الملامح والقسمات ما يجد فيه الفضوليون من الرسامين ما يستهويهم ولو كان ذلك على حدّ قول الشاعر : **(وأرحم القُبْحَ فأهواه)** كما سررت وأنا في **(مراكش)** عندما سلَّم عليَّ أحدهم ظاناً أنني **الدكتور عمر فروخ - زميلي في مجمع اللغة** - وحمدت الله على أن في خلقه من يدانيني[٣] خلقة .



حمد الجاسر كما صوّره أحد الرسامين



د. إحسان عباس



د. إبراهيم السامرائي

كنت في الأيام الماضية كلما رأيت من توسمته من بلاد الهند أحاول التحدث إليه ، فأبدؤه بالسلام فبعضهم يردُّ علي ويصغي إلى سؤالي ، وبعضهم ينظر إليَّ باشمئزاز - أو هكذا كنت أتصور - ويزوي وجهه منصرفاً ، وكنت حريصاً على أن أعرف شيئاً عن **أستاذنا الجليل الشيخ عبدالعزيز الميمني** ، وكان أكثر من أتحدث معهم عنه يقولون : إنه بخير ولكنهم ليسوا من (باكستان) ، وبينما أنا أتحدث مع بعض الأخوان إذا برجل يتقدم مني مسلّماً ، فذكرت أنني رأيته ولكنني نسيت اسمه ، فذكرني أنه زارني مع **أستاذنا الدكتور إحسان عباس** في بيروت ، وأنه من (باكستان) ويُدرّس في إحدى الجامعات الأفريقية ، فقلت له : إذن أنت تعرف الشيخ الميمني ؟ فقال : معرفة سماع لا رؤية ، ولما رأى حرصي على أن أعرف حال الشيخ قال : تعال أدلك على أحد تلاميذه **(فلان الندوي)** وعنده الخبر اليقين عنه . وكان الندوي في قاعة المحاضرات ، فلما دخلنا القاعة من أعلى مدرجاتها انصلت مسرعاً إلى أسفلها ، ولم استطع مجاراته في النزول فجلست في أعلى المدرج ، ثم أطال المتحدث حديثه بما لا أفهمه فخرجت أنتظر صاحبنا عند الباب ، ويظهر أنه خرج ولم أبصره .

زارني في المساء أحد أبنائنا الذين يدرسون في انكلترا ، وهو **الأستاذ حمزة بن قبلان المزيني - من مُزَينة - من سكان المدينة** ، **وهو يقوم بدراسة لهجة قبيلة حرب التي أصبحت مزينة فرعاً من فروعها** ، وقد بعثته جامعة الرياض ليحضر لشهادة (الدكتوراه)، لم يجدني في الفندق فاتصل بي هاتفياً في الساعة التاسعة ليلاً فاجتمعنا الساعة العاشرة والنصف .

وزارني أيضاً **الأستاذ أيمن** ابن صديقنا **الأستاذ فؤاد السيد** - رحمه الله - وهو شاب طُلَعَةٌ تخرج في كلية الآداب في جامعة القاهرة ، ثم عمل في (معهد المخطوطات) التابع للجامعة العربية ، ثم تكالب عليه بعض أعداء والده وحاسديه مع أن والده - رحمه الله - فيما أعتقد لا عدو له في حياته ، فخرج من المعهد ، وهو يعمل الآن في المعهد الثقافي الهولندي ، وقد نشرت «العرب» بعض أبحاثه ، وهو يُعنى بتاريخ اليمن ، وقد ألّف كتاباً عن مصادر تاريخه ، قال لي إنه سيصدر قريباً : وكان أعد بحثاً لإلقائه في المؤتمر عن وصف اليمن في **كتاب «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمري** .

كانت جولة مع أبي رائد في المدينة ، واستراحة قصيرة في أحد مقاهي شارعها العظيم ، فعودة إلى الفندق ، وبعد التأهب للنوم اتصل بي **الأخ الأستاذ المزيني** فأمضينا الهزيع الأول بل النصف من الليل حتى الساعة الثانية عشرة نتجاذب الحديث عن موضوع رسالته ، وفي موضوعات تاريخية مختلفة ، وكان أن أبديت له استغرابي من شدة عناية المستشرقين بدراسة اللهجات العربية ، وتوجيههم بعض أبنائنا للاشتغال بدراستها ، وإن كنت أدرك أهمية دراسة اللهجات من الناحية اللغوية الصرفة ، إلا أنني أرى أن هناك من جوانب تاريخنا ما يفوقها أهمية ، وأشرت إلى أن أحد أبنائنا من **الأحامدة من حرب** - أيضاً - وضع رسالة (الماجستير) عن لهجة قبيلته ، وهو من موضوع بحث الأخ المزيني . فكان مما أوضحه لي أن موضوع رسالته يختلف عن الموضوع الذي طرقه **الأخ الحازمي** من حيث الشمول ، يضاف إلى هذا أن قبيلة حرب كثيرة الفروع ، مختلفة المساكن متفرقة ، ولهجتها مختلفة بحسب هذا التفرق والتباين من حيث الفروع ، والأخ الحازمي درس لهجة فرع من القبيلة يقيم في جهة خاصة . وأن اللهجات هي الآن في طريقها إلى الانقراض بسبب تأثير الحضارة القوي في إزالة الفوارق ، وتقريب المسافات وقوة الاختلاط لا بين القبائل العربية التي تجمعها بلاد واحدة وروابط روحية واجتماعية فحسب بل حتى بين الشعوب المختلفة ، ولهذا فدراسة اللهجات لها صلة بالمحافظة على أثر من مميزات لغتنا التي هي إحدى مقومات كياننا . وقد يكون لبعض الغربيين غاية لا تتصل بهذا الجانب ، لأنهم يطلقون على بعض لهجات الشعوب التي تجمعها اللغة الواحدة اسم (لغة) بدلاً من (لهجة) فيقولون اللغة المصرية يعنون اللهجة . وهكذا استمر حديثنا ذا شجون حتى آذننا صاحب المقهى بالانصراف بالبدء بإغلاق محله .

●● **يوم الجمعة** : (٢٠/٦/١٣٩٣هـ - ٢٠/٧/١٩٧٣م) حرص كثير ممن حضر المؤتمر على التحدث ، فكان أن اتصل بعضهم بالمشرفين على تنظيم إلقاء المحاضرات لذلك ، والمعروف أن المحاضرات والأحاديث تقدم إلى المؤتمر قبل الزمن المقرر لعقده ، ليتسنى النظر فيها ، وتقرير ما ينبغي بشأنها ، ثم تحديد زمن إلقائها ووضعها في (البرنامج) وهكذا فعل المؤتمر في المحاضرات والأبحاث التي قدمت له في وقت مبكر ، فقد لخصها في كتيبات ثلاثة ، وحدد زمن إلقائها في (البرنامج) اليومي المطبوع في كتيّب أيضاً ، وقد وزعت تلك الكتيبات على كل من حضر المؤتمر قبل افتتاحه ، ومع أن ستة أيام المؤتمر قد شُغِلت كل ساعاتها المخصصة لإلقاء المحاضرات شغلاً كاملاً ومُملاً بحيث أن كثيراً من المتحدثين لا يشاهد أمامه في قاعة المحاضرة إلا عدداً قليلاً من المستمعين ، وأذكر أنني حضرت لاستماع إحدى المحاضرات المتصلة بالتاريخ العربي ، أنا وابنتي ، فلفت نظري قلة الحاضرين فعددتهم فإذا هم لم يبلغوا العشرين ، ومع ذلك فقد خرج بعضهم عند البدء في الإلقاء .

مع كل ما تقدم فقد حرص بعض الأساتذة على إلقاء محاضرات كانوا أعدوها ويظهر أنها لم تصل إلى المؤتمر إلا بعد الانتهاء من تنظيم ما سيلقى فيه ،

فكان أن وضعت إدارته جدولاً إضافياً يتضمن أسماء الذين تقدموا إليه بطلب الحديث ، وخصصت لهم الأوقات التي قد يتخلف فيها أحد المحاضرين ، وأذكر من هؤلاء **الدكتور وليد عرفات** ، **والدكتور مجاهد محمود الصواف** ، **والأستاذ أيمن فؤاد السيد** ، وموضوع محاضرة الدكتور الصواف عن المفسرين في القرنين الأولين من الهجرة ، أما موضوع محاضرة الدكتور وليد عرفات فكان غريباً حقاً ، كان عن **(بني قريظة)** ولا أدري هل وجد أحد من هؤلاء سعة من الوقت للتحدث بما لديه أم لم يجد ، ثم لا أدري ما سبب الحرص الشديد على إلقاء محاضرات على جانب كبير من الأهمية في هذا المؤتمر والأمر كما ذكرت ؟!.

رأيت في صباح هذا اليوم **الدكتور وليد عرفات** ، وبعد تبادل التحية قال : إنه ذاهب لمكان المحاضرات لكي يرى فيما إذا وجد متسعاً من الوقت لإلقاء محاضرته ، وبعد المرور السريع في قاعة الاستقبال خرجت مع **الدكتور إبراهيم السامرائي** ، فجلسنا في أحد المقاهي حتى قاربت الساعة الثانية عشرة فانصرف كل واحد منا لشأنه .

●● **السبت** : (٢١/٦/١٣٩٣هـ - ٢١/٧/١٩٧٣م) هذا اليوم هو آخر أيام المؤتمر . وقد بكرت في الذهاب إلى مكان الاجتماع لأحظى بالالتقاء ببعض من أرغب الالتقاء بهم لعلي استطيع معرفة ما أتوق إلى معرفته ، ومن أهم ذلك :

١ - معرفة شيء عن الشيخ الميمني .

٢ - الحصول على بعض المؤلفات المطبوعة المتعلقة بالجزيرة وخاصة **رحلة شارل هوبر** والكتاب المتعلق بآثار الحجر .

٣ - طريقة الحصول على صور بعض المخطوطات في **المكتبة العامة في باريس** .

٤ - البحث عن كراسة طبعت قديماً عن **زيارة الشيخ أمين بن حسن الحلواني هولندا** وحضوره مؤتمر المستشرقين أثناء انعقاده سنة ١٨٨٣م (١٣٠٤هـ) ، أي منذ تسعين عاماً .

مَرَّبي **الدكتور صلاح الدين المنجد** وأنا أطالع عناوين بعض الكتب المعروضة ، ومن بينها **مؤلف لابن أبي عجيبة** ، فأشرت إلى اسم المؤلف سائلاً عن موضوعه فقال : إن هؤلاء لا يُعْنَون إلا بالكتب التي لا تمثل الإسلام تمثيلاً صحيحاً ، ثم تحدث عن إحدى المحاضرات التي ألقاها مدير جامعة دينية في بلاد عربية عن القرآن الكريم ، وما فيها من أمور لا تتفق مع البحث العلمي الصحيح ، وفي هذه الأثناء لمحت **الأستاذ الدكتور شكري فيصل** ماراً فلحقت به وسلمت عليه ، فوجدته متأثراً من جو باريس ويشكو توعكاً في صحته ، وأخبرني بأنه ذاهب إلى إحدى قاعات المحاضرات . فحدثته عن الشيخ الميمني - والأستاذ شكري هو أمين مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي العربي) والشيخ الميمني من أعضائه ، فبادرني قائلاً : أبشرك أنه بخير ، فقد كتبت إلى **الأستاذ محمد الطيب** أسأل عنه ، فتلقيت جواباً منه لم يمض على تاريخه أكثر من شهرين ، وقد علَّق على الكتاب الشيخ الميمني بخط يده بما يفيد بصحته وحسن حالته . ثم أضاف الدكتور : ولقد حرصت على إبلاغك بهذا ، وإبلاغ الأستاذ **خير الدين الزركلي** أن الحوادث الأخيرة في لبنان حالت بيني وبين المجيء إلى بيروت كما كنت أفعل قبل حدوثها .

ولعل معرفتي بصحة أستاذنا الميمني - أسبغ الله عليه ثوبها وأطال عمره - خير ما استفدته يومي هذا ، ومن خير ما عدت به من حضور هذا المؤتمر من خير العوائد ، أما عن الكتب فقد قيل لي إن البحث عن المطبوعات القديمة يتطلب خبرة بالمكتبات التي تُعنى بها ، وتصوير المخطوطات من دار الكتب العامة يحتاج إلى بعض الأمور التي لا يتيسَّر للمسافر العابر القيام بها ، وأما الكتيِّب الذي كنت اطلعت عليه في **مكتبة جامعة ليدن** ، وأهديت إليَّ نسخة منه فلم أهتمَّ بها لأنها باللغة الألمانية - المتعلق **بالشيخ أمين بن حسن الحلواني** - فعندما سألت الأستاذ شارل بلَّا عنه أثناء اجتماعي به قال : إن من أول العلماء العرب الذين حضروا مؤتمر المستشرقين **ابن شنب** . ولكنني أخبرته بأن الحلواني قبله ، فلم يعرف عنه شيئاً ، ولما ذكرت له أنه مترجم في «**دائرة المعارف الإسلامية**» قال : دائرتنا ؟ ولم يزد .

ذهبت مع **الدكتور شكري فيصل** إلى أحد أمكنة المحاضرات بعد أن رأينا في البرنامج أن محاضراً سيتحدث عن **مخطوطة من كتاب «العبر» لابن خلدون** فيها زيادات تتعلق بتاريخ البربر عن المطبوعة ، فذكرت للدكتور شكري أن **الأستاذ عدنان درويش** - من دمشق - ذكر أنه اطلع على مخطوطة فيها بضعة عشر فصلاً ليست في المطبوعة ، وأن تلك المخطوطة في **المكتبة العامة في (صوفيا) قاعدة بلاد (بلغاريا)** . وفي أثناء سيرنا قابلنا شابٌ في مدخل المكان الذي نقصده فقال لي الدكتور : تعال أعرفك بهذا فهو يحسن اللغة العربية ومن هولندا ، فاغتنمتها فرصة لسؤاله عن عالم عربي زار بلاده قبل تسعين عاماً فقال : **أمين بن حسن المدني** ، فأدركت أن لهذا العالم شهرة عند المستشرقين الهولنديين أكثر من غيرهم ، ولما سألته عن الكتيب المتعلق به وكيف الحصول عليه ؟ قال : إن فلاناً - سماه - وهو ممن حضر المؤتمر وسيتحدث في موضوع عربي - ذكره ونسيته - هو خير من يخبرك عنه ، فطلبت منه كتابة اسم الرجل وعنوانه ، فقد لا تتيسر لي مقابلته هذا اليوم فكتب لي اسمه وعنوانه : S.J. Koningsveld Rapenburg Universiteits biblioteek-Leiden .

ومررنا **بالأستاذ شيبَّات مدير المعهد الألماني للدراسات الشرقية في بيروت** قبل سنوات ، وكنت عرفته في بيروت مديراً للمعهد الألماني للأبحاث الشرقية فسألته عن **الأستاذ رودلف زلهايم محقق كتاب «نور القبس»** ، وقد جرى التعارف بيننا بعد أن نشرت كلمة عن ذلك الكتاب[٤] أوضحت فيها ملاحظات تتعلق به ، فكان هذا سبب التعارف والتواصل بيننا ، بينما كانت كتاباتي عن بعض المطبوعات التي يقوم بها بعض أساتيذنا وإخواننا من العرب سبباً للقطيعة ومدعاة للوقيعة أيضاً وقد أخبرني **الأستاذ شيبَّات** أن **الأستاذ زلهايم** لم يحضر ، وأضاف : إنه لا يحب حضور المؤتمرات .

(للحديث صلة في العدد القادم)

الهوامش

(١) للأستاذ عبدالله الطويل ثلاثة ابناء : رائد ومنيرة وأوس . (٢) انظر ص ٦٤ منه . (٣) انظر «العرب» س ٧ ص ٨١٠ . (٤) انظر مجلة «العرب» السنة الأولى ص ٤٥٢ .

تجربة العقاد مع الشعر

بقلم : أ. د. عبده بدوي

لعلّه يجيء في المقدّمة أن أهمَّ مفتاح من مفاتيح شخصية عباس محمود العقاد هو أنّه كان لا يرضى بغيْر الصّدارة في الفن والحياة ، وأنه كان يَسْعى أن يكون العلامةَ الواضحةَ في المجتمع والواحدَ الصحيح في الفن ، وابتداءً لقد كان المجتمع من حوله راكداً على الرّغم من هبوب نسماتٍ ضعيفة تتمثّل في الأفغاني ومحمد عبده والبارودي والمرصفي .. الخ ، ومع أن الدائرة كانت تَنْداح بتوالي ظهور شخصياتٍ مثل سعد زغلول ، وحسن توفيق العدل ، وسليمان البستاني ، وقسطاكي حمصي وشوقي وحافظ ومطران .. الخ إلاَّ أن كلَّ ذلك كان واهناً في نظره ، ومرتبطاً في الأعم الأغلب بالماضي ، ومع أنه رغب في دخول هذا العالم برفْق - مع شكري والمازني - إلاّ أن هذا العالم قد اسْتعصَى عليه ، ومن هنا نراه يعملُ على أن يقتحمهُ اقْتحاماً مع تلك المجموعة التي اصْطُلح على تسميتها جماعة الديوان ، وهو ابتداءً ينكر على مصر الكثير مما تأخذ نفسها به ، فهي مثلاً تُغلِّب الضرورةَ ، وتُحكِّم الحاجةَ في أمور الحياة ، وآيةُ ذلك أنّها مثلاً تَعْني بالزّرْع والاسْتِنْبات ، بينما لا تُعنَى بغَرْس الزّهر اكتفاءً بجلبه من أماكن بعيدة ليستْ بأخْصب من مصر ، ولا بأصْلح منها لِغَرس الأزهار واسْتخراج الأعطار .

مرحلة التكوين

ولعل هذا هو الذي جعلهُ يقول بغضب :

اعملْ لِخُبْزك ما اسْتَطعتَ فإنّـه
في مصْرَ أنْفسُ ما أبتغى الأحْرارُ
ما مصْرُ بالوطن الذي تَعْلو بـه
هِمَمُ النّفوس ، وتَعْظُم الأوْطـار
أرضٌ يجودُ البُـرُّ فـوقَ أديمهـا
لـلآكلـين ، ولا يَجُـورُ الْغـارُ !

وهو يرفع صوته بغضب فيقول :

بئسَ الزّمانُ لقـد حَسِبْتُ هـواءهُ
دنَســاً ، وأن بخَــارَه لا تَطهـرُ
سبقَ اللئامُ إلى ذُراهُ فقَهْقهـوا
إن القُرودَ لبا لتسـلُّق أخْــبَر
مـا نيـلَ فيــه مَطْلَـبٌ إلاَّ لـه
ثمنٌ من العـرْض الـوفـير مقـدَّر
وبقدْر ما بـذلَ امـرؤٌ مـن عرضـه
يَرْقى.. فاكبرُ مـن تـراهُ الأصْغـرُ

ونراهُ يُشَبِّه هذه الفترةَ بما كتب **شارلز ديكنز** في الفصل الأول من **قصّة المدينتين** حين يقول عن الثّورة الفرنسيّة : إنَّه كان **أحسنَ** الأزمان وكان أسْوأ الأزْمان .. بين أيدينا كلُّ شيء وليسَ في أيدينا أيُّ شيء ، وسبيلُنا جميعاً إلى قَرار الجحيم ، وفي ضوءِ هذا كان الاصْطدامُ المدوِّي بالمجتمع ، وكان ظهور كتاب **«الدِّيوان» مع المازني** ، وكان تأكيده على أن يرتفعَ القارىءُ إليه لأنه لن يهبط إليه ، وعلى حدّ تَعْبيره : لن أكون مروحةً للكسالى والنّائمين !

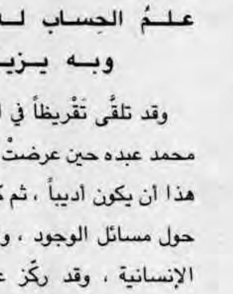
ولقد حشد نَفْسَهُ في أوّل الأمْر بمحصول من الشعر الديني الذي يُقال قبل الأذان ، وعلى مجاراةٍ لِلْمُنْشدين في ندوة القاضي الْمُبْعد إلى أسْوان الشيخ أحمد الجدّاوي ، وكانت أول قصيدة كتبها في مدْح العلوم وهو في سنِّ التّاسعة ، وكان أوّلها :

علـمُ الحِساب لـه مـزايا جَمَّـةٌ
وبـه يـزيـدُ المرءُ في العِـرْفان

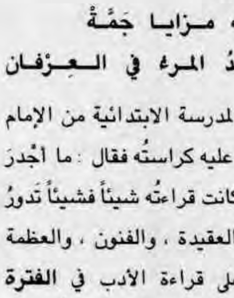
وقد تلقَّى تَقْريظاً في المدرسة الابتدائية من الإمام محمد عبده حين عرضتْ عليه كراستُه فقال : ما أجْدرَ هذا أن يكون أديباً ، ثم كانت قراءتُه شيئاً فشيئاً تَدورُ حول مسائل الوجود ، والعقيدة ، والفنون ، والعظمة الإنسانية ، وقد ركّز على قراءة الأدب في **الفترة الرومانتيكية** باللغة الإنجليزية ، ولم ينس التّعمق في قراءة الأدب العربي ، وعبَّر عن هذا بقوله :

لا أُحبُّ الكتبَ لأنني زاهدٌ في الحياة ، ولكن أحبّ الكُتبَ لأنّ حياةً واحدةً لا تكْفيني ، ومهما **ياكل** الإنسانُ فإنّه لن يأكلَ بأكثر من معدةٍ واحدةٍ ، ومهما يتنقَّل في البلاد فإنّه لن يستطيعَ أن يَحلَّ في مكانيْن ، ولكنَّه بزادِ الفكر والشّعور والخيالِ يَسْتطيع أن يجمعَ الْحيَوات في عُمْرٍ واحد(١) .

المازني



خليل مطران



عصامية واعتزاز بالنفس

ومن ثَمّ كان اهتداؤه إلى مذهب إنساني عربي مصري ، وإلى تَصْحيح مفهومات الشّعر والحياة في الوطن وفي الحضارة العربية ، وبخاصّة الفهم الخاطىء الذي كان سائداً عن الأدب القومي ، ذلك لأنّ القوميةَ يجبُ أن تظهر في خوالج النّفوس لا في أسماء المعالم ، وعناوين المُدن ، ولما كان الالتفاتُ إلى الماضي سِمةً من سماتِ العصر ، فإنّه كان من الضّروري أن يُفرِّق نَقْدياً بين البهرج وبين الجمال ، وبين العقبةِ وبين الطّلاقة ، ثم إنه اهتمّ مبكراً بمحاربة التيّار المادي الذي يُرْجع كلَّ شيءٍ إلى الاقتصاد ، وعلى حدّ تَعْبيره : هات الشاعر الذي ينظم قصيدةً واحدةً يحبِّب فيها الزهرةَ إلى المصريين ، وأنا الزّعيمُ لك بأكْبر المنافع الوطنية ، فالشعرُ شيء يتّصلُ بالإنسان من حيث هو كائنٌ حيٌّ لا من حيث هو ابنُ وطنٍ ، أو ابن جامعة أخرى من لغةٍ ، كما تحدَّد موقفه في هذه الفتْرة من الجماهير التي كَنَى عنها بالملك ديموس فقال : إنه مستبدٌ قاهرٌ ، يدعون إليه كثيراً ، ويُثْنونَ عليه كثيراً ، ولكنّه بعد كلّ ما يُقال من مَدْحٍ لسياستِه وثناءٍ على حكومته عُتُلٌّ أحمقُ مأفونُ الرَّأي بليدُ الطّبع ، قَذِر الْعَيْنَـيْنِ والأظافر ، قد يستحقُّ الصَّفْع أحياناً ، ولكنَّه لا يجدُ الكفَّ الغليظةَ التي تملأُ خَدَّهُ العريضَ الطّويلَ ، فلذلك لا يَصْفعهُ أحدٌ ، أوهم يَصْفعونه بكفٍ غير الكف التي تَصْلح له ، فيعتدُّ الصَّفْعَ مزاحاً رشيقًا ، وتربيتًا رقيقًا(٢) ، فإذا أضفْنا إلى هذا أن كلّ شاعرٍ كان يَعْتمد على ركيزةٍ ، **فشوقي** كان يعتمدُ على **الخديوي** ، **وحافظ** على **محمد عبده** ، **وآل سليمان** ، **وخشبة** ، **ومطران** على **آل لطف له** ، بينما كان يرى هو أن من

الأوفق أن يعتمد الشعراءُ على أنفسهم ، وأن تكون لهم مشاركةٌ في الحياة ، ونحن نَعْرِفُ أنه كان قد انْضَمَّ إلى جمعية سرية من مُتطرفي الحزب الوطني ، واختير لعمل فدائي لم يتمّ على يديه ، بعد أن وقع اقتراعٌ بينه وبين **إبراهيم ناصف الورداني** .

ومن ثمّ كان **مقْتل السّردار** ، على أنه لم يكن راضياً تمام الرِّضا على مبادىء هذا الحزب(٣) ، ومن ثم نراه يلتحقُ بحزب الوفد ، ويصبح كاتبه الأوّل ، والمُقدَّر عند سعد زغلول الذي كان يسميه الكاتب الجبار ، وكان مما قاله له : لو حاسبني كلُّ فردٍ في الأمة حسابك يا فلان لعجزتُ عن أعباء هذه الوكالة ، فكان ردّ على سعد : يا باشا .. ولكن ليس كلُّ فرد في الأمّة عباسَ العقاد ،



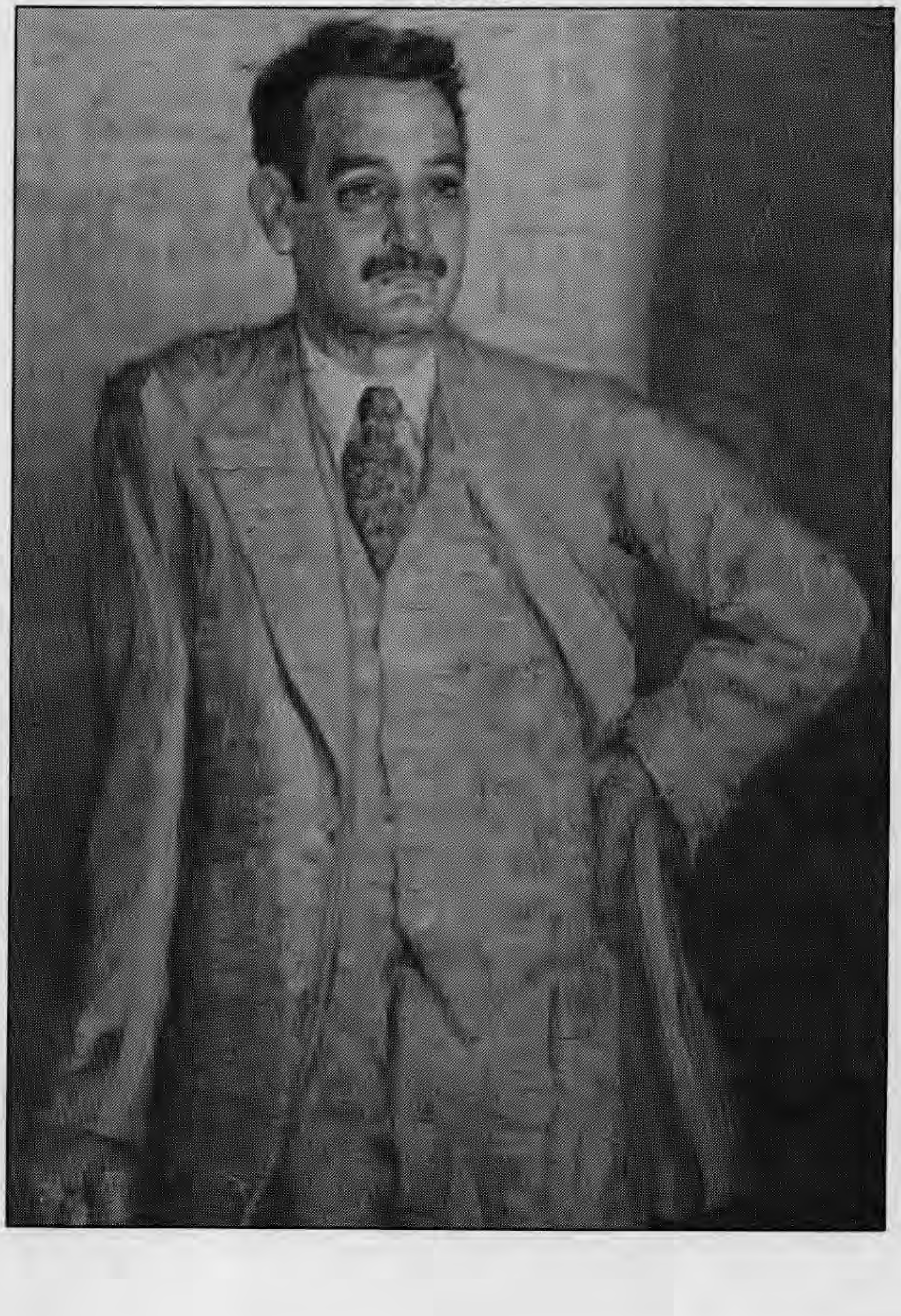
سعد زغلول



مصطفى النحاس

ويروى أنه قال لسعد حين احتضن مشروع إمارة شوقي : إنّك حين تُعيِّن عمدةً تَسْتشير أهْلَ القرية ـ وأنت رجل الشورى ـ فكيف تُعيِّنُ علينا أميراً دون أن نُسأل(٤) ، وعلى الرّغم من اسْتقلاله في الرّأي ، ومعارضته لسعد زغلول فقد عُرف دائماً بأنّه يقول كلمةً عقّادية لا كلمة وفدية ، ولكن سعداً **يموت عام ١٩٢٧م ، وتُؤَلّفُ وزارة نسيم باشا ، وحين يرى الوفد مُهادنتَها نراهُ يرفض هذه المهادنة ، ويقول : لن تَنْتهي «بَرِيَّةُ» هذا القلم إلاَّ وقد انتهى أجَلُ هذه الوزارة ، ـ واخرج قلماً صغيراً من جيبه(٥) ـ ، وحين يدخل في جدل مع مصطفى النحاس باشا حول هذه القضية يقول النّحاسُ : انا زعيم الوفد ، فيردُّ عليه : إنّك زعيم الوفْد لان هؤلاء الذين حولك اجلسوكَ على هذا الكرسي ، امّا انا فإنّ قلمي وحده هو الذي وضعني في مكان قَدَّرهُ رئيسُك سعد زغلول ، وقَدَّرتْهُ الامّة !**

عباس محمود العقاد



ويكون فراقٌ ، وخروجٌ من الوفْد ، فقد رأى أن يدور الوفدُ حول أفكاره ، لا أن يدور هو حول أفكار الوفْد ، وقد حاربه الوفْد في عَيْشِه ، ولكنّه واصل السَّير في طريق جناحاه : الحريّة ، والديمقراطية ، وكانت مساندتُه للسعديين في جريدة الأساس في عهد احمد ماهر ، ومحمود فهمي النقراشي ، ولكنّ هذه المساعدة كانت جانبيَّة لأنّه رأى أن يتفرَّغ للكتابة الأدبية ، وأن يؤكّد للديمقراطية ، فسُئِل لماذا هو ديمقراطي فقال : لأنني لستُ بالمُذِلّ ولستُ بالذَّليل ، ولستُ بالمؤْمن بصلاحية الاسْتِبْداد في جميع الأحوال ، فالحريّةُ في أقبح أوْصافها خَيْرٌ من الاسْتِبداد ، وقد شبعَ العالمُ من عيوبِ الحكم المطلق الوفاً بعد الوفٍ من السنين(٦) .

وقد كان من الطّبيعي أن يصطدم بالملك ، فحين سمع أن الملك فؤاد سيعطِّل الدّستور ويحلّ البرلمان ، قال : إن الأمةَ على اسْتعدادٍ لأن تَسْحقَ أكبر رَأْسٍ في البلاد يخونُ الدستور ، ولا يصونُه ! وقد أُحيل للمحاكمة بتهمة العيْب في الذات الملكية في أكتوبر عام ١٩٣٠م ، وحُكم عليه بالسجْن تسعة أشهر ، وظلَّ وفيّاً لنفسه ولآرائه ، فقال بعد الخروج من السجن :

وكنتُ جنينَ السِّجْن تسعةَ أشهر
فها أنذا في ساحةِ الخُلْد أولدُ
عِداتي وصَحْبي لا اخْتلافَ عليهما
سَيَعْهدني كُلٌّ كما كان يَعْهَدُ
ففي كلِّ يومٍ يولدُ الشخصُ ذو الحِجَا
وفي كلِّ يوم ذو الجهالة يُلْحَدُ
وما غيَّبتني ظلمةُ السّجن عن سنا
من الرأي .. يتلو فَرْقدٌ منه فَرْقدُ

حاطم الأصنام

وكان من الطبيعي أن يُواصل إدانته للحكم المطلق ، فألّف كتاب «**الحكم المطلق**» و«**اليد القوية في مصر**» ، و«**هتلر في الميزان**» ، و«**النّازية والأديان**» ، و«**الشّيوعية والإنسانية**» ، وقد بالغ في حَرْبه للشيوعية والصهيونية ، وفي الوقت نفسه أكثر من

الكتابة عن الإسلام ، وبخاصة حين كتب سلسلة العبقريات ، فقد نشطتْ من حوله المذاهب الماديّة ، ومذاهب النّشوء والارتقاء ، ولكنه كان يكرهُ الشكَّ كمنهج في التّفكير ، وكان مع الفطرة في الإسلام ، ومع الدّعوة إلى يقظة الحسّ والشّعور والتّخيّل في الأدب ، انْطلاقاً من إيمانه بالله ، والنّظر إلى جميع الأحياء كأنّهم تجربةٌ واحدة تَنْجلي عن مَقْصد واحد ، وأخيراً فأفضلُ القيم الفلسفية عنده هي : قيمةُ الذّاتية ، وقيمةُ الحرية ، وكلّ هذا كان ينطلق أساساً من إيمانه الثّابت بوجودِ ذات مُدبرةٍ لهذا العالم ، وبالمنطق الذي لا يعقل عالماً بغير خالق أو بوجود العدم قبل خلْق الكون ، ومن أقواله في هذا : لماذا يزعم الزّاعمون بأن ثمّةَ اختلافاً جوهرياً بين مسار النّجوم والكواكب من جهة ، والأفراد والأمم من جهة أخرى بحيث يؤكدون الانتظام والإرادة في الأولى والعشوائية في الثانية ؟ ثم إنه لا يقال عن دين إنه يَزْدري الفنّ الجميل إذا كان الجمال من مطالبه .. تلك كانت آراؤه الرئيسية التي بنى عليها ، ولم يتناقضْ معها فقد وقف مع معتقداته ، ومع نفسه ، وكان يحلو له أن يُحارب ضدَّ الأقوياء : وهذا أوعر مسالك الحروب الشعواء في جميع الميادين ، وما أكثر ما عبَّر عن هذا شعراً كقوله :

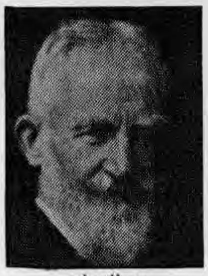
عِشْ آمِن السِّرْب كما يُبْتغى
ما نحنُ مِمَّنْ يَحْسد الآمنين
إنَّ حياةَ الأمْن مشنوءةٌ
في شرْعنا مِثل حياة السَّجين
أيتُها الأخطارُ عَلَّمْتِنَا
بأنّنا الأحرارُ .. لو تَعْلمين !

وكحديث الطّويل عن المجدّ والخلود حتى في الشيخوخة كما في قصيدة «العقاب الهرم» ، وقد كان من الطبيعي أن يألم حين تقدَّم الدكتور طه حسين في الحصول على جائزة الدّولة التقديرية ، وأن يجد نفسه مشغولاً بجائزة نوبل ، فقد ألَّف كتاب جوائز الأدب العالمية - مثل من جائزة نوبل - عام ١٩٦٤م ، وكتب عن رامون خمنيز الذي فاز بها ، كما كتب عن برنارد شو الذي رفضها ، وانتهى إلى القول : إن جائزة نوبل ليستْ شهادة مُحققةً برجحان من ينالها على من تتخطّاه ، وإن كثيرين ممن لم ينالوها أرجح قدراً ، وأثبتُ فضلاً ، وأشيع ذكراً من الفائزين ، وينتهي إلى القول : إننا لم نشتغل بحديث الجائزة لأنّنا نطلبها ، فربما توافر لنا من عوارض طلبها ما لم يتوافر لغيرنا[٧] .

وهو يدرك قيمة نفسه ، ويرسم لعالمه عدة صور كقوله في قصيدة «حاطم الأصنام» :

أنا حاطِمُ الأصنامِ والقُبَبِ
ألحقتُ منها الرأسَ بالذَّنَبِ


طه حسين


برنارد شو

في أمّةِ الألقابِ أسبقُهم
سَعْياً بلا نَعْتٍ ولا لقب
في أمّةِ الأموالِ أتركُهم
بعدي بلا مالٍ ، ولا نَشَب
في أمّةِ الأنسابِ أُنْشِيء لي
نَسَباً من العلياء والأدب
عجباً وقل ما شئت من عجب
إني شبيهُك أنت في عجبي

ومن ثم كان عكوفه على تراجم العظماء ، مع أنه كان محباً للعزلة ، مطبوعاً على الانطواء ، وكان لا يَسْعى إلى هؤلاء العظماء الأحْياء ، فمعرفته بهم محدودة ، فهو لم ينشط لمقابلة المشاهير إيماناً منه بأن الرّؤية لحظة أو لحظات تقصر عن عالم القراءة ، فهو ممن لا يملكون ملكة الارتحال[٨] ، ولعلّ وراء ذلك أنه أخلص نفسه للأدب فلم يتزوَّج ، وكان وقوفه إلى جانب الفردية ، وما يحكم هذا قوله : إنَّ الناس تَغيظُهم المزايا التي نَنْفردُ بها ، ولا تغيظهم النقائص التي تعيبنا ، وأنهم يكرهون منك ما يُصغرهم لا ما يصغرك .. فالمقياس الذي تعيش به حياته هو النّهم إلى المعرفة ، وهو التّفرّد بين الآخرين !

الفن الأول للعربية

إذا كان هذا هو رأيه في الحياة السّياسية على وجه الخصوص ، فإنه رأى أن يطبِّق هذا في اللّغة والشعر ، فقد كان كل منهما هو الوجه الآخر للحياة ، ذلك لأنه كان يرى ابتداءً أنّ اللغة العربية من أقدم اللغات الحديثة ، وأنها قوامُ الحياة ، فزوَالُها ـ بعكس اللغات الأخرى ـ لا يُبْقي للعربي أو المسلم قواماً يميِّزُه من سائر الأقوام ، ولا يعصمه أن يذوب في غمار الأمم فلا تبقى له باقيةٌ من بيان ولا عُرْف ، ولا معرفة ولا إيمان ، ثم إن جهازها في النّطق على أتمّه ، وأنها بُنيتْ على نَسَق الشّعر ، ويتلاقى فيها تعبير الحقيقة وتعبير المجاز على نَحْو لا يعرفُ له نظير في سائر اللغات ، وأن خاصّة الأوزان والحركات تجري فيها على حسب معاني المشتقات ، بالإضافة إلى خاصّة الإعراب ، وارتباط قواعدها بالحركات ، ودلالة هذه الحركات على معانيها دلالة تسمحُ بالتّقديم والتأخير ، ووضع الكلمة في الموضع الذي يناسبه مبنى البيت ولا يخل بمعناه[٩] .

أبو نواس



المتنبي



فإذا جئنا للشعر وجدناه يراهُ الفنَّ الأول للعربية ، وأنه أسبق من النَّثْر لأنه فطرة والنثر تعليم ، ولأنه لا تناقض بين القُدرة على العمل ، والقدرة على القول ، ثم إنه كان يملك أُذُناً مَضْبوطةً على إيقاع الكلمة العربية ، ويرى أن الشّعر ضرورةٌ للإنسان الناطق ما دام يَنْطقُ ويعقل ويترقّى بالنّطق في مدارج الكمال ، فهو تعبيرٌ عن النّفس الإنسانية في الطبيعة والحياة ، ثم إنّه يُعمِّق الحياة فيجعل السّاعة من العُمر ساعات ، وهو لا يَفْنَى إلَّا إذا فَنِيَتْ بواعِثُه ، وما بواعثُه إلَّا محاسن الطبيعة وخوالجُ النفس ، ولو كان للعقاد أن يختار الخلود في صفة واحدةٍ من جملة صفاته لاختار منها الشاعر .

وقد استعدَّ لهذا بالقراءة المستوعبة في تراث الحركة الرّومانتيكية شعراً ونقداً ، وبالقراءة الجادة في العربية ، وبخاصة الذين كتب عنهم كابن الرّومي ، وأبي نواس ، وعمر بن أبي ربيعة ، وجميل بثينه ، والمتنبي ، وأبي العلاء ، ودعبل ، وبشار ، وابن زيدون ، وابن حمديس .. الخ ، واهتمامه الخاص كان بابن الرّومي لأنّه مُعبِّر عن وجهة نظره في الشعر ، فديوانه ترجمة باطنية له ، وفنّه جزء من حياته ، فهو كما جاء في التمهيد الشاعر من فرعه إلى قدمه ، والشاعر في جيّده وفي رديئه ، والشاعر فيما يحتفل به ، وفيما يلقيه على عواهنه .

وإذا كان قد حرصَ على أن يؤكد أنَّ ثلاثية الديوان لم تتأثر بالتيار المعاصر له ، وإنما هم الذين أثروا في هذا التّيار ، فإنّه كان من الطبيعي أن يُقَنِّنَ للشعر ، فبدأ بهدم المفهومات السائدة ، وقلَّل من حجم شوقي وحافظ على وجه الخصوص ، وقال : إن الشعر قيمة إنسانية وليس قيمة لسانية ، وتعبيرٌ عن نَفْس صاحبه ، وأن القصيدةَ بنيةٌ عضوية يقع كلّ جزء منها في موقعه ، كما تتألّف الأجسام من الجوارح والأعضاء ، وأن

الشعر الجيد يمكن أن يسطع في كل لُغة بالترجمة ، وفي الوقت نفسه لا يخْلو من عنصر التّفكيرعلى نحو مـا نعرف من شيكسبـير ، وجوتـه ، والخيـام ، والمتنبي .. فلابدَّ من التّفكير في الحسّ ، والحسّ في التفكير ، وقد وقف على الشبه بين الشعر وبين الدين ، وعلى أن المصري القديم كان يَعْنيه التَّخْليد قبل أن يعنَى بالنَّقل عن نماذج الطبيعة ، وما أكثر ما قال شعراً في هذا :

الحبّ والشعرُ ديني في الحياة معاً
دِيـنٌ لـعمـرك لا تَنْفيـه أديـان
هي الحيـاةُ جنـينُ الحبِّ من قـدمٍ
لـولا التجـاذبُ ما ضمَّتـك أكـوان
والشّعـر السنةُ تُفضي الحيـاة بهـا
إلى الحيـاة بمـا يطـويـه كتمـان
لـولا القريضُ لكـانتْ وهي فـاتنـةٌ
خـرسـاء ليس لهـا بـالقـول بنيـان
والشعـرُ من نفس الـرحمنِ مُقْتَبَسٌ
والشـاعـرُ الفـذُّ بـين النـاس رحمن
ما دامَ في الكون ركنٌ للحيـاة يُرى
ففـي صحـائِفـه للشّـعـر ديـوان!

ويقول :

لذّة العيش في التّوحّد والـ .... شعر ، وفي الحب ، والكرى ، والغناء ، فالأصل عند العقاد هو الحياة الشاعرة لا الحياة العاقلة ، والحقيقة الباطنة تُدرك بوجدان الشاعر وقلبه لا بمنطق العالم وراسه(١٠) .

مع إمارة الشعر

ويبدو انه كان في نفسه شيءٌ من **إمارة شوقي** التي تمَّتْ في حياة **سعد زغلول في ابريل عام ١٩٢٧م** ، ومن هنا نراه يؤلّف النّشيد القومي عام ١٩٣٤م ، ويفكّر البعض في تكريمه وتأميره ، فيكون حفلٌ لذلك تحت إشراف النحاس باشا ، ويكون احتشادٌ للمثقفين .

وقد أراد الدكتور طه حسين أن يردّ له الجميل لموقفه الرّائع من محنة **الدكتور طه حسين** حين ألّف كتابه في **الشعر الجاهلي** ، على الرغم من أنْف الحكومة ، وعلى كل فإنه يقامُ حفلُ التكريم على مسرح الأزبكية في ٢٧/٤/١٩٤٥م ، ويكون **الدكتور طه حسين** في مقدمة المتحدثين فيذكر أنّ **العقاد** شاعرٌ فذّ ، وأنَّه يجدُ عنده ما لا يجده عنْد غيره ، فهو متفردٌ غير مقلّد ، ولا يسْتطيعُ أن يقلّد ، فلا يرى في شعره إلاّ العقاد ، ثم نراه يبدي إعجابه بقصيدة **«ترجمة شيطان»** التي تدور حول إيقاع الشيطان الناس في الشّر ، وحين يتم له ذلك يحتقرهم ويكْفر هو بالشّر «أرأيتم شيطاناً يكفر بالشّر إلاّ عند العقاد ؟» ، ثم إن الشيطان قد حصل على عفو من الله ، وكان أن اذن الله له بدخول الجنَّة والعيش


احمد شوقي


حافظ إبراهيم

مع الملائكة ، ولكن الشيطان يرفضْ هذا كلّه ، ونراهُ متحدياً ينكر على الله آياته ، ومن ثم يتحدّى الله أن ينزل به المكروه ، ولكن المكروه ينزل به ، فإذا به يَتَحوَّل إلى حجر ، ثم يقول الدكتور طه حسين : هذا الشيطان هو شيطان العقاد وشعره ..

ونحن لا نَنْسى أن العقاد قدم لهذا العمل المركب في أول الأمر فقال : غامتْ على نفسي في أواخر الحرب العُظمى ، وفي إبّان الحوادث المصرية المعقبة لها غيمةُ شك مُؤْذٍ ، وغيظ شديد ، تناولتْ بالرَّجة كلَّ قواعد الرأي العام ، وشوّهت بالزّراية كلّ حالة من حالات الوجود الإنساني ، فلم ار للحياة حكمةً ولا معْنى ، ولم أجِد لها مساغاً في صورة من صورها ، أو غاية من غاياتها ، ووقر عندهُ أنّها كما قال سليمان الحكيم بعد تَجْربتها : قبض الرّيح ، وباطل الأباطيل ، وفي أيام هذه الأزْمة النّفسانية نظمتُ قصيدة ترجمة شيطان هذه وبضع قصائد أخرى» .. **ثم يذكر بعد ذلك تراجعه إلى ما أخذ به نفسه من قبل من الحق ، والعـدْل ، فالحقّ كـائن في صميم الأشيـاء ، والوجود ، والباطل نقيضان لا يتّفقان إلاَّ كما يتّفق الوجوُد والعدم في مظهر واحد .**

الجمال والحرية

وتتوالى الدّواوين الأولى في أعوام ١٩١٦ ، ١٩١٧ ، ١٩٢١ ، ونراه مع المازني يُصْدر جزأين من كتاب الديوان كنوع من النّقد التّطبيعي ، وينتهي إلى أن **شعر شوقي** ليس بشعر النَّفْس الممتازة ، ولا بشعر النَّفْس الخاصّة ، وكان يحلو له أن يقول : إن شعر شوقي كالتّفاحة القديمة ، وشعر حافظ كالجميز الغضّ الطازج ، وكلّ هذا كان نوعاً من التّطبيق على أراء الشاعر التي تحدّدت ، والتي تبدأ بفكرة أن المحكَّ الذي لا يخطيء في نَقْد الشعر هو إرجاعه إلى مصدره ، فإن كان لا يَرْجع إلى مصدرٍ أعمق من الحواس ، فذلك شعر الطِّلاء والقشور ، وإذا كنتَ تلمحُ وراء الحسِّ شعوراً حياً ، ووجداناً تعودُ إليه المحسوسات ، فذلك هو شعر الطَّبْع القوي ، بالإضافة إلى الاعتقاد بأن الفكر يُنوّر العمل ، والعمل يُغَذّي الفكر !

وقد كان من الطَّبيعي أن يشغل نفسه بالفلسفات المثالية بادئاً بالكتابة في **البلاغ** عام ١٩٢٤م ، عن **عمانويل كانط** ، وعن **ماكس نوردو** ، ويهتدي إلى الإيمان بالرّوح ، ففي المادة تستطيع أن تشكّ وتُفْرط في الشك بعكس عالم الرّوح ، ثم نراه يأخذ نَفْسه ـ وأمَّتَهُ ـ بالجدِّ كل الجد ، ذلك لأن اعتبار الأدب ملهاةً أو تسلية يُسْلِمُ الشِّعر إلى التّزويق ، والْبهرج الكاذب ، والولع بالمحسنات اللفظية والمغالطات الوهميّة .. وهو حين يستعرض خريطةَ الأدب العربي يرى أنه لم يَهْبط في الجاهلية أو في عصر صدر الإسلام وبني أميّة ، ولكنه هبط وتطرَّقْت إليه كثير من عيوب اللفظ والمعنى في أواسط الدولة العباسية ، ومعنى هذا أن هذا الهبوط قد ارتبط بالتَّمسُّح بالطَّبقة العُليا لوجود التّسلية والمنادمة في وقت الفراغ ، ومن ثم كانتْ المبالغة و**«التَّصنع»** وإدارة الظّهر للطبع ، ولعلّ هذا يذكّر بما حدث للأدب الفرنسي في أعقاب عهد لويس الرابع عشر ، وكيف أن هذا قد استمرّ حتى قيام الثورة الفرنسية ، وقُلْ مثل ذلك في كلِّ عهد انحطاط مُنِيَتْ به الآداب والفنون في جميع الأمم والأزمنة ، ومعنى هذا انه كما يكون الأدب تكون الحياة ، إن جداً فجد وإن هَزْلاً فهزل(١١) .

وقد كان من الطبيعي ان يَهْتدي إلى قضيتي الجمال والحرية ، فالجسم الجميل هو الجسم الحر الطليق ، ثم ان الجمال عنده يُغَلِّب الحرية على الضّرورة ، والحرية ليستْ فوضى ، فالفنون كلما ازداد نَصيبُها من الحرية ازدادت طبقتها في الجمال والنَّفاسة ، وكلما قلّ نصيبها من الحرية بعدت عن الفن الجميل ، واقتربتْ من الفن التّطبيقي والمشاغل الضرورية ، وكان الجمال هو غاي الحياة القُصوى التي هي أسْمى من جميع ما نناله من المنافع والأغراض ، ومطلب الحرية يتطلّب الصدق الفني الذي يتطلّب بدوره الاداء الجميل المحكم ، فلابد له من قاعدة وأصول ، والقاعدة لا تذهب بصدق التّصوير والأصالة ، بل تؤكدهما ، ومن غير القاعدة والاصول يدخل الشعر في عالم الفوضى ، فالحياة كلّها عمل فني ، وهي محكومة بالأصول التي تحكم بيت الشعر ولحن الموسيقا ولوحة المصور .

وقد رأى نفسه في شبه مأزق لأنه كان يؤكّد للشعر العربي انه مستقل بنفسه ، وانه يدخل في باب التّفرد ، ففي أعلى الآحاد يوجد الأحد الصَّمد الذي هو سِرّ الحياة ، بينما أدنى الآحاد هو الذي يأخذ نفسه بالمحاكاة ، ولكن الشعر في الحضارات الأخرى يَعْتمد على الفنون الأخرى كالرّقص والغناء والحركة .

فقوام الشّعر عند العبرانيين كانت وراءهُ أناشيد الصَّلاة ، واناشيد المسْرح كانت وراء اليونان ، أما العرب فكان كلّ ما عندهم «الحُداء» ، ولم يكن عندهم

المسرح أو الصلوات الجامعة المنتظمة التي لها مواعيد ونصوص .. ثم إنّه استعرضَ تاريخ حركة الشعر في مصر ، فرأى أن آلاف السّنين قد مرَّتْ دون أن يوجد فيها من يستحق أن يُطْلقَ عليه اسم الشاعر ، فإذا نظرنا للصورة من قريب ، وجدنا أن الشعراء ـ إلاَّ قليلاً ـ يرجعون إلى أنساب غير مصرية ، ووجدنا أنّهم لم يثابروا على النَّظم بعد الثّلاثين أو الأربعين ، وكأن الأمر متصل بالشباب لا بالبيئة وسليقة القومية ، وقد ظل هذا الواقع يُعذِّبه حتى أدرك أن هناك مصر الشّاعرة المتمثلة في «حَلَقَات الإنشاد» في الليالي المقمرة تحت ظلال النّخيل ، فمن رأى هذا يصعب عليه إنكار الشاعرية المصرية ، خاصّة وأننا نعرف أنّه يَشْهد لأدب العامية بالملاحم ، وأنه كان يعجب بالأغاني الرّيفية والصّعيدية ويرى فيها الصراحة والصّحة والبلاغة ، وكثيراً ما كان يردّد بعضها كالأغنية التي تقول :

خَبَـط الـهَــوا عــالبـــابْ
قــلــتْ الــحــبيــبْ جَــــالي
اتــريـــك يــا بـــاب كــذّاب
تنــهـــدّ مـــن عـــالي !

بل له اسهام في الكتابة بشعر العامية[12] .

مواقف وآراء

من كلّ هذا نراهُ وضع أكثر من تَقْنين لظاهرة الشعر ، وكيف جاء شعرهُ كقطعة من «البرونز» وُزنتْ على قَدْر معانيها كما يرى **معاوية محمد نور** ، أو كقطعةِ الجرانيت التي يكافح المثال في نحتها كما يرى **د. زكي نجيب محمود**[13] .. فهناك الصّلابة والصِّدق وروعة القالب ، وليس معنى هذا أن يكون الشعر صَقْلا ومهارةً وكياسةً ، لأنَّ كل هذا يمكن أن يُكتب حين يصبح الشاعر «بلاطياً» كشوقي ، وحين يجدُ أنه لا مَفَرَّ له من «كسوة التّشريفة» ، وأنَّ كلَّ شيء عنده مُكتسب[14] بالمرانة والتَّدريب ، وبوضع «العلامة الصّناعية» على السِّلعة المصنوعة ، وهكذا نراه قدّم مفهومات جديدةً للشعر ، وبَعُد عن دائرة النّظامين الذين لم يقدموا إلاَّ أصدافاً كابن نباتة ، وصفي الدين ، أو لآلىء رضيعة كابن المعتز وابن خفاجة .. ذلك لأن ما قدّموه لم يكن مصحوباً بالطبيعة الحيّة ، والإحساس البالغ ، والذّخيرة النّفسية التي تتطلّب التعبير والافتتان فيه ، فالشاعر من يشعر بجوهر الأشياء ولا يعدّدها ، ومن يعتبر كل شيء يصلحُ للقول على نحو ما فعل في ديوان «**عابر سبيل**» ذلك لأن كلُّ ما نخلع عليه من إحساسنا ، ونبثُّ فيه هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا هو شعر وموضوع للشعر لأنّه حياة وموضوع للحياة .

وكما أدان المدرسة الفنية والبلاغية والاجتماعية ، اقترب من مدرسة النّقد السيكولوجي أو النفساني لأنها مدرسة يمكن أن نَسْتغْنى بها عن غيرها ، وفي الوقت نفسه نراه يدين المدارس الجديدة كالمستقبلية ، والتّقسيمية ، والوحشية ، والرمزيَّة ، والسيرياليَّة ، فقد كان يرى في كلٍّ ذلك ألغازاً وأحازجيَ ، أما التّجديد فكان يراه في النظرة والتجربة بمعنى أن يكتب الشاعر ما في نفسه ، ولا يحْذو حَذْو الآخرين ، فغاية التَّجديد عنده أن يتَّخذ في كلّ عصر طريقة تناسب كل عصر ، وقد كان مستقبلياً حين قال : **إن القيود الصّناعية سيجري عليها أحكامُ التَّغيير والتَّنْقيح ، فإنّ أوزاننا وقوافينا أضيق من أنْ تَنْفسح لأغراض الشاعر التي تفتَّحتْ مغالق نفسه ، وقرأ الشعر الغربي فرأى كيف تَرْحب أوزانهم بالأقاصيص المطولة والمقاصد المختلفة ، وكيف تلين في أيديهم القوالب الشعرية فيودعونها ما لاقُدرة لشاعر عربي على وضْعه في غير النثر ؟.**

ألا يرى القارىء كيف سهّل على العامة نظم القصص المسهبة ، والملاحم الضّافية الصّعبة في قوافيهم المختلفة ؟ وليت شعري بمَ يَفْضل الشعر العامي الشعر الفصيح إلاَّ بمثل هذه المزية ، ولقد بارك ما في ديوان شكري والمازني من القوافي المرسنة والمزدوجة والمتقابلة ، ولا يقول إن هذا هو غاية المنظور من وراء تعديل الأوزان والقوافي وتنقيحها ، ولكن يعدُّه تهيئةً المكان لاستقبال المذهب الجديد ، لأنه ليس بين الشعر العربي وبين التّفرغ والنَّماء إلاَّ هذا الحائل ، ومتى اتَّسعتْ القوافي لشتَّى المعاني والمقاصد وانفرج مجال القول أمكن الاكتفاء بموسيقية الوزن عن موسيقا القافية الواحدة ، بل لقد أورد نماذج من الشعر القديم على ما يُسمى الشعر المرسل[15] ، ولكنه تراجع عن هذا الموقف ، وتساءل هل كلّ جديد تطور مطلوب ، ففي الجديد ما هو عبث زائل ، وما هو نكسة إلى الوراء ، وهل يستطيع القارىء أن يدلَّ على قصيدة من الشعر الذي يقال إنه جديد من غير أن يدلَّ على قصيدة منه بغير الإشارة إلى صاحبها ، أو الإتيان بمثلٍ من سطورها ، وشَطْرٍ من شطورها[16] .

.. وكما أخذ موقفاً من الشعر الحر ، أو من الشعر السَّايب ـ كما كان يسميه ـ ، فإنه أخذ موقفاً من مدارس التَّجديد في الفن التشكيلي ، ولن أنسى موقفه في لجنة التفرغ حين طلب الفنان **آدم حنين** أن يتفرَّغ ، وقدَّم قطاً كعمل من أعماله في النَّحْت ، فما كان منه إلاّ أن رفض موضوع التفرّغ ، بدعوى أنه إذا قدّم فأرّاً من هذا القط المنحوت فإن هذا الفأر لن يفزع من هذا القط ، ولعلّه جسد على رأي **الزعيم سعد زغلول** حين قال : **إنما أحبُّ الشعر الواضح المبين ، أما الشعر الذي يُحْوجني إلى التَّنجيم فلا أستطيعه**[17] .

ريادة متعددة

ومجملُ الرأي أنّه ـ انطلاقاً من اعتداده بشخصيته وقدراته ـ أراد التَّجديد الحقيقيّ في القصيدة الغنائية ، وأعطانا ثقةً في اللغة ، وغَيَّر مفهومات النقد الموروث ، وأعطى للشاعر قيمة حقيقية حين دعا إلى ما سماه «**شعر الشَّخصية**» .

وفي الوقت نفسه أضافَ إلى المفهومات العربية السليمة ، المفهومات الغربية ، خاصة ما يتصل منها بمفهومات المدرسة الرّومانتيكية كالرّبط بين الحرية والجمال .. لولا عناء سيطر عليه في الفترة الأخيرة حين أدان حركة ما يسمى بالشّعر الحر ـ وبعض مدارس الفن التّشكيلي ـ مع أنّه في الحقيقة يجيء في الطليعة من روَّاده ، وذلك حين قال في وقت مبكر بطرح وحدة البيت ، وبناء القصيدة على حركة الصّورة وتَسَلْسلها ، بل وبناء بعض شعره ـ كشكري والمازني ـ على التَّفعيلة الواحدة ، وإلحاحِه على تَعْديل الأوزان والقوافي وتَنْقيحها من وقت مبكر ـ على نحو ما نعرف من مقدمته للجزء الأول من ديوان المازني ـ .

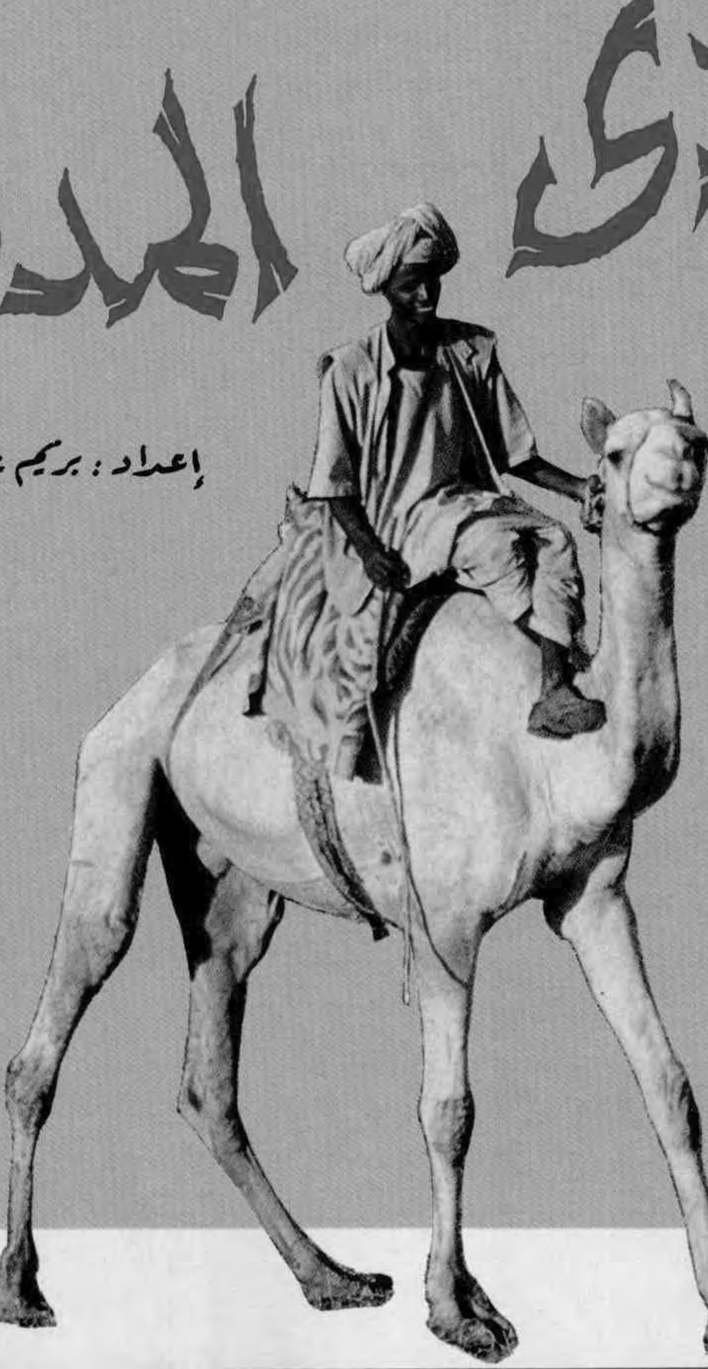
.. **لقد اعتبر كلَّ ذلك تهيئةً لاستقبال «المذهب الجديد» ، ولكن حين أقيم الحفل للمذهب الجديد لم يكن من شهوده ، ولم يكن من المتحمسين له ، بل كان من الذين عبسوا في وجهه !**

هوامش وتعليقات

(١) البلاغ ١٩٢٣/٢/٢٦م ، (أنا) ص ١١١ ، ١٢٩ ، ط : دار الهلال .
(٢) مطالعات في الكتب والحياة ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، وساعات بين الكتب ١٣٦ وديموس يعني الشُّعب باليونانية .
(٣) بحوث ودراسات في ذكرى العقاد . وزارة الإرشاد والأنباء الكويتية ٧٣ .
(٤) سعد زغلول ط : ١ ص ٥٥٩ .
(٥) ذكرياتي في صحبة العقاد . محمد طاهر الجبلاوي ١٢٥ .
(٦) حياة قلم ص ٢٢ .
(٧) جوائز الأدب العالمية ص ١٨ ، ١٩ .
(٨) من الملاحظ أنه أرجع فشل ابن الرومي إلى أسباب منها طول مقامه ببغداد ، وقلّة معرفته بالناس «لأنّه كان مقيماً أمام أعينهم» ابن الرومي . كتاب الهلال ١٦٢ .
(٩) أشتات مجتمعات في اللغة والأدب ١٢٧ ، اللغة الشاعرة ص ٥ ، وما بعدها.
(١٠) مهرجان الشعر السادس ١٩٦٥م ، دراسة للدكتور زكي نجيب محمود ٢١ .
(١١) مطالعات ٣ ، ٤ .
(١٢) من ذكرياتي في صحبة العقاد ط : ١٩٦٧ ، ص ٧٩ ، ٩١ وما بعدها .
(١٣) دراسات في الأدب والنقد ٢٠٧ ، مع الشعراء ص ٨٠ ، وما بعدها . ط : ٢ .
(١٤) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ١٨٦ .
(١٥) مطالعات ٢٩٥ .
(١٦) العدد ١٥ من مجلة الشهر . مايو ١٩٥٩ م دراسة بعنوان نكسة لا تطور للعقاد .
(١٧) سعد زغلول للعقاد ط : ١ ، ص ٥٨٤ .

بدو الرشايدة
شعوب تتحدى المدنية

إعداد : بريم عبدالرزاق



تعتبر قبيلة الرشايدة اكثر القبائل الإفريقية شهرة ، لكونها تشتهر بكثرة الترحال في ارض الله الواسعة بحثاً عن موطن الماء والكلأ ؛ ورغم بُعد افرادها عن المدنية ، فإن ذلك لم يمنع شبابها من التطلع نحو أمل التمدن ،ولكن الآباء لهم راي آخر لن يحيدوا عنه ابداً .

أصلهم وتوزعهم

إن البحث في أصل «بدو الرشايدة» يؤدي بنا إلى القول بأن سلالتهم تنحدر من اصل عربي ؛ ويعود أصل وجودهم بأرض السودان إلى القرن التاسع عشر للميلاد ، عندما هاجرت هذه القبيلة من المملكة العربية السعودية متجهة نحو قارة افريقيا ، وبالضبط إلى السودان عابرين البحر الأحمر «RED SEA» ؛ ويمكن اليوم أن نجدهم

بدو الرشايدة

يتجـولون بـين **جبـال «كسـلا»** «KASSALA» و**نهـر «أتبـرة»** «ATBARA» ، حيث **يبلغ عدد أفراد هذه القبيلة نحو (١٥) ألف شخص متوزعين في عدة تجمعات سكانية مبعثرة** على مستوى تلك المنطقة ، وما أن يضيق العيش بهم في هذه الناحية حتى تراهم يتوغلون نحو الجنوب ويتجمعون من جديد على مقربة من **مدينة «كسلا»** .

أخــــلاقهم

يشهد لبدو الرشايدة بالشجاعة الكبيرة ، فهم أناس لا يرضون بالذّل ولا بضياع أرضهم ، فعندما وطئت أقدامهم أرض بلاد السودان دافعوا عنها ضد المستعمر الغاشم بكل شجاعة وحزم في كل من منطقتي «الهدندوة» «HADDENDOWA» ، و«**الشكرية**» «SHUKREYA» .

ولا ننسى أن ننوه بكرم الضيافة وحفاوة استقبال ضيوفهم ، فهم يقدمون لهم أفضل ما عندهم من الأجبـان وحليب المـاعـز والنوق والزبدة والشاي .. الخ .

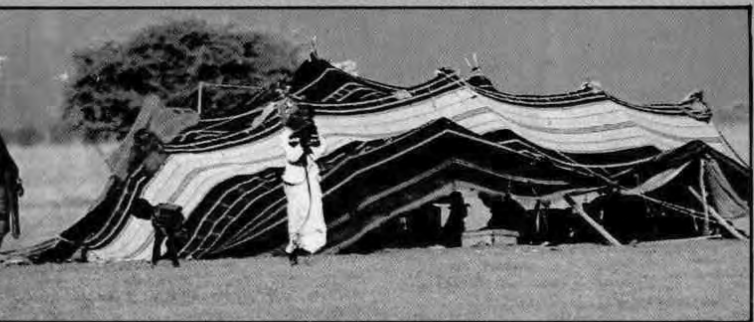


موقع وجود تجمعات قبيلة الرشايدة

توزيع المهام

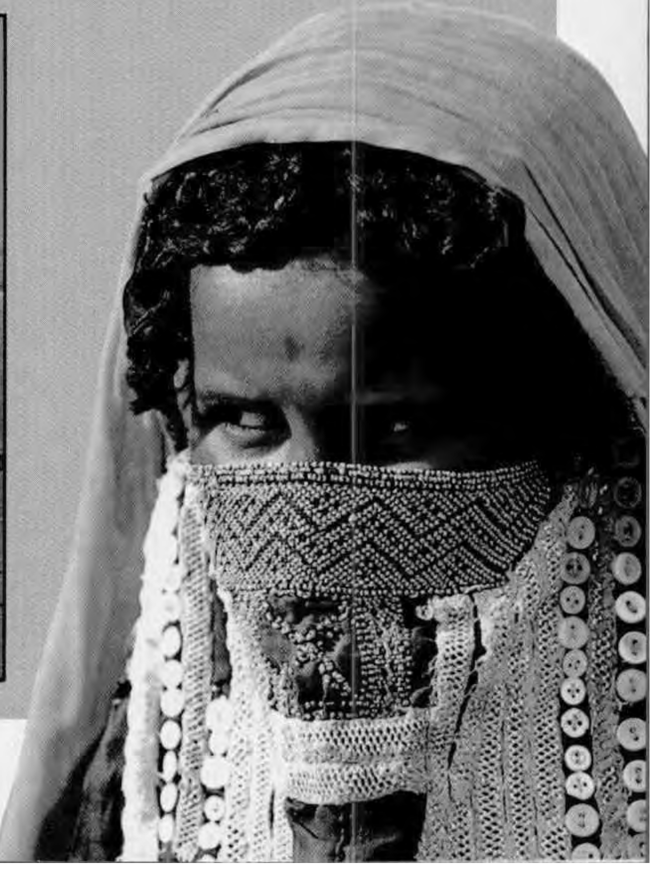
ما إن يتوفر الماء والكلأ في منطقة ما ، حتى نجد أفراد قبيلة الرشايدة قد حطوا رحالهم بعد سفر متعب : حيث **تقوم النسوة بمهمة تثبيت الخيام البيضاء المصنوعة من شعر الماعز** ـ الذي يمنع احتراق الخيمة ـ تفصل حـرارة واشعة الشمس ـ بينمـا **يقوم الـرجال بعملية تنزيل الأمتعة** ، ابتداء من هذه اللحظة يبدأ الاستقرار المؤقت .

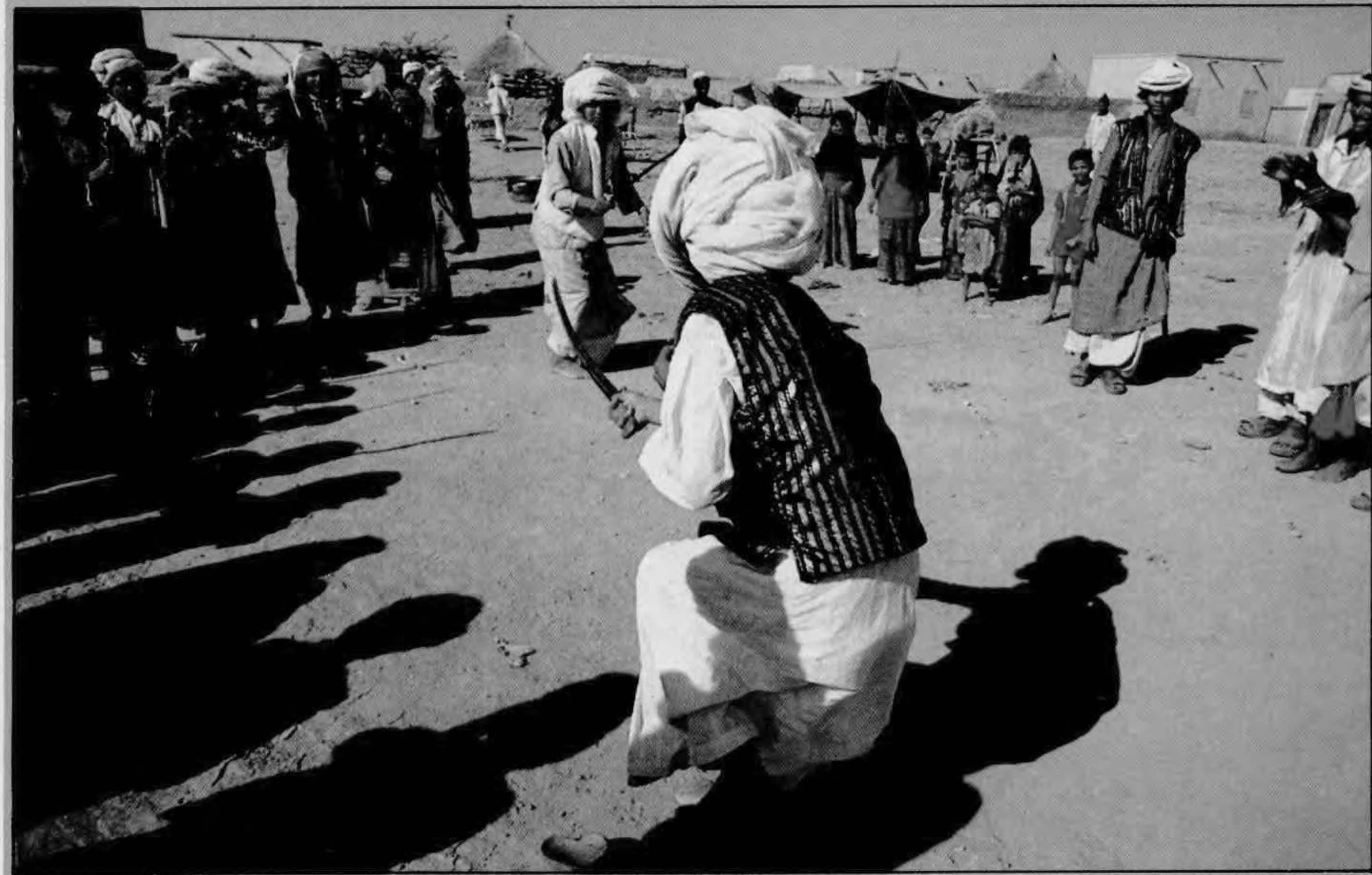
تبدأ مشاغل أفراد العائلة ابتداء من الصباح الباكر حيث تتكفل النساء بالجزء الأكبر من العمل خاصة الاهتمام بالماعز لأهميتها الاجتماعية والاقتصادية ، تكلف الفتيات كل يوم برعي قطيع الغنم طوال النهار ، ثم في المساء يجلبن


نساء ينصبن الخيام


الرحيل إلى حيث الكلأ والماء


تنزيل الرحال





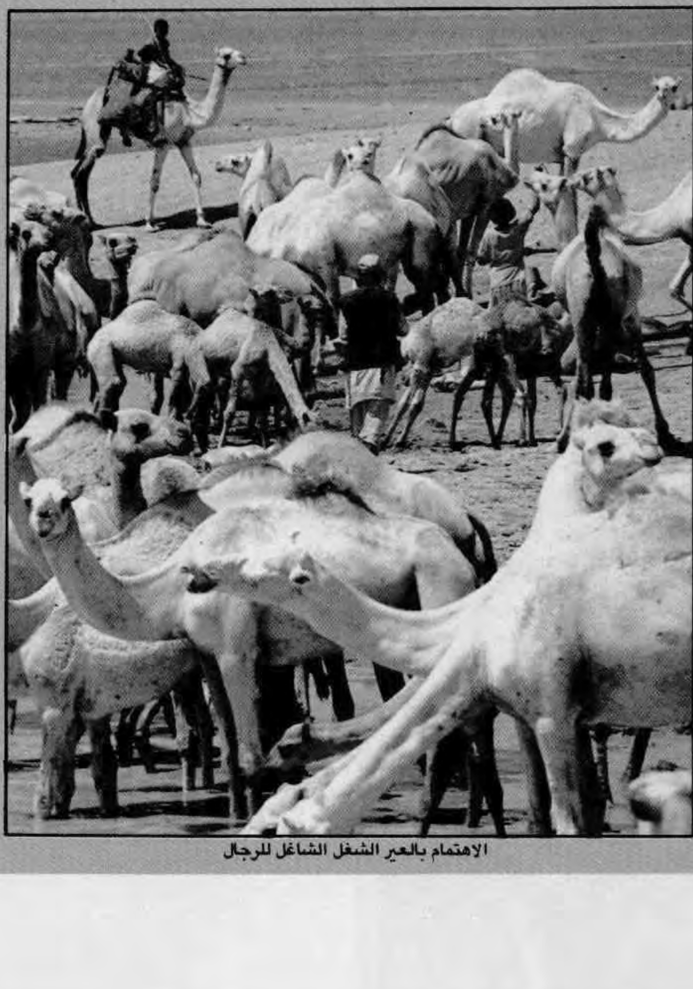
عريس ينازل أحد الشباب لإظهار علامة رجولته

الأمهات الماعز لتحويل الحليب إلى لبن أو زبدة أو جبن ، بالإضافة إلى نسج الخيام المصنوعة من الصوف والشعر ، وأيضاً صناعة الحلي والمجوهرات التقليدية لبيعها عند توقفهم يوماً ما في إحدى المدن أو القرى المجاورة .

أما **الرجال** فهم يقومون برعي العير ، وفي المساء يعودون بها إلى خيامهم .

أعراسهم

إن بدو الرشايدة أناس متدينون **فهم يتبعون تعاليم الإسلام كلها** ، ومن بينها **وضع الحجاب** بالنسبة إلى الفتاة التي تبلغ سن المراهقة ، وهذه العادة لا يزالون محافظين عليها ولم تَزُل بفعل التيارات التحررية المزعومة ،ولا بفعل التطور الحضاري ، **والفتاة منذ صغرها**



الاهتمام بالعير الشغل الشاغل للرجال

تتعلم كل ما يجب أن تتعلمه خاصة صناعة الشاي ـ المشروب الوحيد ـ وطهي الطعام والاهتمام بالمنزل عامة .

وعندما تخطب الفتاة من طرف أحد الشباب ، عادة يشترط الأب مهراً لأبنته قطعانا من الماعز والعير وكذلك القماش والحلي .

ولهذا الغلو في المهور عادة يعدل الشاب عن الزواج وهو في سن مبكرة وهذا حتى يستطيع أن يوفر شروط المهر ، ولهذا السبب نجد أن بعض العرسان هم من الشباب الكبار في السن ، أما الفتيات فهن العكس .

عند إتمام **مراسيم الخطبة وعقد الزواج** ، تتهيأ العروس ليوم عرسها ، فتتزين بكل ما لديها من مجوهرات وحلي ومساحيق التجميل التقليدية وترتدي الألبسة المزركشة بالألوان الزهية ، أما المدعوون

بدو الرشايدة

فيتجمعون في الساحة المركزية ليرقصوا ويغنوا ويصفقوا، والناس كلهم في حالة فرح بهذا اليوم السعيد، وبعد ذلك يتحلق مجموعة من الشباب حول **العريس** كلهم يحملون **السيوف**؛ وهنا يجب على **العريس أن يظهر لعروسه شجاعته ورجولته حيث ينازل كل هؤلاء الشباب كلاً على حدة.**



شاب يعرض في سيفه، علامة رجولته



فتيات يتعلمن صناعة الحلي

التمدن البطيء

بحكم الارتباطات والمعاملات التجارية بين الرشايدة وأهل المدن فإننا نلمس بعض الاختلاط في الأجناس حيث نجد في بعض التجمعات وجود أشخاص بشرتهم سوداء، بينما أصل القبيلة عربي، فإننا نستطيع أن نقول إنهم يمثلون نسل عبيد هؤلاء البدو وعند إعطائهم حريتهم فإنهم فضلوا البقاء بالقرب من أسيادهم وذلك لاعتيادهم لظروف معيشتهم القاسية؛ ومن هذا الأساس تزاوج أفراد من السود مع أفراد من القبيلة والعكس، حتى أصبح هؤلاء السود من نسل بدو الرشايدة، لأن الرشايدة بدو يتمسكون بسلالتهم، فهم لا يرتبطون مع أية سلالة إفريقية؛ ومنه نرى أنهم مرتبطون بالعالم العربي أكثر منه بالقارة الافريقية السوداء، وقد نجد الكثير منهم مرتبط ببدو **المملكة العربية السعودية** بحكم ارتباطهم بتجارة العير. وما نلمسه اليوم هو زيادة احتياج البدو إلى المدينة، أي إنهم أصبحوا يترددون إليها باستمرار حتى إن بعضهم (شبابهم) أصبح يمتطي سيارة الميدان من نوع «تويوتا» «TOYOTA» و«جيب» «JEEP»: فنستطيع أن نقول إن المدينة لم تعد كما كانت سابقاً محطة وقوف ضرورية، بل أصبحت مقصودة في كل الأوقات، حتى أننا أصبحنا لا نجد تلك التجمعات تتوغل كثيراً في القفار، بل تمكث بالقرب من المدن.



خياط في سوق، كسالة، يخيط ألبسة بدو الرشايدة

ورغم ذلك نجد أن هناك من الشيوخ من يحن لذكريات أيام زمان حين كان البدوي لا يحتاج أي شيء من المدينة، وهم الآن يتحسرون على تلك السنين الغابرة، وفي أعينهم يمكننا أن نرى علامات عدم الرضى بهذا الحال الذي قلب كل موازينهم وكل عاداتهم التي كانت تجري في عروقهم منذ القدم.

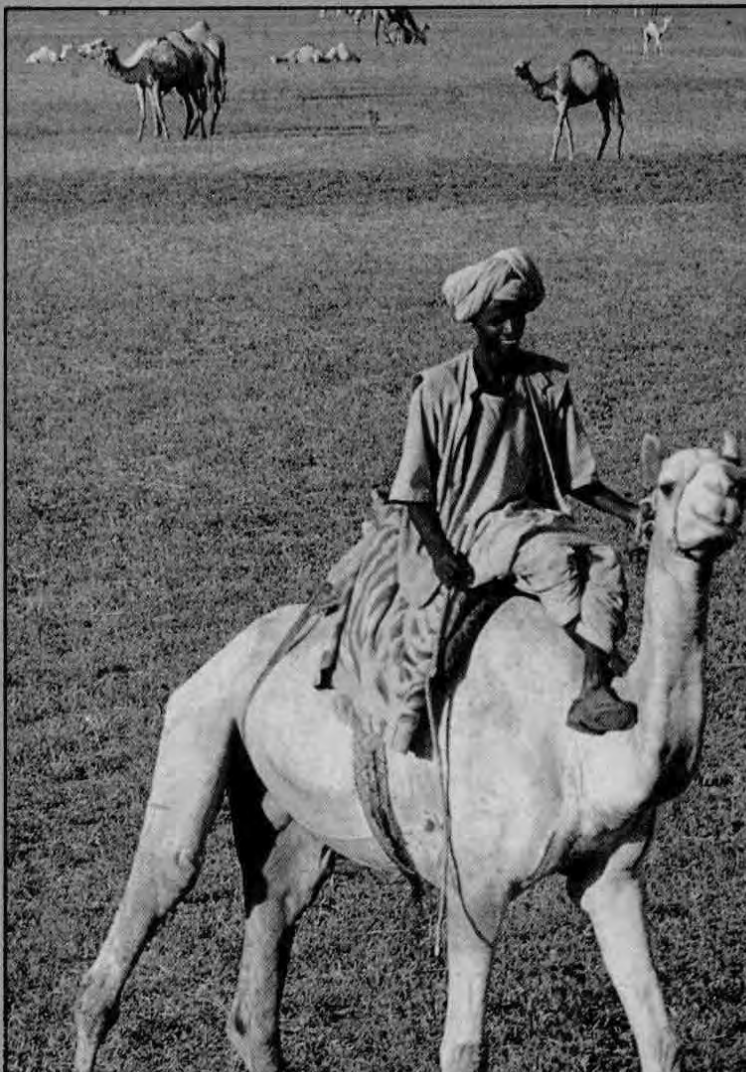
وبعد فذلك هو حال قبيلة



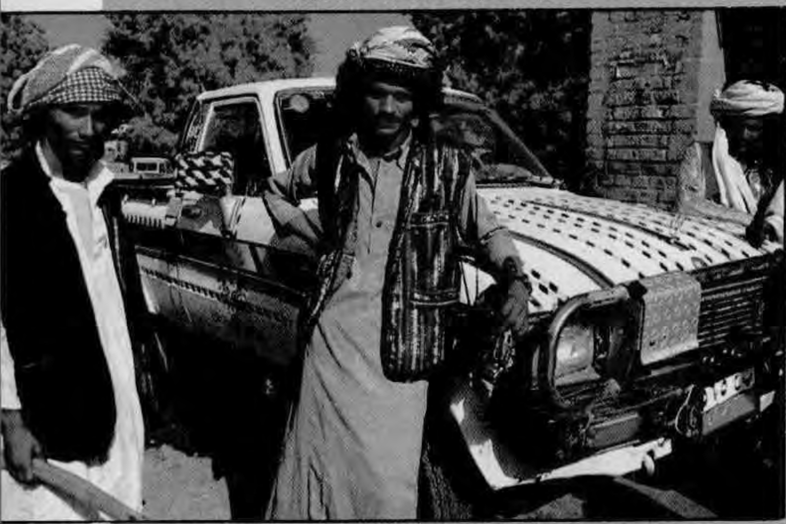
نسج الخيام من مهام النساء



تعليم الفتاة يتم تحت إشراف الوالدين



شباب يبتسم لتوفر الكلأ لجماله ونوقه



شباب يتطلع نحو الحضارة



سيارة الميدان تحل محل الجمال

الرشايدة المترددة بين التمدن والبداوة ، كل له انصاره ، فالبداوة يناصرها الأجداد والآباء ، أما التمدن فيناصره الشباب المتطلع إلى مستقبل جديد ، وهكذا يدور بينهم الصراع ؛ ونبقى نحن نراقب لنرى ما سيؤول إليه حال القبيلة .

المراجع

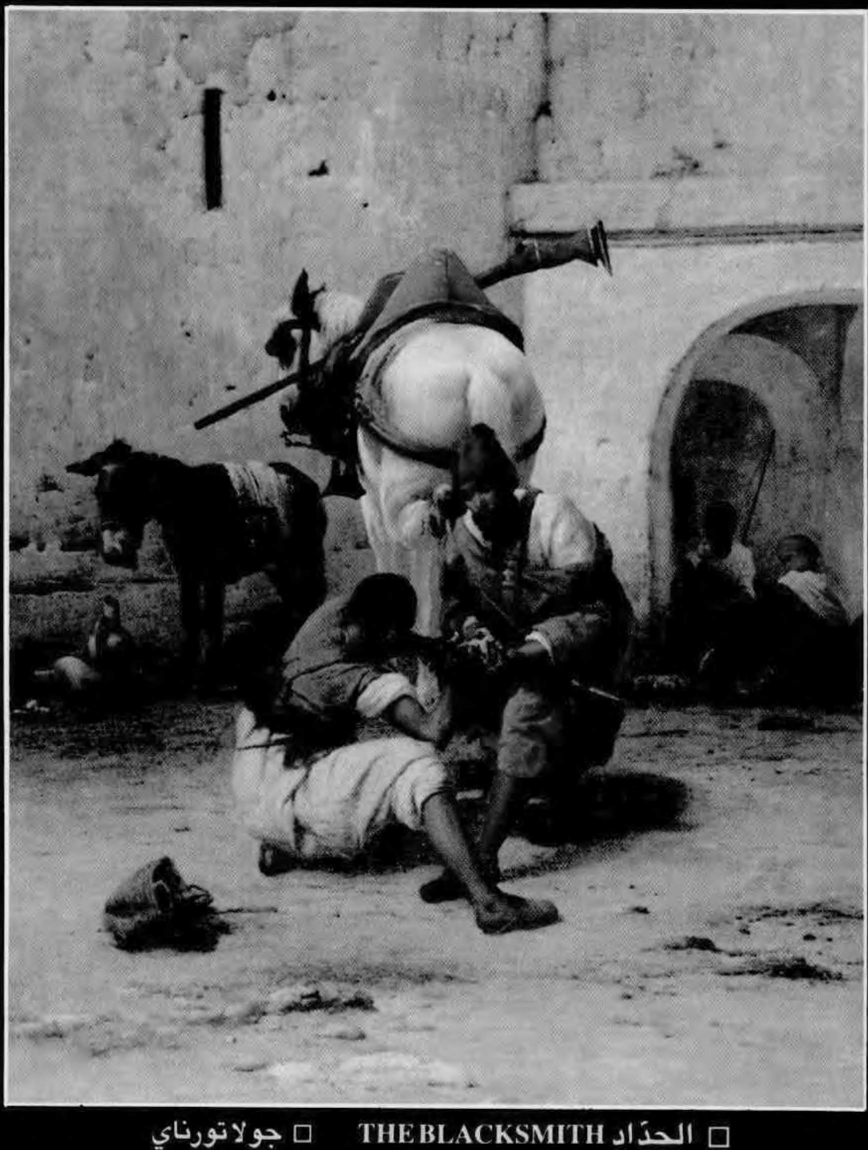
(1) «ATLAS AIR FRANCE» MAGAZINE No. ADÚT 1988.

(2) SIMONE DUMOULIN, LE SOUDAN, COLLECTION «PETITE PLANÈTE».

(3) ANGELA FISHER, AFRICA ADORNED.

(٤) بالإضافة إلى عدة موضوعات منشورة في صحف : (المساء ، الشعب ، المجاهد ، إلخ) .

الشرق في عيون الغرب



□ الحدّاد THE BLACKSMITH □ جولا تورناي
□ المدرسة الفرنسية □ رسم بالزيت

ملف خاص

نابغة الأدب وحجة العرب

مصطفى صادق الرافعي

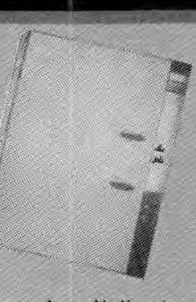


يأتي هذا الملف عن نابغة البيان العربي الأستاذ مصطفى صادق الرافعي - يرحمه الله - استمراراً لجهود «الفيصل» في الدعوة إلى إحياء ذكرى ودراسة أعلام الفكر والثقافة، ووفاء للعطاء الذي قدموه لهذه الأمة وتذكيراً بجهودهم المنسية. وقد كان الرافعي رغم مضي أكثر من نصف قرن على وفاته واحداً من هؤلاء الرواد الذين لم يُقدر إنتاجهم حق قدره، وهو - باعتراف معاصريه - صفحة ناصعة من تاريخ الأدب والبيان العربي الحديث.

ونأمل أن يكون هذا الملف فاتحة لدراسات أكثر توسعاً عن هذا الأديب الفذ ولتعريف الأجيال الناشئة بدوره في ملامح الأدب العربي الحديث.

والله الموفق

«الفيصل»



جهادُ الرّافعيّ

بقلم :
محمد سعيد العريان

لقد عاش **الرافعي** في هذه الأمة وكأنه ليس منها ، فما أدّت له في حياته واجباً ولا اعترفتْ له بحق ، ولا أقامت معه على رأي ؛ وكأنما اجتمع له هو وحده تراث الأجيال من هذه الأمة العربية المسلمة ، فعاش ماعاش ينبهها إلى حقائق وجودها ومقوّمات قوميتها ، على حين كانت تعيش هي في ضلال التقليد وأوهام التجديد . ورضي هو مقامه منها غريباً معتزلاً عن الناس ، لايعرفه أحد إلا من خلال مايؤلف من الكتب وينشر في الصحف ، أو خلال مايكتب عنه خصومه الأكثرون ؛ وهو ماض على سنته سائر على نهجه ، لايبالي أن يكون منزله بين الناس في موضع الرضا أو موضع السخط والغضب ، ولا ينظر لغير الذي جعله لنفسه منذ يومه الأول ، وهو أن يكون من هذه الأمة لسانها العربي في هذه العجمة المستعربة ، وأن يكون لهذا الدين حارسه وحاميه ، يدفع عنه أسباب الزيغ والفتنة والضلال ؛ وماكان - يرحمه الله - يرى في ذلك إلا أن الله قد وضعه في هذا الموضع ليكون عليه وحدة حياطة الدين والعربية ، لا ينال منهما نائل إلا انبرى له ، ولا يتقحم عليهما متقحم إلا وقف في وجهه ؛ كأن ذلك « فرضُ عين عليه وهو على المسلمين « فرضُ كفاية » ؛ واحسبه قالَ لي مرة وقد كتب إليه صديق يلفته إلى مقال نشرته صحيفة من الصحف لكاتب من الكتاب تناول فيه آية من القرآن بسوء التأويل : « من تراه يابني يقوم لهذا الأمر إن سكت الرافعي ؟ » وماكان هذا من اعتداده بنفسه ، ولكنه كان مذهبه وإليه غايته ، وكأنّ القدرة التي هيأته وانشأته بأسبابها لهذا الزمان ، قد فرضتْ عليه وحده سداد هذا الثغر ؛ وكان إلى ذلك لا ينفك باحثاً مدققاً في بطون الكتب حيناً وفي أعماق نفسه المؤمنة حيناً آخر ، ليستجلي غامضة من غوامض هذا الدين ، أو يكشف عن سر من أسراره فينشر منه على الناس ؛ واحسبه بذلك قد أجدّ على الإسلام معانيَ لم تكن تخطر على قلب واحد من علماء السلف ، واراه بذلك كان يمثل « **تطوّر الفكرة الإسلامية** » في هذا العصر .

فإذا كانت الأمة العربية المسلمة قد فقدت الرافعي ، فما فقدت فيه الكاتب ، ولا الشاعر ، ولا الأديب ؛ ولكنها فقدت الرجل الذي كان ولن يكون لها مثله في الدفاع عن دينها ولغتها ، وفي النظر إلى أعماق هذا الدين يزاوج بينه وبين حقائق العلم وحقائق النفس المستجدّة في هذا العصر . **ولقد يكون في العربية اليوم كتّاب وشعراء وادباء لهم الصيت النابه ، والذكر الذائع ، والصوت المسموع ؛ ولكن أين منهم الرجل الذي يقوم لما كان يقوم له الرافعي : لا يترخص في دينه ، ولا يتهاون في لغته ، ولا يتسامح لقائل أن يقول في هذا الدين أو في هذه اللغة حتى يردّه من هدف إلى هدف أو يفرض عليه الصمت ؟...**

لقد حاول كثير من مؤرّخي الأدب أن يتحدّثوا عن الرافعي في حياته ؛ فقالوا شاعر ، وقالوا كاتب ، وقالوا أديب ، وقالوا عالم ، وقالوا مؤرخ . ولكنهم لم يقولوا الكلمة التي كان ينبغي أن تقال . لقد كان شاعراً ، وكاتباً وأديباً ، وعالماً ، ومؤرخاً ؛ ولكنه بكل أولئك ، وبغير أولئك ، كان شيئاً غير الشاعر والكاتب والأديب ، وغير العالم والمؤرخ ؛ كان هبة الله إلى الأمة العربية المسلمة في هذا الزمان ، لينبهها إلى حقائق وجودها ، وليردّها إلى مقوّماتها ، وليشخّص لها شخصيتها التي تعيش باسمها ولا تعيش فيها ، والتي تعتز بها ولا تعمل لها .

يرحمه الله ! لقد عاش في خدمة العربية سبعاً وثلاثين سنة من عمره القصير ، وصل بها حاضرها الماثل بماضيها البعيد ؛ فهي على حساب الزمن سبع وثلاثون ولكنها على الحقيقة عصر بتمامه من عصور الأدب ، وفصل بعنوانه في مجد الإسلام !

صفاته الجسمية

كان الرافعي رجلاً كبعض من ترى من الناس : فلم يكن الناظر حين ينظر إليه ليلمح له امتيازاً في الخَلق يدل على نفسه أو عقله أو عبقريته .

بل لقد يشك الناظر إلى وجهه في أن يكون وراء هذه السحنة وهذه الملامح نبوغ أو عبقرية أو فكر سامٍ !

الرافعي في سطور

● مصطفى صادق الرافعي - سوري الأصل ، مصري المولد .

● هو ابن الشيخ عبدالرزاق الرافعي كبير القضاة الشرعيين بمصر وحفيد الإمام عبدالقادر الرافعي المتوفى سنة ١٢٣٠هـ والذي وفد من طرابلس الشام واسس الأسرة الرافعية بمصر ويعود نسبه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

● ولد اديبنا في (بهتيم) في الأول من رجب ١٢٩٨هـ الموافق الثلاثين من ايار ١٨٨١م والأرجح انه ١٨٨٠م . ونشأ في رعاية أبيه ، وما كاد يتم العاشرة من عمره حتى استظهر القرآن عليه حفظاً وتجويداً .

● دخل المدرسة الابتدائية في (دمنهور) وظفر بشهادتها في المنصورة ، وقد جاوز سن العاشرة ، وكانت كل حظه من الشهادات .

● لازم اباه ياخذ عنه ، يفقه عنه الرواية والتفسير ويعي خير السلف ويقرأ لعلماء الامة بعد أن منعه المرض عن مواصلة الدراسة النظامية ، فقد ترك التيفوئيد في صوته حبسة وفي أذنه صمماً وما كاد يبلغ الثلاثين حين أصيب بالصمم التام .

● بدأ حياته الوظيفية سنة ١٨٩٩م كاتباً بمحكمة «طلخا» الشرعية بمرتب قدره (أربع جنيهات) ثم نقل إلى محكمة «أيتاي البارود» ثم استقر في طنطا موطن الأسرة ، وقضى في الوظيفة ما يقرب من أربعين عاماً لم ترع الدولة له علماً ولا أدباً ، بل حرمت أبناءه من حقهم في معاش أبيهم !

● تزوج في سن الرابعة والعشرين من فتاة مصرية الأصل من أسرة (البرقوقي) ، وكانت صلته باخيها الأديب عبدالرحمن البرقوقي صاحب «البيان» من أسباب هذا الزواج ، وقد انجبت له مجموعة من البنين والبنات منهم سامي ، ومحمد ، وعبدالرحمن ، ووهيبة ، وزينب ، وأخريات .

● بدأ حياته شاعراً ، ونظم القصيدة والنشيد وأخرج أجزاء من ديوانه ، وعُرف «بشاعر الحُسن» لولعه بالغزل ، وسمي «بشاعر الشرق» لاهتماماته الإسلامية . غير أنه لم يهتم بشعره بعد ذلك وانصرف إلى النثر يكتب عن قضايا الأمة الإسلامية ويخوض المعارك ضد أعداء الإسلام واللغة العربية .

● توفي ودفن بمقبرة الرافعي في طنطا بعد ظهر الاثنين العاشر من مايو ١٩٣٧م ، ولم يشيعه إلا بضع عشرات من زملائه وجيرانه !

● يعد الرافعي اليوم من خلال أدبه صاحب مدرسة متميزة في البيان العربي ، ورائداً من رواد الأدب الإسلامي في العصر الحديث ، وواحداً من أهم أدباء العرب المعاصرين .

وجه ممسوح مستطيل ، أقرب إلى بياض أهل الشام منه إلى سمرة أهل مصر ، في وجنتيه احمرار دائم قد ترى مثله في شفتيه : وله عينان كأنما ينظر بهما إلى نفسه لا إلى الناس ، فما ترى لهما بريقاً في عينيك ولا تسمع لهما همساً في نفسك : وجبهة عريضة تبدأ فوق الحاجبين غائرة نوعاً ما : ثم تبرز مقوسة قليلاً إذا اقتربت من فروة الرأس : وأذنان فيهما كبرٌ ما ولكنهما لاتؤديان عملاً ولا تنقلان إليه معنى ، ومن ذلك كان قليل التلفت في مجلسه : وأنف طويل مستدق من أعلاه منتفخ من أسفله . وكأنما صنعت له شفتاه ابتسامته الدائمة ، فلا ترى فمه مغلقاً أبداً إلا رأيته كأنما يحاول أن يحبس ابتسامة هاربة ، وتحمل شفته شارباً كثيفاً أشمط ، تحيفته الأيام من أطرافه فتصاغر طرفاه بعد استعلاء وكبر ...

وصوت عال رفيع النبرات ليس له لون ولا معنى ، تسمعه على أي أحواله كما تسمع صراخ الطفل : له عذوبته وتطريبه ، ونغمةُ الحزن ونغمة الفرح عنده سواء !

وقامة رياضية متناسبة بريئة من الفضول ، لايشينها طول ولا قصر ، ولا سمن ولا نحافة .

وكان أشمط خفيف شعر الرأس حليق اللحية دقيق الحاجبين عريض المنكبين غليظ العنق قوي الكف والساعد : مما كان يعالج من تمرينات الرياضة .

تلقاه في الطريق في يده عصاً لا يعتمد عليها ولكنه يهزها في يمينه إلى أمام ووراء ، ويتأبط بيسراه عديداً من الصحف والمجلات والكتب ، ماشياً على جيد الطريق لا يميل ، واسع الخطو لا يتمهل ، ناظراً إلى الأمام لا يتلفت إلا حين يهم باجتياز الطريق .

تلك صفاته الجسمية التي واراها التراب كما لاتزال في ذاكرتي .

يوم وفاته

وحُمل جثمانهُ بعد ظهر الاثنين ١٠ مايو سنة ١٩٣٧م ، إلى حيث رقد رقدة الأبدِ في جوار أبويه من مقبرة الرافعي بطنطا ، لم يشيِّعه إلا بضع عشرات من زملائه في المحكمة ، أو من جيرانه في الدار !

وبلغ نعيُه أقطارَ العرب وأدباء العربية : فسكت القارىء وتلفت السامع ، وتغشى السامرين من أهل الأدب سكون ووحشة وانقباض .

وطالت فترة الصمت ، والسامرون في غشيتهم لا ينطقون ، إلا نظرات شاردة ، وخواطر تصطرع وتموج ، وذكريات تنبعث محرقة لاذعة ، تذكُر بما كان وتنبِّه إلى ماينبغي أن يكون ...

وهمس هامس : « يرحمه الله ! لقد كان رجلاً للدين وللعربية هيهات أن تجد بديلاً منه أو ينقضي زمان من عمر التاريخ ! » .

ثم عاد الصمت ، وعاد السكون ، إلا النظرات الشاردة ، والخواطر المائجة ، والذكريات والأماني ...

وهتف هاتف في جلال الصمت وفي وحشة السكون : « إن للفقيد لحقاً على اللغة ، وحقاً على المسلمين ، لايجزىء فيهما أن نقول : يرحمه الله ! » .

وتدانت الرؤوس ، وتجاوبت النظرات ، وانثالت الأفكار ، وتزاحمت الأماني : ثم لم يلبث أن عاد الصمت وعم السكون !

وصاح صائح في نبرة اليائس المحزون : « **ويحكم يابني يعرب ! لقد شغلتكم دنياكم عن الوفاء ، وفتنتكم الحياة عن ذكر الموت ! لقد كان هنا إنسان منكم ، وإنه لأرفعكم صوتاً ، وأبلغكم بياناً ، وأبعدكم غاية ومدى ! فهلا ذكره منكم إنسان !** » .

وبرقت العيون ، واختلجت الشفاه ، واهتزت الرؤوس ، وانبعث صوت السامرين يحوقل ويسترجع في همس خافت ، وقال قائلهم : « يرحمه الله ! لقد كان ....! » .

يرحمه الله ! يرحمه الله !

هذا كل وفاء العربية للراحلين من أدبائها : يتهاوَوْن من الذروة إلى بطن الوادي فرداً فرداً . وإخوانهم على الطريق ينظرون إليهم في بلادة وصمت ، لاتشيِّعهم منهم قدم ، ولا تتبعهم عين باكية ، ولا يذكرهم منهم إنسان !

يرحمه الله ! يرحمه الله !

هذا كل تراث الأديب في العربية لبنيه وأهله ، هو حسْبهم من الطعام والشراب والثياب وتكاليف الحياة ، وفيه العِوَض كل العِوَض من عائلهم الذي طواه الموت بين الصفائح والتراب !

يرحمه الله ! يرحمه الله !

هذا هو الخلود الذي ضمنتْه العربية لمن يموت من أدبائها وهو في ميدان الجهاد يكافح الفقر والمرض وشؤون العيال ، ويبذل نفسه لينشىء أدباً يسمو بضمير الأمة ، ويشرع لها طريقاً تسير فيه إلى عظمة الخلد وسعادة الأبدية ومجد التاريخ !

يرحمه الله ! يرحمه الله !

هذا كل ماتستطيع العربية من كلمات العزاء ، وكل مايملكه أدباء العربية من أساليب المواساة ، وكل مايقدر عليه ناطق يبين ، وصديق يتحبّب ، وحبيب يشعر أنّ عليه حقاً لمن يموت من أهل البيان !

صوت ماله صدى ، وتراث ليس فيه غَناء ، وطعام لا يهنأ ولا يمرأ ، وخلود لا يدوم إلى غد ، وعزاء لا يجفف دمعة ولا يخفف لوعة ولا ينفذ إلى قلب طفل سلبه الموت أباه وسعادة دنياه !

خلُّوا عنكم أيها الأدباء الكبار ، وأيها الشعراء العظام ، وأيها الخطباء المصاقع : خلُّوا عنكم عناءها ، سيرحمه الله وإن لم تقولوها : سيرحمه الله بما جاهد ، وبما بذل ، وبما عانى ، وبما تحمَّل من جهد التضحية ومشقة الحرمان : وسيرحمه الله ثانية بما لقي من العقوق وكان بَرًّا ، وبما لقي من الغدر وكان وفيًّا ، وبما قوبل من إنكار الجميل وكان من أهل الجميل : وسيرحمه الله بدموع اليتامى ، وبأنات الأيامى ، وبدعوات كثير من أهل الإيمان وفوا له ما وسعهم الوفاء !

الهوامش

* مقتطفات من كتاب العريان « حياة الرافعي » ط ٣ . مطبعة الاستقامة . القاهرة ١٩٥٥م

بلادي

نشيد
مصطفى صادق الرافعي

بلادي هواها في لساني وفي دمي   يمجدّها قلبي ، ويدعو لها فمي
ولا خير في مَنْ لا يحبُّ بلادَهُ   ولا في حليف الحبِّ إن لم يُتَيَّمِ
ومن تؤوه دارٌ فيجحَدَ فضلَها   يكُنْ حيواناً فوقَهُ كلُّ أعجمِ

★★

ألم ترَ أن الطيرَ إن جاء عُشَّهُ   فآواهُ - في أكنافهِ يترنَّمِ ؟!
وليس من الأوطانِ من لم يكن لها   فداءً - وإن أمسىٰ إليهن ينتمي
على أنها للناس كالشمس لم تزَلْ   تضيء لهم طراً وكم فيهمُ عَمِ
ومن يظلم الأوطان أو ينسَ حقَّها   تجئْهُ فنونُ الحادثات بأظلمِ
ولا خير في مَنْ إنْ أحبَّ ديارَهُ   أقام ليبكي فوقَ رَبْعٍ مهدَّمِ
وقد طُويت تلكَ الليالي بأهلِها   فمن جَهِلَ الأيامَ فليتعلَّمِ
وما يرفع الأوطان إلا رجالُها   وهل يترقَّى الناسُ إلا بسُلَّمِ

★★

« ومن يك ذُا فضلٍ فيبخلْ بفضلِهِ   على قومهِ يُستغْنَ عنَه ويذمم

تأملات في كتاب "من وحي القلم" للرافعي



لقد طلبت مني مجلة الفيصل الغراء الإسهام في (ملف الرافعي) الذي تعده فأردت الاعتذار لأنني لست من فرسان هذا الميدان ولامن رجاله ، ولا أنا من أصحاب القلم المتمرسين بالكتابة أو الأدباء والنقاد الذين يستمتع الناس بأسلوبهم أو يستشرفون لنقدهم ، كُل بضاعتي وزادي أنني أحب الأدب وأهله ، وأطرب للشعر الأصيل ، وأتذوق الأسلوب الجميل ويشدني الأدب الرفيع ، وأهيم بأصحاب الصدق والحق ، ممن يسخرون شعرهم ونثرهم ونقدهم للمبادىء السامية ، والأهداف النبيلة ، والآفاق العالية ، ويقودون أمتهم إلى معالي الأمور .

وأحمد الله أنني من المتابعين لإصدارات الأدباء الجادين ، والنقاد المخلصين ، وماينشر في مجلاتنا وصحفنا الوطنية والعربية . ولقد أسعدني أن تنهض مجلة (الفيصل) الغراء في تقديم مثل هذه الدراسات عن الأدباء ، الفحول في عالمنا العربي ، الذين أسدل عليهم ستار النسيان ، وغمطوا حق التعريف ، وشملهم التعتيم الإعلامي ، حتى جهل قدرهم الكثير من شبابنا ، ولم يتزودوا بفيض علمهم ، ولم يطلعوا على كنوز أفكارهم ، ولم يعيشوا في أجواء أسلوبهم الأدبي الرفيع وبيانهم الرائع البديع .

أديب البيان القرآني

إن أديب العربية الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي (يرحمة الله) علم من أعلام الأدب ، وناقد من رواد النقد ، وشاعر من فحول الشعراء ، عرفته المعارك الأدبية الفارس المجلى ، والكاتب الذي يملك ناصية الكلمة ، وماصولاته وجولاته مع الدكتور طه حسين والأستاذ عباس محمود العقاد والدكتور زكي مبارك وغيرهم ، إلا دليل على تمكنه من العربية وآدابها ، والنقد الأدبي وأساليبه . وهل قرأ أدباؤنا اليوم أفضل وأقوى وأمتع من هذه الروائع التي صاغها بيان الرافعي وسجلتها يراعه مثل : **(وحي القلم)** **و(اعجاز القرآن والبلاغة النبوية) و(تاريخ آداب العرب) و(المساكين) و(السحاب الأحمر) و(أوراق الورد) و(رسائل الأحزان) و(حديث القمر)** فضلاً عن شعره الصادق في دواوينه التي أثنى عليها فحول الشعراء كالبارودي واليازجي والكاظمي ، ونقده اللاذع في كتابيه **(تحت راية القرآن) و(على السفود)** .

إن خياله الخصب ، وبيانه الرائع ، وأسلوبه الأخاذ ، الذي يرتفع بمستوى القارىء إلى دنيا المعاني ، ودقة النظر وحسن التمييز ، وجمال الصورة ، واشراق النفس ميزة تميز بها الرافعي وتفرد بها من بين أدباء عصره .

وما أصدق ماقاله في صفة الأديب : « ... إن الأديب يشرف على هذه الدنيا من بصيرته ، فإذا وقائع الحياة في حذو واحد من النزاع والتناقض ، فإذا تلجلج ذلك في نفسه ، اتجهت هذه النفس العالية إلى أن تحفظ للدنيا حقائق الضمير والإنسانية والإيمان والفضيلة ، وقامت حارسة على ماصنع الناس ، لأن رسالتها للعالم هي تقرير الحب للمتعادين ، وبسط الرحمة للمتنازعين ، وأن تجمع الكل على الجمال وهو لايختلف في لذته ، وتصل بينهم بالحقيقة وهي لاتتفرق في موعظتها ، وتشعرهم الحكمة وهي لاتتنازع في مناحيها ... فإن لم يكن للأديب مثل أعلى يجهد في تحقيقه ويعمل في سبيله ، فهو أديب حالة من الحالات ، لاأديب عصر ولاأديب جيل ، وبذلك وحده كان أهل المثل الأعلى في كل عصرهم الأرقام الإنسانية التي يلقيها العصر في آخر أيامه ليحسب ربحه وخسارته » .

وهل باستطاعة مثلي أن يقول عن الأستاذ الرافعي ماينصفه ويعطيه بعض حقه ، وعن أي النواحي يمكنني الكتابة وأنا قليل البضاعة في سوق الأدب ، خالي الوفاض في ميدان النقد ، كل ماأملكه هو حبي لهؤلاء الأدباء وتذوقي لأسلوبهم وتأثري بأفكارهم وتألمي لنسيانهم ولإهمال ذكرهم ، وهم القمم السامقة ، والرواسي الثابتة التي لاتميد أمام الأعاصير ولاتتزلزل أمام الأحداث .

العقيدة والمنهج والأثر

ويقول الرافعي يرحمه الله عن أسلوبه الأدبي : « .... ربما عابوا السمو الأدبي بأنه قليل ، ولكن الخير كذلك ، وبأنه مخالف ، ولكن الحق كذلك ، وبأنه محير ، ولكن الحسن كذلك ، وبأنه كثير التكاليف ولكن الحرية كذلك » .

ويقول تلميذه **سعيد العريان** في وصف كتابه **(وحي القلم)** « هذا آخر كتاب أنشأه الرافعي ففيه النفحة الأخيرة من أنفاسه ، والنبضة الأخيرة من قلبه ، والومضة الأخيرة من وجدانه ، إن هذا الكتاب يجمع كل خصائص الرافعي الأدبية ، متميزة بوضوح فمن شاء فليقرأه دون سائر كتبه فسينكشف له الرافعي في سائر كتبه » .

إن الأديب الكبير **مصطفى صادق الرافعي** قد انبرى ينافح عن عقيدة الإسلام ، ويذب عن لغة القرآن ، ويدعو إلى السمو الأدبي والاعتزاز بتراث الأمة العربية الأصيل المتمثل في آدابها وعلومها وحضارتها وخصائصها ومقوماتها ، فهي الأمة

عبدالله عقيل سليمان العقيل



● من مواليد حرمة بمنطقة سدير في المملكة العربية السعودية عام ١٣٥٢هـ .

● حاصل على الشهادة العالية من كلية الشريعة بجامعة الأزهر عام ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م ، مع دبلوم للدراسات القانونية .

● أمين عام مساعد للمجلس الأعلى العالمي للمساجد التابع لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة .

● كاتب ومفكر إسلامي ، شارك بقلمه بالكتابة في العديد من الصحف والمجلات .

● شارك في أكثر من سبعين مؤتمراً إسلامياً شعبياً ورسمياً ، فضلاً عن ندوات ومحاضرات وأحاديث إذاعية وتلفازية .

● عضو المجلس الأعلى الاستشاري للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، والمجلس الأعلى الاستشاري للاتحاد الإسلامي العالمي ، والمجلس الاستشاري للندوة العالمية للشباب الإسلامي .

● مارس : الوعظ ، التدريس ، الاستشارات ، الصحافة ، والإدارة .

بقلم : عبدالله عقيل سليمان العقيل

الرائدة ذات التاريخ العريق والتي تأبى الذوبان في غيرها أو الانسلاخ من أصولها ، بل تعايش الزمن ، وتقتبس من الحضارات أجمل مافي آدابها ، وتجني من العلوم أطيب ثمارها ، لأن الحكمة ضالتها أينما وجدتها .

لقد خاض الأستاذ الرافعي معارك عديدة مع الذين يريدون تغريب الأمة ، وسلخها من تاريخها ، أو النيل من عقيدتها ، وهجر لغتها ، من أدعياء الأدب وصعاليك الصحافة ودعاة العامية وتلامذة المستشرقين والمضبوعين بتقليد الغرب في خيره ، وشره ، وحلوه ، ومره .

وكان منهجه في شعره وأدبه ونقده ، منهج الأديب الملتزم الذي يعتز بمثله ، ويحلق في سماء أمجاده ، ويعالج مشكلات أمته ، ويواكب مسيرة الحياة بهدى عقيدته ونور بصيرته ، فكان صاحب مدرسة متميزة بأفكارها وأسلوبها وسموها وواقعيتها .

ولقد تركت هذه المدرسة بصماتها على بعض أدباء العربية الذين تأثروا بالأديب الرافعي كالأساتذة محمود محمد شاكر ، وعبدالمنعم خلاف ، وعلي الطنطاوي وغيرهم ، فضلاً عن الأستاذ سعيد العريان التلميذ الوفي لأستاذه في حياته وبعد مماته .

إن الأديب الرافعي لم يوف حقه من أبناء جيله ولا ممن جاءوا بعدهم ، ومازال تراثه الأدبي بمعزل عن التناول والدراسة إلا من القليل من الكتاب والأدباء ، وفي هذا غاية الجحود والنكران ، فحري بأدبائنا وجامعاتنا في العالم العربي كله أن تنهض بدورها وتضطلع بمسؤولياتها في تقديم ودراسة ونقد التراث الأدبي للرافعي لينهل منه الجيل المعاصر ، ويتذوق هذا الأدب السامي الرفيع في كل مجالاته وآفاقه وفنونه وأساليبه ، وإنني لأحيي تلك الجهود التي بذلها بعض الدارسين ـ على قلتها ـ لأدب الرافعي وآمل من رابطة الأدب الإسلامي الحديث وأعضائها الأدباء أن يعطوا أديب العربية الأستاذ مصطفى صادق الرافعي مايستحقه وماهو أهله من الدراسة والتحقيق والتعريف والتقديم ، فهذا من أولى مهماتها ، وأول واجباتها ، لأن الرافعي هو رائد الأدب الإسلامي وطليعته وحادي ركبه في عصرنا الحاضر .

الفكرة العابدة

يقول العريان عن أستاذه الرافعي وأسلوبه :

« ... والرافعي عند طائفة من قراء العربية أديب عسر الهضم ، وهو عند كثير من هذه الطائفة متكلف لايصدر عن طبع وعند بعضهم غامض معمي لاتخلص إليه النفس ، ولكنه عند الكثرة من أهل الأدب وذوي الذوق البياني الخالص ، أديب الأمة العربية المسلمة ، يعبر بلسانها ، وينطق عن ذات نفسها ، فما يعيب عليه عائب إلا من نقص في وسائله ، أو كدرة في طبعه ، أو لأن بينه وبين طبيعة النفس العربية المسلمة ـ التي ينطق الرافعي بلسانها ـ حجاباً يباعد بينه وبين مايقرأ روحاً ومعنى ... » .



«لله ما أثمر أدبك ، ولله ما ضمن لي قلبك ، لا أقارضك ثناء بثناء ، فليس ذلك شأن الآباء مع الأبناء ، ولكن أعدك من خلص الأولياء ، وأقدم صفك على صف الأقرباء ، وأسأل الله أن يجعل الحق على لسانك سيفاً يمحق الباطل ، وأن يقيمك في الأواخر مقام حسان في الأوائل» .

الإمام محمد عبده

ومن هذا المنطلق الذي أشار إليه الأستاذ العريان ، أقول للكثيرين ممن يجهلون أدب الرافعي ، ويثقل عليهم هضمه حاولوا أن تقرأوا كتابه (وحي القلم) واختاروا ماشئتم من موضوعاته وقصصه ومقالاته ، وتأملوا في عمقها ، وتذوقوا أسلوبها ، وانظروا إلى هدفها وثمرتها ، فهو كاتب وأديب يسخر الأدب للعقيدة الإسلامية والحياة الكريمة والمنهج المستقيم ، وينظر إلى الكون والإنسان والحياة والأشياء نظرة الفيلسوف المتأمل والعابد المتنسك ، الذي يأخذ العبرة والعظة من كل شيء ويصوغ حياته وخلقه وفق التصور الإسلامي الصحيح المستقى من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولنتأمل معاً بعض هذه المقالات في أجزاء هذا الكتاب (وحي القلم) الذي ينبغي أن يكون أول مايقرأ من كتبه لأنه يعود قارئه أسلوب الرافعي فيسهل عليه قراءة بقية مؤلفاته .

يصور لنا الرافعي في قصة (**اليمامتان**) بحواره الجميل الأخاذ الذي يديره على لسان مارية وأرمانوسة : أن المسلمين هم العقل الجديد الذي سيضع في العالم تمييزه بين الحق والباطل ، وأن نبيهم أطهر من السحابة في سمائها ، وأنهم جميعاً ينبعثون من حدود دينهم وفضائله ، لامن حدود أنفسهم وشهواتها ، فكيف لاتفتح الدنيا على قوم لايحاربون الأمم بل يحاربون مافيها من الظلم والكفر والرذيلة » .

وينعكس تصوره الإسلامي على رأيه في « العيد » ومايجب أن يمثله العيد بالنسبة للمسلم وينبه الناس إلى معنى العيد في الإسلام فيقول :

ما أشد حاجتنا نحن المسلمين أن نفهم أعيادنا فهماً جديداً ، نتلقاها به ونأخذها من ناحيته ، فتجيء أياماً سعيدة عاملة ، تنبه فينا أوصافها القوية ، وتجدد نفوسنا بمعانيها ، لاكما تجيء الآن كالحة عاطلة ممسوحة من المعنى ، أكبر عملها تجديد الثياب ، وتجديد الفراغ ، وزيادة ابتسامة على النفاق ... فالعيد إنما هو المعنى الذي يكون في اليوم لااليوم نفسه ، وكان العيد في الإسلام هو عيد الفكرة العابدة فأصبح عيد الفكرة العابثة » .

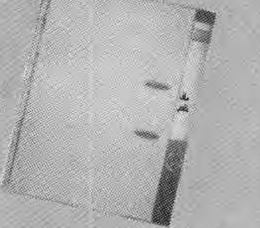
وفي مقال « أيها البحر » يتأمل الرافعي قدرة الله في حركة الطبيعة ، ويقارن بين دنيا البحر ودنيا الناس ، وأثر الأول في الثاني ، وما أكثر ماجاء ذكر البحر والسفينة في القرآن الكريم من باب تذكير الإنسان بقدرة الله عليه ، لهذا يقول الرافعي :

أيها البحر قد ملأتك قوة الله لتثبت فراغ الأرض لأهل الأرض . ليس فيك ممالك ولاحدود ، وليس عليك سلطان لهذا الإنسان المغرور . وتجيش بالناس وبالسفن العظيمة ، كأنك تحمل من هؤلاء وهؤلاء قشاً ترمي به . إذا ركبك الملحد أيها البحر ، فرجفت من تحته ، وهدرت عليه وثرت به ، وأريته رأي العين كأنه بين سماءين ستنطبق إحداهما على الأخرى فتقفلان عليه ، تركته يتطأطأ ويتواضع ، كأنك تهزه وتهز أفكاره معا وتدحرجه وتدحرجها . واطرت كل مافي عقله فيلجأ إلى الله بعقل طفل . وكشفت له عن الحقيقة : إن نسيان الله ليس عمل العقل ، ولكنه عمل الغفلة والأمن وطول السلامة .

المراة والزواج

لن يتفاوت الناس بالمال تختلف درجاتهم به ، وتكون مراتبهم على مقداره ، تكثر به مرة وتقل مرة ، إلا إذا فسد الزمان وبطلت قضية العقل ، وتعطل موجب الشرع ، وأصبحت السجايا تتحول ، يملكها من يملك المال ، ويخسرها من يخسره ، والذهب والفضة قد يكون شعاعهما في هذه الدنيا أضوأ من شمسها وقمرها ، ولكنهما في نور النفس المؤمنة كحصاتين يأخذهما من تحت قدميه .

وفي قصة (**الطائشة**) ينحي الرافعي باللائمة على المجتمع الذي ترك المراة مهملة دون الضوابط الخلقية فقال :



تأملات في كتاب من وحي القلم

ويل للمجتمع من المرأة العصرية التي أنشأها ضعف الرجل ! إن الشيطان لو خير في غير شكله لما اختار إلا أن يكون امرأة حرة متعلمة خيالية كاسدة لاتجد الزوج .. !

ويل للمجتمع من عذراء بائرة خيالية ، تريد أن تفر من أنها عذراء ! لقد امتلأت الأرض من هذه القنابل ... ولكن مامن امرأة تفرط في فضيلتها إلا وهي ذنب رجل قد أهمل في واجبه . هذه المدنية ستنقلب إلى الحيوانية بعينها ، فالحيوان الذي لايعرف النسب لاتعرف أنثاه العرض ...! وهل كان عبثاً أن يفرض الدين في الزواج شروطاً وحقوقاً للرجل والمرأة والنسل ؟ ولكن أين الدين ؟ واأسفاه ! لقد مدنوه هو أيضاً ...!

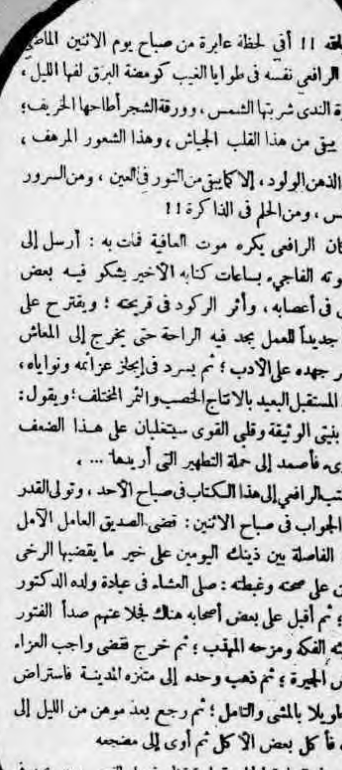
والرافعي الذي أحب المرأة وعشق جمالها وتغنى به وكتب أروع ماكتب في النثر العربي الحديث عن فلسفة الجمال والحب والمرأة يطلب هذا الجمال عفيفاً ويرى حجاب المرأة أكبر صون لجمالها من الابتذال وأكبر حافظ لعفتها من الهتك ، فهو يقول في مقالة « تربية لؤلؤيه » :

إذا أنت كشفت جذور الشجرة لتطلقها بزعمك من حجابها ، وتخرجها إلى النور والحرية ، فإنما أعطيتها النور ، ولكن معه الضعف ، والحرية ، ومعها الانتقاض ، وتكون قد أخرجتها من حجابها ومن طبيعتها معا ، فخذها بعد ذلك خشباً لاثمراً ، ومنظر شجرة لاشجرة ، لقد أعطيتها من علمك لامن حياتها ، وجهلت أنها من أطباق الثرى في قانون حياتها ، لافي قانون حجابها . أفليست كذلك جذور الشجرة الإنسانية ؟

وماالحجاب إلا حفظ روحانية المرأة للمرأة ، وإغلاء سعرها في الاجتماع ، وصونها من التبذل المقوت ، لضبطها في حدود كحدود الربح من هذا القانون الصارم ، قانون العرض والطلب ، والارتفاع بها أن تكون سلعة بائرة ينادي عليها في مدارج الطرق والأسواق : العيون الكحيلة ، الخدود الوردية ، الشفاه الياقوتية ، الثغور اللؤلؤية ، الأعطاف المرتجة ، النهود ال .. ال .. أو ليس فتياتنا قد انتهين من الكساد بعد نبذ الحجاب إلى هذه الغاية ، وأصبحن إن لم ينادين على أنفسهن بمثل هذا فانهن لايظهرن في الطرق إلا لتنادي أجسامهن بمثل هذا ؟

وفي مقالة بعنوان « إستنوق الجمل » يحذر الرافعي الشباب المنطلق وراء شهواته العازف عن طريق الحلال لتحصين نفسه بالزواج . ويرى أن من سقوط النفس أن يغتر الشاب فتاة حتى إذا وافق غرتها مكر بها وتركها بعد أن يلبسها عارها الأبدي . ويشبه الرافعي هذا النوع من الشباب باللص الخبيث الفاتك . ويعيد هذا النوع من سقوط النفس البشرية لداء اجتماعي خطير لاتزال تعاني منه المجتمعات العربية المسلمة وهو داء « غلاء المهور » وتعطل الشباب مما جعلهم يسعون إلى الفتاة الغنية وإهمال ذات الدين والأصل الكريم لفقرها . ومنها ابتغاء الفتاة زوجاً ذا جاه أو ثراء وعزوفها عن الفاضل ذي الكفاف أو اليسير

إفتتحت مجلة « الرسالة » عددها الحزين رقم (٢٠٢) الصادر في ١٧ مايو ١٩٣٧م . بعد وفاة الرافعي بأسبوع بكلمة مؤثرة لصاحبها الأستاذ أحمد حسن الزيات ـ نقتطف منها مايلي :


يالله !! أفي لحظة عابرة من صباح يوم الاثنين الماضي
لفظ الرافعي نفسه في طوايا الغيب كومضة البرق لفها الليل ،
وقطرة الندى شربتها الشمس ، وورقة الشجر أطاحها الخريف ؛
ثم لا يبق من هذا القلب الجياش ، وهذا الشعور المرهف ،
وذلك الذهن الولود ، إلا كما يبق من النور في العين ، ومن السرور
في الحس ، ومن الحلم في الذاكرة !!
كان الرافعي يكره موت العافية فمات به : أرسل إلى
قبل موته الفاجيء بساعات كتابه الأخير يشكو فيه بعض
الوهن في أعصابه ، وأثر الركود في قريحته ؛ ويقترح على
نظاماً جديداً للعمل يجد فيه الراحة حتى يخرج إلى المعاش
فيقصر جهده على الأدب ؛ ثم يسرد في إيجاز عزائمه ونواياه ،
ويعد المستقبل البعيد بالانتاج الخصب والثمر المختلف ؛ ويقول :
« إن بنيتي الوثيقة وقلبي القوي سيتغلبان على هذا الضعف
الطارىء فأصمد إلى حملة التطهير التي أريدها ... »
كتب الرافعي إلى هذا الكتاب في صباح الأحد ، وتولى القدر
عني الجواب في صباح الاثنين : قضى الصديق العامل الآمل
الليلة الفاصلة بين ذينك اليومين على خير ما يقضيها الرخي
الآمن على صحته وغبطته : صلى العشاء في عيادة ولده الدكتور
محمد ؛ ثم أقبل على بعض أصحابه هناك فجلا عنهم صدأ الفتور
بحديثه الفكه ومزحه المهذب ؛ ثم خرج فقضى واجب العزاء
لبعض الجيرة ؛ ثم ذهب وحده إلى متنزه المدينة فاستراض
فيه طويلا بالمشي والتامل ؛ ثم رجع بعد موهن من الليل إلى
داره فأكل بعض الأكل ثم أوى إلى مضجعه
وفي الساعة الخامسة استيقظ فصلى الفجر وهو يجد في
جوفه حزة كانت تعتاده من حموضة الطعام . فلما فـ
على ولده الطبيب فسقاه دواء ، ثم عاد فنام

أمة وحده

يالله !! أفي لحظة عابرة من صباح يوم الاثنين الماضي يلفظ الرافعي نفسه في طوايا الغيب كومضة البرق لفها الليل ، وقطرة الندى شربتها الشمس ، وورقة الشجر أطاحها الخريف : ثم لايبقى من هذا القلب الجياش ، وهذا الشعور المرهف ، وذلك الذهن الولود ، إلا كما يبقى من النور في العين ، ومن السرور في الحس ، ومن الحلم في الذاكرة !!

كان الرافعي يكره موت العافية فمات به : أرسل إليّ قبل موته الفاجيء بساعات كتابه الأخير يشكو فيه بعض الوهن في أعصابه ، واثر الركود في قريحته : ويقترح عليّ نظاماً جديداً للعمل يجد فيه الراحة حتى إلى المعاش فيقصر جهده على الأدب : ثم يسرد في إيجاز عزائمه ونواياه ، ويعد المستقبل البعيد بالانتاج الخصب والثمر المختلف : ويقول : « إن بنيتي الوثيقة وقلبي القوي سيتغلبان على هذا الضعف الطارىء فاصمد إلى حملة التطهير التي اريدها ... »

كتب الرافعي إلى هذا الكتاب في صباح الأحد ، وتولى القدر عني الجواب في صباح الاثنين : قضى الصديق العامل الآمل الليلة الفاصلة بين ذينك اليومين على خير مايقضيها الرخي الآمن على صحته وغبطته : صلى العشاء في عيادة ولده الدكتور محمد : ثم اقبل على بعض اصحابه هناك فجلا عنهم صدأ الفتور بحديثه الفكه ومزحه المهذب : ثم خرج فقضى واجب العزاء لبعض الجيرة : ثم ذهب وحده إلى متنزه المدينة فاستراض فيه طويلا بالمشي والتامل : ثم رجع بعد موهن من الليل إلى داره فاكل بعض الأكل ثم أوى إلى مضجعه .

وفي الساعة الخامسة استيقظ فصلى الفجر وهو يجد في جوفه حزة كانت تعتاده من حموضة الطعام . فلما فرغ دخل على ولده الطبيب فسقاه دواء ، ثم عاد فنام . وهب من نومه في منتصف الساعة السابعة ، وخرج يريد الحمام فسقط واحسرتاه من دونه سقطة همد فيها جسده فلا صوت ولا حركة ! وذهب الرافعي ذو اللسان الجبار والذكر الدوار والأثر المنتشر ، ذهاب الحباب كانه لم يملأ مسامع الدهر ، ولم يشغل مدارك الناس زهاء أربعين سنة !

كان الرافعي أمة وحده ، لها وجودها المستقل وعالمها المنفرد ومزاجها الخاص . وأكثر الذين كرهوه هم الذين جهلوه : كرهه الأدباء لأنه أصحر لهم بالخصومة فانفرجت الحال بينهم وبينه . وكرهه المتادبون لانه رفع مقياس الأدب فوسمهم بالعجز عنه . وانكره العامة لأن الأمر بينهم وبينه كالأمر بين العمى والنور ! إنما يحب الرافعي ويبكيه من عرف وحي الله في قرآنه ، وفهم إعجاز الفن في بيانه ، وادرك سر العقيدة في إيمانه .

ذلك بعض الرافعي الإنسان : أما الرافعي الفنان فموعدك به خمود الحزن وانكسار المصيبة .

احمد حسن الزيات

على غنى من رجولته وفضائله ، ويسمى الرافعي يرحمه الله هذا النوع من الرباط بأنه « **زواج الدينار بالسبيكة والسبيكة بالدينار** » ويقول الرافعي معللاً :

وأعظم أسباب هذا السقوط في رأيي هو ضعف التربية الدينية في الجنسين ، وخاصة الشبان ، ظنا من الناس أن الدين شأن زائد على الحياة ، مع أنه هو لاغيره نظام هذه الحياة وقوامها في كل مايتصل منها بالنفس ، وليست المدنية الصحيحة - كما يحسب المفتونون - هي نوع المعيشة للحياة ومادتها ، بل نوع العقيدة بالحياة ومعانيها ، وإلى هذا ترمي كل مبادىء الإسلام ، فإن هذا الدين القوي الإنساني لايعبأ بزخارف كهذه التي تتلبس بها المدنية الأوروبية القائمة على الاستمتاع ، وفنون اللذات ، وانطلاق الحرية بين الجنسين ، فهذا بعينه هو التحطيم الإنساني الذي ينتهي بتهدم تلك المدنية وخرابها ، وإنما يعبأ الإسلام بالعقيدة التى تنظم الحياة تنظيماً صحيحاً متساوقا وافيا بالمنفعة ، قائما بالفضيلة بعيدا من الخلط والفوضى .

نصحيتي للشباب

ولن أسترسل في سرد هذه اللآلىء ، والدرر الرائعة لأستاذنا الكبير مصطفى صادق الرافعي ، فالسرد لن يغني عن قراءتها كاملة في كتابه (وحي القلم) ، وبقية كتبه التي أهيب بشباب العرب والمسلمين عموماً ، وشباب الصحوة الإسلامية على وجه الخصوص أن ينهلوا من هذا المعين الصافي من الأدب الرصين ، والفيض الرقراق ، والسلسبيل العذب الذي استقاه الرافعي نفسه من المورد الأصيل في الكتاب والسنة ، فكان هذا الأدب الإسلامي العف ، وهذا الأسلوب الحكيم السامي الأهداف الذي يبني الأمة ، وبالأخص شبابها وشاباتها على مايحيي النفوس ، ويرقق المشاعر ، ويرهف الأحاسيس ، ويحلق بها في الآفاق ، ويرتقي بالمجتمع إلى مدارج العلى والرفعة .

وإذا كانت بعض أوساطنا الأدبية قد شاع فيها الأدب الغريب والفكر الشاذ والمنهج المغاير لديننا ولغتنا وحضارتنا وتقاليدنا ، فإنما تم ذلك بسبب الإعلام الذي صنع من الأقزام عمالقة ، ومن التافهين رجالاً ، وغمط حق الأدباء الملتزمين والشعراء الفحول المتمسكين بدينهم ، والمعتزين بلغتهم ، والمنتمين إلى أصولهم .

كما تم ذلك بسبب تقصير المسلمين أنفسهم في أن يقتعدوا لأنفسهم مكان الصدارة ، وأن يقدموا انتاجهم ليزحم ماسواه من الغث الذي تعج به أسواق الأدب ، وليس فيه من الأدب سوى جمال الورق والطباعة ، وزخرفة العناوين والرسوم فهل نطمع أن يؤدي الأدباء الملتزمون دورهم ، **وهل نجد في صحفنا الأدبية ومجلاتنا العربية المجال الرحب الفسيح لثمار عقول الأدباء والشعراء الإسلاميين ، كما تفعل مجلة (الفيصل) الغراء . نرجو ذلك ونؤمله .**



بعد الموت

ماذا أريد أن يقال عني ؟

بقلم : مصطفى صادق الرافعي★


بعد الموت

ماذا أريد أن يقال عنى

بقلم المرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعى

« ما هى الكلمات التى تقال عن الحي بعد موته إلا ترجمة أعماله في كلمات ؟ فمن عرف حقيقة الحياة عرف أنه فيها ليهيء لنفسه ما يحسن أن يأخذه ، ويعد للناس ما يحسن أن يتركه ، فان الأعمال أشياء حقيقية لها صورها الموجودة وإن كانت لا ترى .

وهي الكلمة التي لا تقال إ...
وفيها نهاية ما تضمر النفس للنفس .
وماذا يقولون اليوم عن هذا الضعيف ... الصحف ؟
هذه كلمات من أقوالهم : حجة العرب ، مؤيد ال... حارس لغة القرآن ، صدر البيان العربى ، الأديب الإما... معجزة الأدب ، إلى آخر ما يطرد فى هذا النسق ، وينطو... فى هذه الجملة . فسيقال هذا كله ولكن باللهفة لا بالاعجاب... والتاريخ لا للتقريظ ، ولمنفعة الأدب لا لمنفعة الأديب . ... لا يكون كلاماً كالذى يقال على الأرض يتغير ويتبدل ، ... كلاماً ختم عليه بالخاتم الأبدي ، وكأنما مات قائلوه كما ... الذى قيل فيه .

سئل الرافعي عن الموت قبل وفاته بشهرين فاجاب) :

ماالكلمات التي تقال عن الحي بعد موته إلا ترجمة أعماله في كلمات ؟ فمن عرف حقيقة الحياة عرف أنه فيها ليهيىء لنفسه مايحسن أن يأخذه ، ويعد للناس مايحسن أن يتركه ، فان الأعمال أشياء حقيقية لها صورها الموجودة وإن كانت لاترى .

وبعد الموت يقول الناس اقوال ضمائرهم لاأقوال السنتهم ، إذ تنقطع مادة العداوة بذهاب من كان عدواً ، وتخلص معاني الصداقة بفقد الصديق ، ويرتفع الحسد بموت المحسود ، وتبطل المجاملة باختفاء من يجاملونه ، وتبقى الأعمال تنبه إلى قيمة عاملها ، ويفرغ المكان فيدل على قدر من كان فيه ، وينتزع من الزمن ليل الميت ونهاره فيذهب اسمه عن شخصه ويبقى على أعماله .

ومن هنا كان الموت أصدق وأتم مايعرّف الناس بالناس ، وكانت الكلمة بعده عن الميت خالصة مصفاة لايشوبها كذب الدنيا على إنسانها ، ولا كذب الإنسان على دنياه ، وهي الكلمة التي لاتقال إلا في النهاية ، ومن أجل ذلك تجيء وفيها نهاية ماتضمر النفس للنفس .

وماذا يقولون اليوم عن هذا الضعيف ؟ وماذا تكتب الصحف ؟

هذه كلمات من أقوالهم : حجة العرب ، مؤيد الدين ، حارس لغة القرآن ، صدر البيان العربي ، الأديب الإمام ، معجزة الأدب ، إلى آخر مايطرد في هذا النسق ، وينطوي في هذه الجملة . فسيقال هذا كله ولكن باللهفة لابالاعجاب ، وللتاريخ لالتقريظ ، ولمنفعة الأدب لالمنفعة الأديب . ثم لايكون كلاماً كالذي يقال على الأرض يتغير ويتبدل ، بل كلاماً ختم عليه بالخاتم الأبدي ، وكأنما مات قائلوه كما مات الذي قيل فيه .

أما أنا فماذا ترى روحي وهي في الغمام وقد أصبح الشيء عندها لايسمى شيئاً ؟ إنها سترى هذه الأقوال كلها فارغة من المعنى اللغوي الذي تدل عليه لاتفهم منها شيئاً إلا معنى واحداً هو حركة نفس القائل ، وخفقة ضميره . فشعور القلب التأثر هو وحده اللغة المفهومة بين الحي والميت .

سترى روحي أن هؤلاء الناس جميعاً كالأشجار المنبعثة من التراب عالية فوقه وثابتة فيه ، وستبحث منهم لاعن الجذوع والأغصان والأوراق والظاهر والباطن ، بل عن شيء واحد هو هذه السمرة السماوية المسمّاة القلب . وكل كلمة دعاء وكلمة ترحّم وكلمة خير . ذلك هو ماتذوقه الروح من حلاوة هذه الثمرة »

★ عن مجلة « الرسالة » عدد (٢٠٣) الصادر في ٢٤ مايو ١٩٣٧م



تحية مصطفى صادق الرافعي

للشاعر: د. عبده بدوي



فـرحـةُ النّـور ، والْمُنى ، والطَّـلاقـه　　في جبـين لأُمـة خـلَّاقـه
والسمـاءُ التـي تمـوجُ صـلاةً　　والقصيـدُ الـذي يـرفُ أنـاقـه
..كـلّ هـذا أسـوقـه في انبـهـار　　نـغمـاً رائِقـاً ، وفجـراً ، وبـاقـه
لـلأديـب الـذي أحـال الليـالي　　عُش حُـب ، وجنـةً مـن صـداقـه

* * *

هـا هنـا قـد خطـا يشق طـريقـاً　　بـيْنَ نـور مصـافـح أعمـاقـه
وتـهـادى وسـورة الفجـر يتْلُـو　　هـا إلى قـولـه تعـالى « وثـاقـه(١) »
هـا هنـا عـانـق الـوجـود بحـب　　ومشى واسْتـدار في اسْتـغْـراقـه
فـإذا مـا رأى عـلى البعْـد همْسـا　　وعطـوراً ، وسـاحـةً مـغـداقـه
فـإذا الله قـاب قـوس وأدنـى　　وإذا القلْـب فَـرْحـةٌ والـعنـاقـه

* * *

يـا صـديق الحيـاة .. يـا من تغنى　　للمسـاكـين في طـريـق الفـاقـه
يـا حبيـب الفقـير مسَّحـتَ عنـه　　بعـد أن عـاد مُجْهـداً .. إرهـاقـه
يـا شقيـق العشـاق كُتْبـك كـانـتْ　　خلْـف مـارفٌ مِـن مُنًـى وعـلاقـة
يـا سمـير القـرآن طـرزت منـه　　جنَّـةً في أهـدابنـا المشتـاقـه
.. أنت رضـوان عـالم مـن ضيـاءٍ　　فـاكْشِـف السِّرَّ قـد بلغنـا رواقـه !

* * *

لستُ أنسى .. وكيف أنسى وخطـوى　　كـان من روضـك النَّضـير انطـلاقـه
لستُ أنسى ـ ولم أزل بعـد طفلا ـ　　كيـف حـاولـتُ في ذراك الطـلاقـه
كنـت بحـراً فمـا رددتَ حـروفي　　ـ وهي خضْرٌ ـ عن المنى الـدفّـاقـه
كنـت أفقـا جمعـت منـه نجـومـا　　فـإذا الليـل غنـوة رقـراقـه
لم يـزل بين خـاطـري كـل مـا قلْـ　　ـت .. فمـا قُلْتَهُ من الـورْد طـاقـه
كـم ليـال قضيتـهـا في صراع　　لتـرى الحـقَّ رايـةً سبـاقـه
لـم تكـنْ ضيّقـا بكـل جـديـد　　لـم تثـر خلْفـه جـواد « سُراقـه »
لـم تُقـاتـل عـن الْقبيـح .. وتمشي　　أحْـول الْحِقْـد ، مُـومِس الإطـراقـه
لـم تعـبْ قـومـك الـذيـن تـولَّـوْا　　لـم تقـلْ إنَّـهـم عبِيـدُ النـاقـه
لـم تقـل إنَّـهـم خيـام وسيـف　　ورمـال ممتـدِة أفَّـاقـه
لـم تقـل إنـهـم جنـايـة وأدٍ　　وهـم الْـعُقـم فـاغِـرٌ أشـداقـه
قلت : قـد أسهمـوا بكـل جـديـد　　قلت : قـد فجَّـروا هنـاك الطـاقـه
.. يـا صديقي مـا إنْ سقطنـا لأنـا　　عَـرَبٌ .. بـل لِهُجْنَـة في الْعـراقـه

* * *

أيـهـا الشيـخ لـن تمـوتَ فـإنـي　　أبصرُ الـوجْـه بسمـةً وائْتِـلاقـه
أنت حـرَّضتنـا عـلى الفـرس والـرو　　م .. وقـد كنـت للسنـا أبـواقـه
أنت غنَّيْت فـوق فسطـاط « عمـرو »　　فـإذا الْجُنْـدُ لا تحـل وثـاقـه
أنت شـاهـدت « عقبـة » وهـو يبكي　　حينمـا أوقـف المحيط سبـاقـه
أنت أبصرت « طـارقـا » وهـو يعـدو　　للـرُّبـى الخضر والمنـى الـدَّفَّـاقـه
أنـت قـد كنـت « بـيْرقـاً نبـويًّـا »　　يتـرامـى بـأنجـم خفـاقـه
أنـت أذَّنـت بـالحـروف فصـلَّى　　خلْفـك الكـونُ سـاحبـا أشـواقـه
أنـت مـازلـت مـرسـلا بـغنـاءٍ　　وبحـب لأُمَّـة عِمْـلاقـه
كـل حـرف زرعتـه صـار يُـعْطـى　　أمـلًا في النفـوس أو إشْراقـه !

* * *

(١)« ولايوثق وثاقه احد » سورة الفجر (٢٦)

مصطفى صادق الرافعي

أديب كتب تحت راية القرآن

بقلم : د. أنور ماجد عشقي

في الوقت الذي سخَّر الغزو الثقافي والفكري عدداً من أبناء الأمة العربية الإسلامية لهدم تراثنا والتنكر لعقيدتنا والنيل من مقدساتنا لحساب الثقافة الغربية والاتجاهات العلمانية في الأدب والفكر والسياسة ، وقد جعل هذا الغزو مصر هدفه الأول ، ولهذا أرادت قدرة الله أن يخرج من مصر من يقود مواجهة هذا الغزو . وهكذا قيض الله للدفاع عن الإسلام الكثير من أبنائه ، فمنهم من دافع في جبهة الفكر ، ومنهم من دافع في قطاع المنهج ، ومنهم من دافع عن فقرة المبادىء ، لكن مصطفى صادق الرافعي دافع عن الإسلام في كل الجهات وزاد عليهم دفاعاً في ميدان الأدب ، فكان متمسكاً باللغة العربية لا يرضى لها أن تهدم فتهجر كلماتها أو تستبدل أحرفها أو تمتهن معانيها حينما سعى دعاة التغريب إلى ذلك .

لهذا كان من الطبيعي أن يشيع جثمان الرافعي إلى مقبرة الرافعي بطنطا عام ١٩٢٧م ظهر الاثنين العاشر من مايو بضع عشرات من زملائه في المحكمة ، أو من جيران في الدار ، وعبَّر الجميع عن أسفهم لموته بالصمت ، لكن أحدهم همس قائلاً في مأتمه (يرحمه الله لقد كان رجلاً للدين وللعربية ، هيهات أن نجد بديلاً عنه) ، كما همس آخر إلى جاره قائلاً : (إن للقصيد لحقاً على اللغة وحقاً على المسلمين ، لا يجزي فيهما أن نقول : يرحمه الله) .

وهكذا انقضى ما يزيد عن نصف قرن ، ولم نجد من يكتب عن الرافعي إلا القليل ، لأن الساحة الأدبية والفكرية تزاحمت بضحايا الغزو الفكري ، فغابت عن أسواق الكتب مؤلفاته لوقت طويل .

نبوغ مبكر

لقد فاجأ الرافعي الأدباء وهو في سن الثالثة والعشرين بثلاثة أجزاء من ديوانه الشعري بين عامي ١٩٠٣م ، وعام ١٩٠٦م ، ثم تلاه **بديوان النظرات** ، ثم أعقبه **بملكة الإنشاء** ليُدرس في المدارس ، كما أصدر **تاريخ آداب العرب** حتى أصبح لا يُعرف الرافعي إلا به ، ولما صدر له كتاب **إعجاز القرآن** كانت له هزة وبدأ الهجوم على الرافعي لأنه أشهر سلاح القرآن في وجه سفراء الفكر الغربي من أدباء العرب .

لقد تألق نجم الرافعي عندما صدر له الجزء الأول من ديوانه عام ١٩٠٣م ، وهو لم يجاوز الثالثة والعشرين من العمر ، وقد صدَّره بمقدمة في تعريف الشعر ووصفه وتقسيمه متضمناً فنون المجاز وضروب الخيال ما إن تدبرته وجدته هو الشعر بعينه كما يقول عنه اليازجي :

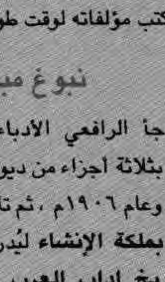
وما أن صدر الديوان حتى كتب إليه الشيخ محمد عبده يقول : **(أسأل الله أن يجعل للحق من لسانك سيفاً يمحق به الباطل ، وأن يقيمك في الأواخر مقام حسان في الأوائل)** ، وكأن الشيخ محمد عبده قد أراده بهذه الكلمات أن يكون جندياً من جنود الفكر ، فكان له ذلك ، وكان كذلك .

وتتالى الثناء عليه من رجال الفكر والأدب والدين ، كلٌ أراده لحقله ، فالزعيم مصطفى كامل باشا قال فيه **(وسياتي يوم إذا ذكر فيه الرافعي قال الناس ، هو الحكمة العالية مصوغة في أجمل قالب من البيان)** ، ثم كتب مثل ذلك حافظ إبراهيم ومحمود سامي البارودي والكاظمي ، وكثر الحديث عن الرافعي الشاعر الموهوب ، لكنه في عام ١٩١١م ، نظر إلى الحياة نظرة حاذقة وانفعل بأحداثها فترك الشعر دون هجران وكرَّس نفسه للنثر .

لقد كان بينه وبين معاصرين من الشعراء تنافس وتجاذب ، فكان تنافسه مع حافظ إبراهيم وتجاذبه مع البارودي والكاظمي . فكان البارودي شيخاً من شيوخه في الشعر والكاظمي صديقاً حميماً ، وحينما صنف الرافعي شعراء عصره في طبقات جعلها ثلاثة ، فكان الكاظمي والبارودي وحافظ في الطبقة الأولى ، وشوقي وصبري ومطران وداود عمون والبكري ، ونيقولا رزق الله ، وأمين الحداد ، ومحمود واصف ، وشكيب أرسلان ، ومحمد هلال ، وحفني ناصف في الطبقة الثانية ، والكاشف والمنفلوطي ومحرم وإمام العبد ، والعزبي ونسيم في الطبقة الثالثة ، ثم ألحق بهم شاعرين من العراق هما السيدان إبراهيم ومحمد النجفي .

إمارة النثر

لقد دفعت بالرافعي روحه الناقدة إلى النثر ، فأخذ يروِّض قلمه على الإنشاء ، فأنشأ بضع مقالات مصنوعة فتنته بنفسه وفتنت الآخرين به ، فأصدر كتاباً مدرسياً في الإنشاء سماه **(ملكة الإنشاء)** لكنه لم



لواء ركن د . أنور ماجد عشقي

- من مواليد المدينة المنورة عام ١٣٦٣هـ .
- ماجستير علوم عسكرية (كلية الأركان) عام ١٣٩٨هـ ، ودكتوراه في فلسفة القانون من جامعة جولدن جيت بالولايات المتحدة الأمريكية ، ودبلوم كمبيوتر ودبلوم محطات أرضية للأقمار الصناعية .
- تقلب في العديد من المناصب والرتب العسكرية حتى رتبة لواء ، ويعمل حالياً مستشاراً في اللجنة الخاصة بمجلس الوزراء .
- مدير ومؤسس نادي ضباط القوات المسلحة .
- له (٧) إصدارات بعضها طبع ونشر ، والآخر لم ينشر ، فضلاً عن (١٣) محاضرة و(٥٢) دراسة وبحثاً في موضوعات أدبية وسياسية وقانونية .



أديب كتب تحت راية القرآن

يستكمل نشره ، فقد عاجله نشوء **الجامعة المصرية** سنة ١٩٠٧م ، فتطلع إلى ما لديها من دروس الأدب ، وما انصرمت سنتان على الجامعة ، حتى وجد بأنها لم تستحدث شيئاً جديداً في الأدب يسد احتياجه منه ، فحبَّر مقالاً في الجريدة جرّده في وجه الجامعة وأساتذتها وعلى منهجها الأدبي ، فاهتزت الجامعة واجتمعت لجانها الفنية ، فقررت إصدار دعوة إلى الأدباء لتأليف كتاب في أدبيات اللغة العربية ، ورصدت جائزة مائة جنيه لمن يفوز ، ومدة اقصاها ستة أشهر ، ورغب الرافعي أن يكون هو الفائز يحدوه إلى ذلك المبلغ الذي يسد له حاجته المادية والمكانة المعنوية التي سوف ينالها من ذلك ، لكن المنال أصبح قريباً حينما قررت الجامعة استجابة لاقتراحه مضاعفة الجائزة ومضاعفة المدة .

في عام ١٩١١م ، أتم الرافعي كتابه **(تاريخ آداب العرب)** وأتم طبعه على نفقته قبل حلول الأجل الذي حددته الجامعة ، لكن الرغبة في تقديم الكتاب إلى الجامعة تراخت لديه ، وفضل تقديمه للمجتمع والتاريخ ، ولم يسبق الرافعي احد من المتسابقين إلا جرجي زيدان الذي سبقه إلى الطبع دون التصنيف .

لقد نال الرافعي بكتابه هذا مكانة سامية بين أدباء عصره ، فكتب عنه **أمير البيان شكيب أرسلان الذي توفي عام ١٩٤٦م** ، كتب مقالة في صدر جريدة «المؤيد» قال فيها : **(لو كان هذا الكتاب خطأً محجوباً في بيت ، حرام إخراجه للناس ، لاستحق ان يحج إليه ، ولو عُكِف على غير كتاب الله في نواشيء الأسحار ، لكان جديراً أن يعكف عليه)** .

أما **لطفي السيد** فقد قضى اسبوعاً يخطب عن الكتاب في مجالس العاصمة مادحاً ، كما كتب عنه مقالاً ضافياً في الجريدة ، **وفي عام ١٩٢٦م ، اعترف طه حسين حين قال إنه لم يعجبه احد مِمَّن ألفوا في الأدب إلا الأستاذ مصطفى صادق الرافعي** ، ثم أصدر الرافعي الجزء الثاني من الكتاب ، وموضوعه **«إعجاز القرآن والبلاغة النبوية»** .

صاحب رسالة

إن التحول الذي أحدثه كتاب الرافعي لم يكن في صفحات الأدب العربي أو في عقول الأدباء العرب فحسب بل كان التحول في منهج الرافعي نفسه ، فما ان شارف على إمارة الشعر حتى سعى إلى امارة النثر ، ولم يكن الدافع لذلك هو زهو المقام ، بل نبل الرسالة ، فالرافعي كان يعلم بأن له رسالة هي حق الإسلام والمسلمين عليه ، ولابد أن يؤديها بين الأدباء



من كلام الرافعي

قيل له يرحمه الله : هل تكره الموت ؟ فقال لا بل اكره ذنوبي ، أما الموت فهو اكتشاف العالم الأكبر ، نسأل الله حسن الخاتمة . وقيل له ما وصيتك إذا حضرتك الوفاة ؟ فقال : هي تكرار المبدأ الذي وضعته لاولادي :

النجاح لاينفعنا بل ينفعنا الامتياز في النجاح .

والمفكرين ، كما ان له هدفاً يسعى إليه هو الدفاع عن الإسلام ، ودفع أسباب الفتن عنه ، منطلقاً من قناعة واحدة هي أن اللغة والادب هما القلعة التي تصد الغزاة عن تراث الأمة الإسلامي .

لقد نظر الرافعي إلى ما يكتب في الصحف وما يتحدث به الناس في مجالسهم ، فوجد لغة ليست بالعربيّة ، وأن هناك أعجمية مستعربة تحاول فرض نفسها على اقلام المنادين والسنتهم ، لتنأى بهم بعيداً عن دينهم وتراثهم ، فيصبح الدين مهجوراً والتاريخ معزولاً . فتولدت لديه القناعة بأن اللغة لن تعود إلى ماضيها المجيد إلا بعودة (الجملة القرآنية) إلى مكانها في كتابة الكتاب وإنشاء الأدباء ، ولن تتأصل العبارة إلا بالتزود من الأدب القديم ، فعكف على قراءة الكتب القديمة ، واستوعب العبارات الجميلة والألفاظ الجزلة فمزجها بكتاباته التي أدهشت الجميع ونالت إعجابهم ، فحذا حذوه أدباء عصره ، فكان هذا هو الذي باعد بينه وبين الشعر وقرّب بينه وبين النثر والإنشاء ، فكان يقول إن في الشعر العربي قيوداً لا تمكنه من التعبير عن العواطف الكامنة في نفسه ، لقد كانت تصعب عليه الإبانة عن شاعريته بالنظم الشعري ، فكان انشاؤه شعراً كما قال فيه اليازجي .

- لقد تتابعت كتب الرافعي فظهر له **(حديث القمر)** الذي صاغه عام ١٩١٢م أثر رحلة إلى لبنان فرأى مُلهمته التي كان بينها وبينه حديث في الحب ، وصف فيه عواطف الشباب وخواطر المُحب بأسلوب بياني زوّده بزاد اللغة وجمّله بالتعبير البديع ، واللفظ الأنيق ، والتصوير الرفيع . فجاءته التهمة بالغموض والإبهام ، ورماه أصحاب الذوق السقيم والحساد بالاستغلاق .

وعندما أصدر الرافعي كتاب **«المساكين»** سنة ١٩١٧م ، صوَّر فيه الآلام الإنسانية بألوانها المتعددة من أنات المرض وتنهدات العشاق ودموع اليتامى وصرخات المستغيثين ، فبادر المرحوم أحمد زكي يقول له (لقد جعلت لنا شكسبير كما للإنجليز شكسبير) ، وهوجو كما للفرنسيين هوجو ، وجوته كما للألمان جوته ، فكان الكتاب سجلاً وجدانياً لأهوال الحرب العالمية الأولى الذي انعكس على مصر جوعاً وقحطاً وغلاءاً .

معركة الأناشيد الوطنية

في عام ١٩١٩م حينما بدأت رياح الحرية تهب على مصر ، وأخذ الشعب المصري يتطلع إلى المجد وبدأت الأمة تتوحد تحت راية واحدة ، بحثت عن نشيد يجسد أمانيها ، فشكلت **(لجنة النشيد)** تحفز الشعراء لنظم نشيد وطني يلامس أماني الشعب ، وجعلت لذلك العمل جائزة وضربت له أجلاً ، فاستيقظت شاعرية الرافعي لأنه لا يريد أن يتخلف عن أي عمل فكري يخدم به الإسلام وأهله .

وتقدم الشعراء بأناشيدهم وتقدم شوقي إلى اللجنة بنشيده المشهور .

بني مصر مكانكموا تهيا
فهيا مهدوا للمجد هيا

ولم يكن شوقي قد أعد نشيداً بهذه المناسبة ، بل تقدم بنشيد تقدم به منذ زمن ليفتتح به لفرقة عكاشة موسمها التمثيلي فاختارت اللجنة نشيد شوقي في تحيّز ظاهر أثار الأدباء والشعراء على اللجنة وحكمها ، وسطر الرافعي مقالات في **(الأخبار)** وتضامن معه أمين الرافعي كاتب الأخبار الأول ، وسحب الرافعي نشيده قبل سماع الحكم فيه ، وشاركه في الانتقاد المازني والعقاد وعبروا عن ذلك في مقالات نشرت في **(الديوان)** .

ومن يومها أخذ الرافعي في تتبع شوقي يعد عليه الأخطاء والعيوب وينقد شعره ، ومع ذلك فلم يُنصف شوقي بعد موته كما أنصفه الرافعي .. فقد كتب عنه مقالة في (المقتطف) في ديسمبر عام ١٩٣٢م ، رفعت مكانة شوقي بعد وفاته .

لكن لجنة حرة تشكلت وفندت الأناشيد المقدمة ، فاعلنت بأن نشيد الرافعي هو النشيد القومي المصري ووضعت بين الملحنين جائزة ليضعوا لحناً لنشيد الرافعي القائل :

إلى العلا إلى العلا بني الوطن
إلى العلا كل فتاة وفتى

وفاز الموسيقار منصور عوض باللحن والجائزة ، واستقبل الناس نشيد الرافعي بحفاوة ورددوه في كل مكان ، وأذيع من إذاعة طنطا سنة ١٩٢١ ، **ولم يحتفل بنشيد في تاريخ مصر ، كما احتفل بنشيد الرافعي وهو الذي قال من قبل نشيده :**

بلادي هواها في لساني وفي دمي

بمجـدهـا قلبي ويـدعـو لهـا فمـي

الذي ردده الشارع العربي من المحيط إلى الخليج ومازال خالداً في نفوس الطلاب العرب .

الرافعي والحب

وقد اصطلى الرافعي بنار الحب واكتوى به ، على أن حبه كان عذرياً عفيفاً سرعان ما حوّل ضعفه إلى قوة ، وأفرغ عواطفه ووجدانه في كتب رائعة البيان تعد فريدة الإنشاء في أدبنا العربي الحديث .

ففي يناير من عام ١٩٢٤م بدأ كتابه **«رسائل الأحزان»** وانتهى منه في مساء ١٧ فبراير من العام نفسه ، فخاطب الرافعي نفسه في الرسائل بأسلوب التجريد وزعم انها رسائل صديق بعث بها إليه ويحث فيها الصديق على السلوان بالبث والشكوى ، ثم يصطنع رسائل على لسان الصديق يدير عليها أسلوباً من الحديث عن حكاية حبه وأماله وما صار إليه ويقول فيها (هذه رسائل الأحزان لأنها من الحزن جاءت ولكن لأنها إلى الأحزان انتهت) .

لقد طبع الرافعي كتابه وبعث به إلى صاحبته فكتبت إليه رداً أثار ثائرته مرة ثانية فأصدر كتاب **(السحاب الأحمر)** الذي قال فيه **(لا يصح الحب بين اثنين إلا إذا أمكن لاحدهما أن يقول للآخر يا أنا)** ، وهنا يستعير الرافعي بعضاً من عبارات العشق الإلهي من



«إنه ليتفق لهذا الكاتب من أساليب البيان ما لا يتفق مثله لكاتب من كُتَّاب العربية في صدر أيامها !» .

عباس محمود العقاد

أدبيات التصوف ليرددها في كتبه ويلقي بها على معشوقته الأديبة الشهيرة لتتلذذ بكلمات الحب والعذاب الذي يعاني منه هذا الأديب .

وتهدأ بعد ذلك ثائرة الرافعي وتبدأ مقادير الأشياء تعتدل في نفسه ، فاستراح إلى اليأس ، لكنه لم يبرأ من بقية شوق ولهفة تعاوده حيناً بعد حين ، لكنه تراجع إلى مواقع الشعر والحكمة والبيان ثم طالع قراءة بكتابه **(أوراق الورد)** عام ١٩٣١م ، وضمنه فلسفة الحب والجمال ، وبرز فيه كمفكر وأديب ، فقد بدأ كتابه بمقدمة رائعة تحدث فيها عن تاريخ رسائل الحب في العربية ، فكانت المقدمة باباً في الأدب لم ينسج على منواله ، ولم يكتب مثله ، فجسد في الرسائل فصلاً من فصول كتابه **(تاريخ آداب العرب)** وكان يسوق أمثلة على تاريخ الأدب ويقدم نفسه ضحية لذلك فيعرض في الكتاب طائفة من رسائله إليها لم ترحل عنه ، فكانت مفاجأة في خلوة وحديث إلى النفس .

لقد كان الرافعي يعتز بكتابه **(أوراق الورد)** وكان يباهي به نفسه ويتفاخر به ، فكان نجاحه فيه عزاءً له ، وتخيل أنه احتوى معشوقته بين صفحات الكتاب بعد أن فارقته إلى الأبد فكان حبه **لكتابه** سلواناً عنها .

تحت راية القرآن

يعتبر الرافعي من أشهر نقاد العصر ، لقد خلف وراءه صدى بعيداً مما كان بينه وبين أدباء عصره ، يمكن أن نطلق عليها الخصومات الأدبية ، وكان الرافعي - يرحمه الله - حاداً في نقده ، شديداً في خصومته فأوغر ذلك صدور القوم من أصحاب الأفكار المستوردة في عصره ، وكانوا هم الغالبية ، فأصبح لمعظم أدباء عصره من المصريين غل في صدورهم وحفيظة في نفوسهم عليه ، فلم يشارك أحد منهم في تأبينه ، ولم يكتب أحد منهم شيئاً عنه ، كما لم يجد ابنه في برقيات التعازي من أصدقائه إلا برقية واحدة كتبها الدكتور طه حسين ، فكان بحق أشد الناس خصومة للرافعي وأكثرهم وفاءاً له .

لعل أول ما عرف قراء العربية الرافعي كناقد ، من خلال مقالة في **مجلة الثريا** في عدد يناير عام (١٩٠٥م) ، وكانت مقالاً عن شعراء العصر صنف فيه الشعراء إلى ثلاثة طبقات ثم اتبعه بمقال في الرد على **المنفلوطي** في «المنبر» ، ثم بدأ جولة مع **الجامعة المصرية** غداة نشأتها عام ١٩٠٨م - ١٩٠٩م ، وتلا ذلك سلسلة من المقالات في مجلتي **«البيان»** و**«الزهراء»** حول الجديد والقديم والعامية والفصحى .

أما الخصومة فقد نشأت بينه وبين **لجنة النشيد القومي** عام ١٩٢١م ، وما أن صدر له كتاب **«رسائل الأحزان»** حتى أعلنت الحرب بينه وبين **طه حسين** وتلتها معارك عنيفة بينه وبين **العقاد** إلى أن انتهت إلى معظم أدباء عصره وعلى رأسهم **عبدالله عفيفي وزكي مبارك** .

لقد كانت الخصومة بينه وبين **طه حسين** من أبرز الخصومات الأدبية ، ففي سنة ١٩١١م صدر كتاب الرافعي **«تاريخ آداب العرب»** ، فعرفه الأدباء بالعالم المؤرخ الأديب وعرفه الطالب **طه حسين** الذي يطمح أن يكون أستاذ الأدب في الجامعة ، فأراد **طه حسين** أن يبرز من خلال نقده لكتاب **الرافعي** وخشي أن **يؤهل الرافعي** إلى تدريس الأدب من خلال كتابه ، فنقد كتاب

يا حبيبَ القرآن

للشاعر: أحمد فتحي

تلكَ أنغامُهُ ، وهذا نشيدُهْ ... رَنَّ في مِسْمَعِ العُلَي ترديدُهْ
أَسْعَدَ الليلَ بالأغاريد ، حتى ... غمر الليلَ بالمَنى ، غِرِّيدهْ !
هاكَ أعوادَهُ تمايَلُ في الرَّوْ ... ضِ ، فتهفُو إلى ذَرَاها وُرودُه
كلما هَمَّ بالغِناء تَثَنّى ... مثل لَيْلاَيَ في المشارِفِ عُودُه
طائر رَفَّ في الدُّجَى بجناحَيْـ ... ـهِ على النَّهْلِ يُسْتَسَاغ ورودهْ
كلما شارف المواردَ رَدَّتْـ ... ـهُ شجونٌ يضجُّ منها جليدُهْ !
قَبَّلَ الطلُّ خَدَّهُ ، وتَمادَى ... نحو ثغرٍ يحكي الرُّضاب بَرُودُهْ
وترامى الدجى على قدميه ... والليالي كأنهُنَّ عبيدُهْ !
وهو هيمانُ مايَرُدُّ سؤالاً ... بيض أفكارِهِ سواءٌ وسُودُهْ
إن طَوَتْ ذِكْرَهُ الليالي فمازا ... لَ عزيزاً ، قديمُهُ ، وجديدُهْ

* * *

يا حبيبَ القرآن ، وهو بيانٌ ... لاحَ إعجازُهُ وَعَيَّ حسُودُهْ
لم تزلْ هاتفاً به تَتَغنَّى ... يبعثُ السِّلمَ في النفوس نشيدُه
لك من طُهر آيه بركاتٌ ... تُجْزِلُ الأجر للتُّقَى وتزيدُهْ
إن شكوتَ الجحود في ظل دهر ... قد تساوَتْ جِراؤُهُ وأُسُودُه !
فَلَكَ الغاية التي وَعَدَ الله ... ويا حُسْنَ ما أعدَّتْ وعوده
جَنَّةً عَرْضُهَا السمواتُ والأرْ ... ضُ ، وظلًّا ماينطوي ممدودُه

أديب كتب تحت راية القرآن



الرافعي نقداً لم يعبأ له الرافعي .

التقى طه حسين بالرافعي في دار السياسة التى جاء إليها الرافعي مهدياً إليها «رسائل الاحزان» واستمع طه حسين إلى حديثه في الدار ، ولم تمض ايام حتى نشر طه حسين رأيه في «رسائل الاحزان» في «مجلة السياسة» الأسبوعية ، فرد عليه الرافعي بشعر المتنبي :

وكم من عائب قولاً صحيحاً
وآفته من الفهم السقيم

وانتهج الرافعي في رده الهزء والسخرية والتجني والتحدي ، وكان هذا ما يتمناه طه حسين ، وبدأت المعركة بينهما حتى تسببت في أزمة وزارية وجفوة بين «سعد زغلول» رئيس مجلس النواب وعدلى باشا رئيس الحكومة ، فكان سعد يساند الرافعي لضرب حكومة الأحرار الدستوريين حزب طه حسين .

لقد بدأت المعركة ـ كما يروي الأستاذ العريان ـ بخصومة بين مذهبين في الأدب واسلوبين في الكتابة ، لقد كان طه حسين يحاضر طلابه في كلية الآداب في الأدب الجاهلي ، وما استدارت السنة حتى اخرج كتابه للناس باسم (الشعر الجاهلي) ، وجاء الاعتراض على الكتاب في مقالين نشرا حوله في السياسة وكوكب الشرق ، الأول للأستاذ عباس فضلي القاضي ، والثاني للأمير شكيب أرسلان ، وقد فندا ما في الأدب الجاهلي من جهالة ضد الدين والعقيدة، فتنبه الرافعي لذلك وقرا الكتاب ، وثارت ثائرته على جراة الدكتور طه حسين الذي أعطى لنفسه التجرد من الدين ليحقق مسالة من مسائل العلم ويناقش رأياً في الأدب أو ليمحص رواية من الروايات التاريخية .

فبعد أن كانت غضبة الرافعي غضبة على الابتداع في الأدب اصبحت غضبة على الابتداع في الدين ، وبهذا تحول الرافعي إلى مدافع عن الدين والقرآن في كل الميادين حتى سقط شهيداً بعد ان قدم آخر مقال له دفاعاً عن الدين وكانها اصابته دعوة الشيخ محمد عبده الذي قال فيها (اسال الله أن يجعل للحق من لسانك سيفاً يمحق به الباطل ، وأن يقيمك في الأواخر مقام حسان في الأوال .

وقد جُمعت معظم مقالات الرافعي في التصدي لأباطيل طه حسين في كتابه «المعركة تحت راية القرآن» ، وكانت أعظم المعارك الأدبية في العصر الحديث التي اشتبك فيها الحق بالباطل ، فنصر الله به الحق رحمه الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين كل خير .

المصادر

- محمد سعيد العريان ، **حياة الرافعي** ، ط ٢ ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٩٥٥م .
- د. مصطفى الشكعة ، **الرافعي كاتباً عربياً ومفكراً إسلامياً** ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٧٨م .
- مصطفى نعمان البدري ، **اغاريد الرافعي** ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٧٩م .
- د. علي عبدالحليم محمود ، **الرافعي والاتجاهات الإسلامية في أدبه** ، شركة مكتبات عكاظ ، جدة ، ١٩٨٢م .
- عبدالسلام هاشم حافظ ، **الرافعي دمي** ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ، ب . ت .

★★★

من شعر مصطفى صادق الرافعي :

على البُعد

يا نسيم الفجر يا طفل الربُى   لاهياً فوق أراجيح الشجَّر
كلما اختال على الأرض كبا   فترامى بين أحضان الزهر
رضي الروض عليه أم أبىٰ   فهو لم يشكر ولا قط اعتذر
خُذ لمن أهوى على البعد نبا   إن جهد الحب في البعد خبر

★★

أنت يا من فيك أنسىٰ من انا   بعد ذنب الدهر فينا لا عليك

★★

انظري الليل تريّ هم الهوى   يتلوى ظُلَماً في ظُلَمِ
والحظي النجم تري معنى النوى   كابتسام الموت من فوق الفم
وإذا ما ملك الحب لوى   في الكرى مفتاح باب الحُلُمِ
وتمثلت العذيب واللّوى   وعهوداً في أماني الذمم

★★

زفرات

يا عنان الصبر والقلب جواد   كيف لا تقطع بي هذا البعاد

أترى جد بها لعب الهوى
أم ترى امتد بها شط النوى

أم ترى ليس من الود دوا   أم ترى ليس على الأرض وداد

★★

طال ليلي ، والهوى طوّله
وارى آخرَهُ اولـهُ

ما لليل الحب صبح ، وله   في الهوى من كحل عينيها سواد

★★

يا نجوم الليل قولي للقمر
إن تدلى ، فتجلى فسفر

وجرى نهر الضياء فانحدر   بقيت ظلمة مهموم الفؤاد

★★

ظلمته لو صب فيها البدر والـ   ـفجر ، والصبح ونور الشمس بل
فلك الضوء ، سوى ضوء القبل   من فمٍ تهواه ... ظلت في ازدياد

★★

مصطفى صادق الرافعي..
إمام الأدب وحجة العرب

بقلم : د . محمد علي الهاشمي

هو أحد الروّاد الأُول من الأعلام الذين أثروا الفكر والأدب في هذا العصر ، وهو صاحب مذهب أدبي جامع متميّز ، شهد له به خصمه عباس محمود العقاد بقوله : «إنه ليتفق لهذا الكاتب من أساليب البيان ما لا يتفق مثله لكاتب من كتّاب العربية في صدر أيامها» . وقد تضافرت على تكوين شخصية الرافعي الفكرية والأدبية عوامل عديدة ، أهمها عوامل اربعة :

(١) بيئته الخاصة

فقد نشأ الرافعي في أسرة سورية الأصل ، محافظة ، تقدّس العربية ، لغة القرآن ، وتتمسّك بأهداب الدين الحنيف ، وتنتدب أبناءها لخدمة شعائره ومؤسساته .

كان **والده عبدالرزاق الرافعي** رئيساً للمحاكم الشرعية ، وهو أخ لأحد عشر أخاً اشتغلوا كلهم في القضاء ، وكانت عشرات وظائف الإفتاء والقضاء الشرعي في مصر مقصورة على آل الرافعي الذين عُرِفوا بتنشئة ابنائهم على محبة العربية وخدمة الإسلام ومؤسساته .

(٢) بيئته العلمية العامة

وهي البيئة الحافلة برجال الفكر والأدب من أمثال **محمد عبده والبارودي واليازجي** وغيرهم من الأدباء والعلماء والمفكرين واللغويين الذين كانت للرافعي صلة وثيقة بهم وملازمة دائمة .

(٣) المطالعة الدائمة

كان الرافعي نهماً في المطالعة ، يدمن النظر في أمهات الدواوين الشعرية وعيون التراث العربي ، ويطيل فيها التأمل والملاحظة والتدقيق ، وزاد في إقباله على المطالعة علّة الصمم التي ابتلِيَ بها في صدر شبابه ، فصرفته عن الدراسة النظامية ومخالطة الناس إلى العكوف على الكتب في مكتبة والده بياض أيامه وسواد لياليه ، يقرأ ويقرأ ، حتى إذا جاءه ضيف ، ناوله كتاباً وأقرأه ضنّاً بالوقت . ورسائله إلى أبي ريّة تفيد أنه لا يجلس إلا قارئاً مطالعاً ، سواء أكان في عمله في المحكمة ، أم في القطار إلى بيته ، أم في منزله .

(٤) علّة الصمم

فقد صرفته هذه العلّة عن مجالسة الناس ، وأجبرته على التفرغ للقراءة الواسعة ، ومن جهة أخرى كان يشعر بنقص في نفسه من جراء الصمم ، فكان يجهد



«سياتي يوم إذا ذُكر فيه الرافعي قال الناس : هو الحكمة مصوغةً في اجمل قالب من البيان» .

الزعيم مصطفى كامل

نفسه لتعويض هذا النقص ببلوغ التفوق ومحاولة الاقتراب من الكمال . وكانت علّته سياجاً للسانه وذوقه من التأثر بمزالق العامية المصرية التي قلما ينجو منها مصري . **فكان حظّه من العامية المصرية قليلاً ، حتى إنه ليسأل تلميذه العريان أحياناً عن معنى كلمة أو عبارة مما يقع في كلام العامة حينما تلجئه الحاجة الأدبية إلى ذلك .**

تلك هي عوامل تكوين شخصية الرافعي الأدبية والفكرية : بيئة خاصة راقية ، وبيئة عامة غنية حافلة بالزاد الفكري ، وإدمان على المطالعة مستمر ، وعلّة باعدت بينه وبين الناس ، والزمته الإنصراف إلى الكتب والتأمل والتفكير ، ثم تأتي موهبته التي تربط بين تلك العوامل ، وتكوّن شخصيته الأدبية الفذّة .

وبسبب من ذلك كله نشأ الرافعي شديد الإحساس بالقيم ، ولاسيما اللغة والدين ، شديد الاعتزاز بهما ، شديد الحماسة في التشبث بهما والبناء على أسسهما وقواعدهما ، كان كما يقول تلميذه العريان :

«كأنما اجتمع له وحده تراث الأجيال من هذه الأمة العربية المسلمة ، فعاش ما عاش ينبّهها إلى حقائق وجودها ومقومات قوميتها ، ولا ينظر لغير الهدف الذي جعل لنفسه منذ يومه الأول ، وهو أن يكون من هذه الأمة لسانها العربي في هذه العجمة المستعربة ، وأن يكون لهذا الدين حارسه وحاميه ، يدفع عنه أسباب الزيغ والفتنة والضلال ، وما كان - رحمه الله - يرى في ذلك إلا أن الله قد وضعه في هذا الموضع ليكون عليه وحده حياطةُ الدين والعربية ، لا ينال منهما نائل إلا انبرى له ، ولا يقتحم عليهما مقتحم إلا وقف في وجهه ، كأن ذلك فرضُ عين عليه ، وهو على المسلمين فرضُ كفاية» .

مذهب الرافعي في البيان

ليس البيان عند الرافعي في نقل الخاطر من ذهن إلى ذهن ، أو نقل الإحساس من نفس إلى نفس ، ولو كان الأمر كذلك لكانت كتابة الصحف كلها آيات بينات في الأدب ..

وإنما البيان في التعبير الجميل المؤثِّر البليغ ..

ويضرب لذلك أمثلة منها :

(١) المائدة في مطعم عادي ، وأخرى في وليمة عرس في قصر .

(٢) وجه المراة الجميلة ووجه المراة الشوهاء .

يقول في المثال الأول :

(ههنا خوان في مطعم كمطعم «الحاتي» مثلاً ، عليه الشواء ، والملح والفلفل والكواميخ أصنافاً مصنفة . وآخر في وليمة عرس في قصر ، وعليه ألوانه وأزهاره ، ومن فوقه الأشعة ، ومن حوله الأشعة الأخرى ؛ من كل مضيئة في القلب بنور وجهها الجميل .

افترى السهولة كل السهولة إلا في الأول ؟ وهل التعقيد كل التعقيد إلا في الثاني ؟ ولكن أي تعقيد هو ؟ إنه تعقيد فني ليس إلا ، به ينضاف الجمال إلى المنفعة ، فتجتمع الفائدة والاستمتاع ، وتُزَيِّن المائدة والنفس معاً .. وهذا التعقيد الذي صور في الجماد دقة العاطفة ، هو بعينه فنّية السهولة وروحيتها ، وتلك السذاجة التي في المائدة الأخرى ، هي السهولة المادية بغير فن ولا روح . وفرق بينهما أن إحداهما تحمل

إمام الأدب وحجة العرب



قصيدة رائعة من الطعام وما يتصل به ، والأخرى تحمل من الطعام وما يتصل به مقالة كمقالات الصحف) .

ويقول في المثال الثاني :

(والوجه في الشوهاء والجميلة واحد ، لا يختلف بأعضائه ولا منافعه ، ولا في تاديته معاني الحياة على اتمها واكملها ، بيد أن انسجام الجميل ياتي من إعجاز تركيبه وتقدير قسماته ، وتدقيق تناسبه وجعله بكل ذلك يظهر فنه النفسي بسهولة منسجمة هي فنيّته وروحيّته .

أما الآخر فلا يقبل هذا الفن ، ولا يُظهر منه شيئاً ، إذ كان قد فقد التدقيق الهندسي الذي هو تعقيد «**فن التناسب**» وجاء على المقاييس السهلة من طويل إلى قصير إلى ما يستدير وما يعرض ، إلى ما ينتأ من هنا وينخسف من هناك ، كالوجنة البارزة ، والشدق الغائر) .

وعلى هذا فإن الطريقة التي يكون بها الجمال جميلاً هي بعينها الطريقة التي يكون بها البيان بليغاً ، والمرجع في الاثنين إلى تأثيرهما في النفس .

الأديب الحق

فالكتابة التامة المفيدة مثل الوجهين في خلق الناس ، ففي كل الوجوه تركيب تام تقوم به منفعة الحياة ، ولكن الوجه المنفرد يجمع إلى تمام الخلق جمال الخلق ، ويزيد على منفعة الحياة لذة الحياة ، وهو لذلك وبذلك يُرَى ويُعشَق .

وينوّه الرافعي بالبيان العالي وندرته وتكاليفه فيقول :

«وربما عابوا السموّ الأدبي بأنه قليل ، ولكنّ الخير كذلك ، وبأنه مخالف ، ولكن الحق كذلك ، وبأنه محيّر ، ولكن الحسن كذلك ، وبأنه كثير التكاليف ، ولكن الحرية كذلك .» .

ويقول مصوراً الأديب الحق :

«إن لم يكن البحر فلا تنتظر اللؤلؤ ، وإن لم يكن النجم فلا تنتظر الشعاع ، وإن لم تكن شجرة الورد فلا تنتظر الورد ، وإن لم يكن الكاتب البياني فلا تنتظر الأدب» .

ويرى الرافعي أن الأديب ينبغي أن يسبغ على الفاظه لوناً من ألوان نفسه ، وان يضاعف من التعبير بما يحمّله من شحنات نفسه ، فهذه لغة الأدب والشعر بخاصة ، وبها يتفاوت الأدباء والشعراء .

ويشير إلى قوة **تأثير المواعظ والقصص** التي كان يلقيها **عمر بن ذرّ** (المتوفى سنة ١٥٣هـ) ، وهو من رجال الحديث الوعّاظ من أهل الكوفة ، فقد كان إذا تكلم نشر حوله جوّاً من روحه ، فيجعل كل ما حوله يتموج بأمواج نفسية ، فكان كلامه في الناس عصف الهواء بالبحر ، يقوم به ويقعد ، وكان من الوعاظ مَنْ يحاول أن يتشبه به ويقلده ، ولكنه لا يستطيع ، فقال بعض من جالسه وجالسهم : **«ما سمعت عمرو بن ذرّ يتكلم إلا ذكرت النفخ في الصور ، وما سمعت أحداً يحاكيه إلا تمنيّت ان يُجلَد ثمانين ..» .**

كان الرافعي يرى أن الشأن كل الشأن في ذلك للكمية الوجدانية في النفس الشاعرة أو الممتازة ، فهي التي تعيّن للنفس عملها وتهيئها لما يُراد منها - والفروق بين النوابغ إنما يعود إلى فروق هذه الكميّة في النفوس بين نابغة ونابغة .

وما المجازات والاستعارات والكنايات ونحوُها من الوان البلاغة ، إلا أسلوب طبيعي للنفس الفنية الشاعرة لأنها تريد دائماً أن تسمو بمعانيها إلى ما هو أجمل وأعظم وأدق ، وكذلك المحسنات البديعية ، كل ذلك للاستعانة بها لتعطي الكلمات دلالة أقوى وأشد تأثيراً في النفوس .

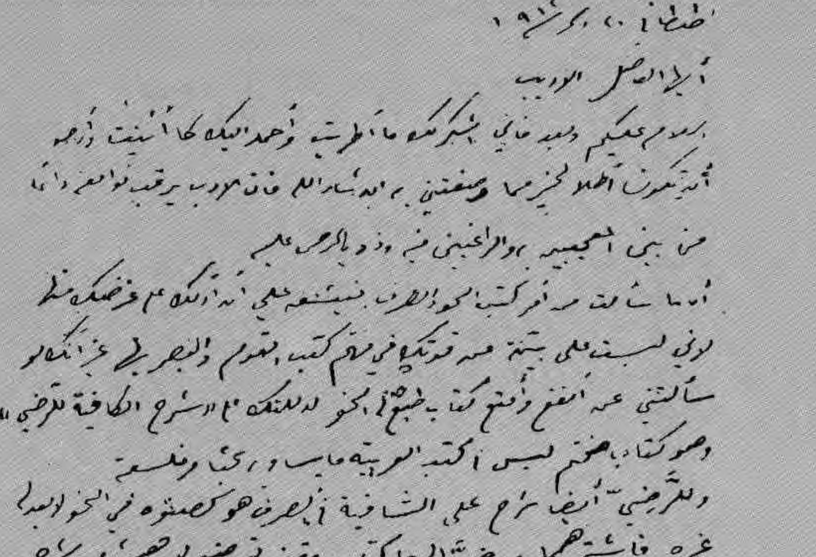
أفصح الكلام

ويرى الرافعي أن أفصح الكلام وأبلغه هو الذي يمزجه صاحبه بمداد نفسه ، ويُعنَى بتصفيته وتهذيبه حتى إنه ليبدو للسامع نفساً حية تحدّثك ، وفي ذلك يقول :

إن أفصح الكلام وأبلغه وأسراه ، وأجمعه لحر اللفظ ونادر المعنى هو الذي تريده كلاماً فتراه نفساً حية ، كأنها تلقي عليك ما تقراه ممزوجاً بنبرات مختلفة ، وأصوات تدخل على نفسك كل مدخل ، ولا تدع فيها إحساساً إلا اثارته ، ولا إعجاباً إلا استخرجته ، فلا يعدو الكلام أن يكون وجهاً من الخطاب بين نفسك ونفس كاتبه ، وتقراه وكأنك تسمعه ، ثم لا يلج إلى فؤادك حتى تصير كأنك انت المتكلم به ، وكأنه يثير في نفسك معنى مألوفاً لها ، مع أنك لم تعرفه إلا لساعتك ، وذلك بسبب تجويد صاحبه له ، ونفثه فيه من روحه ، ومبالغته في تصفيته وتهذيبه ، حتى خرج مطبوعاً من اثر مزاجه وأثر نفسه جميعاً ، فكأنه مادة روحية منه» .

ويشدّد الرافعي على **ضرورة الوعي عند المبدع** في أثناء إبداعه ، بحيث يتخيّر لكتابته من المترادفات المتباينة ، ووجوه الصنعة البيانية وغيرها .. فإذا أنت لا تقرأ سطراً من كلامه إلا أصبت ماءً ورونقاً ، ولا تمرّ فيه حتى يقبل عليك بالصنعة من وجهها المصقول ، وحتى يبادرك أنه التنقيح والتهذيب بين الكلمة وأختها والجملة وضريبتها .

ويحذّر في الوقت نفسه من أن يستسلم المبدع لرخاوة الطبع وتسمّح النفس في شيء من الحشو أو السفاف أو الضعف أو القلق .



إحدى رسائل الرافعي بقلمه إلى صديقه (أبو ريه)

وهذا لا يعني أن الرافعي كان يدعو إلى التكلف في الكتابة ، بل كان يرى أن الكتابة صناعة يجب أن تكون مكفولة بالفطرة الخالصة والطبع الفياض ، وحينما تتلازم الصنعة بالطبع تستجيب كل كلمة لحركة نفس قائلها ، في أداء المعنى الذي أحسّته ، بحيث تكون كل لفظة كأنها خلقت لهذا المعنى خلقاً ، وأُفرغت عليه إفراغاً حتى لا يناسبه غيرُها ..

أسلوب الكاتب وشخصيته

ويقف الرافعي عند التلازم الوثيق بين **أسلوب الكاتب وشخصيته ومزاجه** ، فيرى أن لكل أسلوب أصيل خصائص فرديةً لا يمكن أن تتكرر في أسلوب آخر ، فهي من هذه الناحية تشبه بصمات الأصابع التي تختلف من شخص لآخر . وهذه حقيقة أكّدها النقاد وعلماء النفس المعاصرون : من أن الأسلوب هو الشخصية .

بل إنه ليذهب إلى استيضاح أكثر أوصاف الكاتب من أسلوب كتابته ، ويردّ ذلك إلى الأوصاف النفسية التي تكون من تأثير الأمزجة ، ويؤكد أنه يستطيع مثلاً معرفة ما في كتاب (**نهج البلاغة**) من كلام **الإمام علي وكلام الشريف الرضي** ، وأن يفرق بين الكلامين ، وذلك بالاعتماد على مزاج كل منهما ، فإن المزاجين مختلفان كما يُعرَف من صفة علي ومن صفة الشريف .

ويرجع الرافعي إخفاق بعض الأدباء في أن يكون لهم أسلوب متميز كأسلوب ابن المقفع ، أو عبدالحميد الكاتب ، أو الجاحظ أو سهل بن هرون ، إلى أن أحدهم لا يستطيع تعديل مزاجه النفسي ليطابق مزاج ذلك الكاتب الذي يريد أن يسير على طريقته ، ذلك أن أسلوب الكاتب لن يكون إلا مرآة لمزاجه هو فحسب ، وليس أدلّ على ذلك من أن عبدالحميد الكاتب حاول في مطلع حياته الأدبية أن يتأثر خطا علي بن أبي طالب ويسيرَ على طريقته ، فأخذ نفسه بحفظ كلامه ، ولكن كتابته جاءت على نمط آخر مختلف ، ولم يستحكم اتفاقُ الأسلوب بينه وبين ما أُثِر من كلام علي .

هذه هي نظرات الرافعي للأدب والأدباء ، وهذا هو مذهبه الفني في البيان ، وهو مذهب أدبي جامع متميّز ، وقد شهد له أنصاره وخصومه على السواء بأنه مدرسة في الأدب والبيان لا تطاولها مدرسة من أدبنا العربي الحديث ، بل كان بحق - كما وصفه الأمير شكيب ارسلان - بأنه «**إمام الأدب وحجة العرب**» .

المصادر

(١) حامد محمد أمين شعبان ، **أسرار النظام اللغوي عند الرافعي** ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

(٢) محمد سعيد العريان ، **حياة الرافعي** ، دار الاستقامة ، القاهرة ، ١٩٥٥م .

(٣) د. حلمي محمد القاعود ، **مدرسة البيان في النثر الحديث** ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٩٨٤م .



لم يطب للنبوغ فيك مقام !

(لحن حزين هزته ذكرى الأديب العربي مصطفى صادق الرافعي)

للشاعر : محمود حسن إسماعيل*

لـم يَطِـبْ للنُّبـوغ فيـكِ مُقَـامُ ... لا عَلَيْـكِ - الْـغَـدَاةَ - مِنِّي سَـلامُ
الـمنـارَاتُ تَـنْـطـفـي بَيْـنَ كَفَّيْـكِ ! ويَـزْهـو بشـاطِئَيْـك الظـلاَّمُ
والصـدَّى مِنْ مَنـاقِـر الْبُـوم يَحْيـا ... ويَمـوتُ النَّشـيدُ والإلْـهـامُ
قـد حَبَـوْتِ النَّـعيـبَ ظِلَّـك لكِـنْ ... أَيْـنَ قَـرَّتْ بِشَـطِّـكِ الأنْغَـامُ ؟
في هَجـيرِ الأيَّـامِ تَمْضـي أغـانيـكِ حَيـارَى ، يَـؤُجُّ فيهـا الضِّـرامُ
عَـبَرَتْ مَسْـبَح الجَـداولِ ، والنَّهْـرِ ، وغـابَتْ كأنَّـهـا أَوْهـامُ
تَسْكبُ السِّحْـرَ مِنْ شِفـاهٍ علَيْـها ... مَصْـرَعُ السِّحْـرِ : لَـهفَـةٌ ! وأُوامُ !
تَسكـبُ الـعطْـر والخمـائـلُ صُفْـرُ ... مـاتَ في الأَيْـكِ نَـوْرُهـا البَسَّـامُ !
تَسكبُ البُـرْءَ مِـنْ جِـراح عليْـهـا ... تُـرْعِشُ الـعُمْـرَ شَكْـوَةٌ وسَقـامُ !
أنْتِ يا (مِصْـرُ) : واصْفحـي إنْ تعتَّبْـتُ واشْجـاك مِـنْ نشيـدي المـلامُ ..
.. قَـدْ رعَيْتِ الجميـلَ في كـل شيءٍ ... غـيْرَ مـاأحْسـنَـتْ بـهِ الأقـلامُ !
مِـنْ رَوابيـكِ خـفَّ للخُلْـدِ رُوحٌ ... قـد نَـعـاهُ لـعَصْـرِكِ الإسْـلامُ
لبِسَـتْ بـعـدَهُ الـعُروبَـةُ ثَـوْبـاً ... صِبْـغُ أسْتـارِهِ أَسىً وقَتـامُ
لم تُفِقْ مِنْ شُجـونِهـا فِيـهِ (بَغْـدَا ... دُ) ولا صـابرَتْ أَسـاهـا (الشـام)
وعَـلَى (بلـدة المـعِـزِّ) دمُـوعُ ... خَلَّـدَتْ ذِكْـرَهُ بـهـا الأهـرامُ
صاحِبُ المعْجزاتِ أعْيَتْ حِجـا الدُّنْـ ... ـيـا ، وعَيَّتْ عَن كشفْـهِا الأفهَـامُ

★ عن قصيدة للشاعر نشرتها « الرسالة » عدد (٢٥٥) ، في ٢٣ مايو ١٩٣٨م .



مصطفى صادق الرافعي..
الوجه الآخر

بقلم: د. محمد أبو بكر حميد

الوجه الآخر لكل إنسان هو ذلك الجانب الخاص الذي لايعرفه عنه الناس ، وبالنسبة للأدباء والفنانين هو ذلك الوجه المتواري خلف الصفات التي اشتهر بها فنهم وأدبهم فعُرفوا بها . وقد عُرف أديب الإسلام وأمير البيان العربي في العصر الحديث المرحوم مصطفى صادق الرافعي (١٨٨٠ - ١٩٣٧م) بأنه كان ناقداً عنيفاً ، حديد اللسان لايعرف المداراة ولا يصطنع الأدب في نضال خصومه ، وكان كما يقول تلميذه وصفيه الأستاذ محمد سعيد العريان : « يهاجم خصومه على طريقة عنترة : يضرب الجبان ضربةً ينخلع لها قلب الشجاع ! » . هكذا عاش الرافعي مهيباً من الأعداء والأصدقاء على السواء وقد غطى هذا الجانب على جوانب أخرى في شخصيته . ولعلنا نتعرف على هذا الوجه الآخر للرافعي حين نقف على أسلوب حياته مع أسرته وطريقة تعامله مع أصدقائه وهواياته ومزاياه الشخصية التي يروي معظمها الأستاذ العريان في كتابه الفريد « حياة الرافعي » الذي لم يجدد طبعه منذ عهد بعيد .

نظامه في بيته

كان الرافعي في بيته وبين أهله مثال الزوج والأب المثالي الذي تُحترم حدوده ويعطي لكل ذي حق حقه . وكان إحساس أسرته بالأمانة الكبيرة التي يحملها على عاتقه جعلها تعينه على تحمّل تبعتها ، **« كانوا جميعاً يعلمون ماعليهم لهذا الرجل الكبير ، ويشعرون بما عليه من تبعات تفرضها مكانته الأدبية فيهيئون له أسباب الهدوء والراحة والاطمئنان »** ، ويمضي العريان في وصف علاقة الرافعي بأسرته فيشبهها بأنه في موقفه كان كالملك من الحكومة الدستورية يملك ولايحكم ويعيش في جو من الدعاية والاحترام فوق المنازعات ، فقد وجد زوجه تحمل عنه سياسة البيت الداخلية وتهييء له الجو في محرابه الفكري فتكون مكتبته له وحده ، وطعامه معد في موعد لايتغير ، وفراشه ممهد لوقت راحته ونومه . على أن هذا كله لم يكن على حساب وقت أولاده ، فهناك الوقت المخصص لهم كل يوم يكون فيه الرافعي مثالاً عالياً للأبوة الخالصة الحانية . ويشهد له العريان بذلك فيقول : **« وأنا ماعرفت أباً لأولاده كما عرفت الرافعي ، إذ يتصاغر لهم ويناغيهم ويدللهم ويبادلهم حباً بحب ثم لايمنعه هذا الحب الغالي من أن يكون لهم أباً فيما يكون على الآباء من واجب التهذيب والرعاية والإرشاد ناصحاً برفق حين يحسن الرفق ، مؤدباً بعنف حين لايجدي إلا الشدة والعنفوان »** .

مع أطفاله

وإذا كانت شدة الرافعي وحزمه لاتحتاج إلى دليل فإن الوجه الآخر لشخصية الرافعي ، وهو الرافعي الأب المرح الذي يلاعب أطفاله ويسعد بهم تترقرق في أشعاره ومقطوعاته الكثيرة التي تجعله واحداً من أكثر شعرائنا غناء للأطفال والطفولة - وهو جانب يجهله الكثير - فما يكاد يسمع كلمة « بابا » السحرية تنطق بها ابنته « وهيبه » ، التي أكملت السنتين من عمرها حتى يهفو قلبه منشداً بفرحة الأب :

ابنتـي في العـمـر مـرَّتْ
مـن سنيـهـا بـاثنتـين
ليسـت فيمـا غـدت
تـعقـل إلا ضحكتـين
جئتـهـا يـومـاً فـالقيـ
ـتُ عليـهـا قُبلتـين
وأمـالـت عنقـاً
المنُـهُ مـن غمـزتـين
فمضـت غضبـى وقـالـت :
« باي يا بابا باي يا بـابا »

ويحتفل بيوم ميلادها فيسارع إلى تسجيله شعراً فتنشد الأسرة هذه القصيدة :

يـاعـروس الشـعـر أهـلاً
ثـم أهـلاً بـالنجيبـه
يـوم ميـلادك عيـد القلب يـابنتي الحبيبـه
قلـت في تـاريخـه :
زيّنـت بيتـي يـاء وهيبـه »

وعندما يهديه الله ابنه الأكبر سامي يتحول قلب الرافعي إلى ينبوع يفيض سعادةً ، فيمضي بعض أوقاته يداعبه ويهزُّه في الأرجوحة فيواتيه اللحن والوزن متفقاً مع حركتها فينشد :

انعم بهـا ارجوحـةً ياسـامي
تنـام فيـهـا أهنـأ المنـام
في قطعـة من روضـة الأيـام
يـأوي إليها طـائـر الأحـلام

ويسعد بمقدم ابنته خديجة التي كانت ذات دلال خاص عنده - واحسبها آخر أولاده - فينظم فيها موشحةً مطلعها :

نـدى الـورد عـلى فُلّـك
كسفـت الـورد والفُـلاّ
ومـن غصنـك : مـن ظلّـك
كسفـتِ الـغُصـن والظـلاّ
فمـا أحـلاك مـن دَلّـك
ومـن علمـك الـدلاّ
وكـلّ الحـق في كلّـك
فـربـي يحفظ الكـلاّ

أقوى من الحب

ولم يفرط الرافعي يوماً في عقد الأسرة وظل وفياً لزوجه التي أعطت له كل شيء وهيأت له كل شيء تحتاجه حياته كفنان . ومايقال عن علاقة الرافعي بالمرأة خارج محيط الأسرة فيه كثير من التجاوز للحقيقة ، ومايقال عن حبه لفلانة فيه شيء من الخيال . حقيقةً لقد عصف الحب بقلب الرافعي في فترة من فترات حياته ووقع له في هواه مايقع من معاناة المحبين ، ولكنه لم يسلك سلوك ضعاف المحبين ، فليس الرافعي الذي يسلم قياده لهواه ، وعلى حد تعبير تلميذه العريان **« كان حبه أقوى منه ولكن دينه وأخلاقه كانت أقوى من حبه »** . فلم يكن من الرافعي إلا أن ذهب إلى بيته وأطلع زوجه على حقيقة أمره ، وكانت أعرف الناس باستقامة زوجها ومتانة خلقه وعظم إيمانه . وهكذا كان هذا الحب طائفاً روحانياً - بعيداً عن شهوات الجسد - أوحى للرافعي بأجمل ماخطه يراع في فلسفة الحب والجمال في أدبنا الحديث ، فكانت تسد نقصاً في المكتبة العربية وتكشف عن شفافية وشاعرية نفس الرافعي ، وتعبر عن أشواق روحه ، وتسجل آيةً من آيات بيانه العربي الرفيع .

وفاء وشهامة

وكان الرافعي - يرحمه الله - في خلقه وسلوكه مع الناس مثال المسلم الحق في اعترافه بالفضل لأهل الفضل وإسداء الجميل للآخرين وفي الوفاء وحفظ العهود والذمم وإعانة الضعيف وسد حاجة المحتاج . ويروي الأستاذ العريان في كتابه « الفريد » عن حياة الرافعي العديد من المواقف التي تؤكد هذه المعاني . فعلى سبيل المثال يذكر حادثةً طريفةً تدل على مبلغ وفاء الرافعي لمن يرى أن لهم فضلاً عليه . فقد حدث أن أقبل احد أساتذته على مجلس كان فيه الرافعي ، فما كاد الرافعي يراه حتى طأطأ وانحنى يريد تقبيل يده . وما **ان خرج الرجل حتى مال الرافعي ليهمس في اذن العريان : « هذا استاذي ..» وكان في صوته رنة هي اقرب إلى صوت الطفل لابيه حين يمر بهما معلم الغلام فيميل إلى أبيه يُسرُّ إليه وظل ذكره على لسان الرافعي طوال اليوم !**

وقد أثنى كل من عرفه وزامله في العمل على خلقه وسعة صدره فقد كان يتطوع ليحمل عنهم تبعة كل خطأ يقعون فيه ويتقبل نتيجته ، وقد تولى عن زملائه مرةً مواجهة مفتش من وزارة العدل جاء ليحقق في خطأ في تقدير الرسوم لأكثر من مئة وعشرين قضية لم يكن للرافعي فيها خطأ واحد !

كرامة الأديب

وكان الرافعي شديد الاعتداد بنفسه ، عارفاً حق المعرفة بمكانته ، حريصاً أشد الحرص على كرامته من أن يمسها أي إنسان مهما ارتفع مقامه . وكان يكره الوقوف على الأبواب ، والتزلف إلى الرؤساء ونثر كلمات النفاق بين أيديهم ، وكان الرافعي يحرص على تأدية عمله دون الالتزام بمواعيد الحضور والانصراف ، فلما عين مدير جديد في دائرة عمله لم يدع الرافعي للتهنئة ، فأوغر الموظفون الذين يغيظهم اعتزاز الرافعي بكرامته صدر المدير الجديد عليه ، فبعث رسالةً إلى وزارة العدل يخبرها أن في محكمة طنطا كاتباً أطرش لايصلح للتفاهم مع الجمهور ومع ذلك فهو كثير التهاون في مواعيد العمل ويطلب فصل الرافعي من المحكمة .

وكان من حسن حظ الرافعي أن المفتش الذي أرسلته الوزارة كان **الشاعر حفني ناصف** - يرحمه الله - فقال له الرافعي : « **قل لهم في الوزارة : إن كانت وظيفتي هنا للعمل فليؤاخذوني بالتقصير والخطأ فيما يسند إليّ من عمل ؛ وإن كانت الوظيفة تعال من الساعة الثامنة واجلس على الكرسي كانك مشدود إليه بحبل حتى يحين موعد الانصراف ، فلا عليّ إن تمردت على هذا التعبد ... قل لهم في الوزارة : انكم لاتملكون من الرافعي إلا هاتين الاصبعين ساعات من النهار !** » فكتب حفني ناصف إلى الوزارة يقول : « **إن الرافعي ليس من الموظفين الذين تعنيهم الوزارة بهذه القيود ... إن للرافعي حقاً على الأمة ان يعيش في امن ودعة وحرية ، إن فيه قناعة ورضى ، وماكان هذا مكانه ولاموضعه لو لم يسكن إليه . دعوه يَعِش كما يشتهي ان يعيش ، واتركوه يعمل ويفتِنُّ ويبدع لهذه الامة في آدابها ما يشاء ان يبدع وإلا فاكفلوا له العيش الرضى في غير هذا المكان** » . ومن يومها تُرك للرافعي حرية الغدو والرواح ولاسلطان عليه إلا سلطان نفسه وماأعظمها من سلطان !

صاحب المساكين

هكذا عاش الرافعي عزيزاً منيعاً رافع الرأس موفور الكرامة يهابه الكبراء ويحسب له أصحاب الجاه والنفوذ ألف حساب ويخشى أصحاب الزيغ والفتن والضلال صليل قلمه البتّار وغضبه الذي لايخشى في الله لومة لائم . أما الفقراء والمساكين فقد كان يشعر بالتوحد معهم والشعور بآلامهم وأوجاعهم وقد كتب فيهم كتاباً بعنوان « **المساكين** » سنة ١٩١٧م وقال في مقدمته « **اردت به بيان شيء من حكمة الله في شيء من اغلاط الناس** ... » واحتشد وجدانياً وعاطفياً وبيانياً في الحديث عن معاني الفقر والإحسان والتعاطف . لقد كانت موضوعات هذا الكتاب من صميم الواقع تشعرك بأن الرافعي لم يعش في برج عاجي بعيداً عن هموم الناس ولم يعزل نفسه في صومعة ينظر منها إلى الحياة نظرةً فلسفية شاعرية وانما غرق الرافعي في حياة الناس بطريقته الخاصة وعرف كيف يحس بما يحسون فيتألم لآلامهم فيحس بعضة الجوع في بطن الفقير وحرارة دمعة اليتيم وغليان قلب المظلوم .

رياضته البدنية

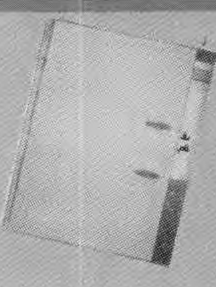
وبقدر ماحرص الرافعي على إنماء روحه وتغذية عقله وتعميق إيمانه بالقراءة والفكر والصلاة حرص كل الحرص على تقوية جسده بالرياضة البدنية إيماناً منه بأن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف . وقد ولُع الرافعي بالرياضة منذ باكر شبابه وكانت رياضة المشي أحب رياضة إليه . ويروي العريان أنه شاهد الرافعي ينهي مشيه الذي يبدأ بعد الفجر بمسح وجهه بقطرات الندى التي تتساقط على أوراق البرسيم ، فلما سأله قال له الرافعي : « **إنه ينضّد الوجه ويردّ الشباب** ! » . ويحدثنا بأن الرافعي قد أتقن أنواعاً أخرى من الرياضة كالملاكمة وحمل الأثقال وانه كان يحتفظ بالغرفة التي فيها مكتبه « بعقلة » تتدلى من السقف وكرات واساطين من الحديد واثقالاً من أثقال الرياضة مسنده إلى الحائط . وكان يملك عموداً طويلاً من الحديد يعلق في طرفيه ولديه الشابين سامي ومحمد ثم يرفعهما بيده ! ومن شدة عشقه للرياضة سعى الرافعي لصداقة أبطالها المشهورين ورفع في مكتبه صورة الرياضي الفرنسي المشهور صاندو إلى جوار صورة الشيخ محمد عبده !! لتمثلا أكمل مايحتاج إليه الإنسان : قوة الجسد وقوة الروح .

وأجاد الرافعي السباحة عملاً بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث المعروف ، وكان يرتاد شاطىء سيدي بشر في الصيف وكان يلجأ مع أسرته آمناً من الشاطىء بعيداً عن أعين الرقباء وكان يسميه « بلاج الرافعي » .

حلم لم يتحقق

ولم يكن الرافعي يقيم وزناً لاعتبارات شكلية تسود المجتمع ، فقد كان يتعامل مع الناس ببساطة وتلقائية ، وهذا ماعبر عنه الأستاذ العريان بقوله : « **إن الرافعي لم يكن رجلاً اجتماعياً يلتزم ماتفرض عليه الجماعة من تقاليد ويتخذ أسلوب الناس فيما يليق وما لا يليق** . » والحقيقة أن الرافعي شأنه شأن كل عبقري لايستطيع بداهةً الالتزام بما تعارف عليه الناس فله عالمه الخاص وله مفهوماته الخاصة للاشياء التي قد ينكرها عليه الغير . فقد أنكر عليه الناس أن يظهر كل يوم في اعلان بجريدة يومية « عن الفسفورين » وعليه شهادة بخطه عن مزاياه . واشتط البعض فظن أن الرافعي قد قبض مبلغاً كبيراً لقاء ظهوره في هذا الاعلان كما يفعل الممثلون اليوم . ويؤكد العريان ان الرافعي لم يقبض شيئاً لقاء ذلك وكل مافي الأمر أنه اشترى الفسفورين مرة فأعجب به فطلب منه صاحب الصيدلية أن يكتب رأيه فيه فلما فعل استغله في الإعلان الذي ظهر يحمل صورة الرافعي مذيلاً بلقب « **إمام الادب وحجة العرب** » الذي منحه له **شكيب ارسلان** !

وفاجأ الرافعي الناس مرة بشيء من هذا القبيل ، حين نشرت **مجلة المقتطف** سنة ١٩٢٨م اعلاناً فيه كلمة للرافعي تشيد بفن أحد المهندسين المعماريين . وقد استغل هذا المهندس شهادة الأديب الكبير وطبع منها آلاف الصور فكانت ازكى شهادة له . وقصتها أن الرافعي استعان بهذا المهندس في وضع رسم لمنزل كان يحلم ببنائه ، فأعجب الرافعي بالرسم فكتب لذلك المهندس رأيه فكانت هذه الشهادة أجرة المهندس على رسمه ! **ومات الرافعي - يرحمه الله - دون أن يتحول ذلك الرسم إلى بناء حقيقي فقد كانت موارده لاتكاد تكفي قوت عياله ، وانصرف عن تنمية موارده المادية إلى الاضافة إلى فكر الأمة التي أحبها وأخلص لها وأعطاها بلاحساب وماستطاعت أن تفيه إلى اليوم بعد مرور أكثر من نصف قرن على وفاته ولو بعض حقه بل هاجمه الأشرار من ابنائها في حياته وبعد مماته ، ولقي من الأحبة الإهمال والنسيان ومن غيرهم الجحود والعقوق والنكران . ولهذا سيظل إكرام الرافعي ديناً معلقاً على رقبة هذه الأمة يذكرها به حتى تفي له ببعض حقوقه عليها وماأكثرها .**



الرافعي .. بين الصحافة والسياسة

بقلم : عبد الجليل هنوش

مصطفى صادق الرافعي (١٨٨٠ ـ ١٩٣٧م) أديب علم ، ترك طابعه على الأدب العربي الحديث ، إذ كان رحمه الله صاحب مذهب خاص في الكتابة والنقد . فقد كان أسلوبه على الطريقة البيانية الرفيعة ، كما كان يتمتع بقدرة كبيرة على توليد المعاني المختلفة . وقد كانت فيه قوة عجيبة وكان فيه اعتداد بالنفس مكنه من الوقوف في وجه خصومه على اختلاف مشاربهم وثقافتهم . وكان خصومه ـ قبل أنصاره ـ يشهدون له بهذه القوة والقدرة على البيان .

والحديث عن الرافعي ممتع ، والجوانب التي يمكن طرقها كثيرة ، لكني سوف أقتصر هنا على موقفه من الصحافة والسياسة .

الرافعي والصحافة

انتشرت الصحف في مصر خلال تلك الفترة انتشاراً واسعاً ، إذ كانت منابر الأحزاب في الدعاية ، وميدان الكتاب الذي يتبارون فيه ويكسبون من ورائه القوت والشهرة معاً . وظل باب الصحافة مفتوحاً يلجه من يحسن ومن لا يحسن . وقد كان الرافعي ميالاً في بداية أمره إلى العمل الصحافي ، لولا توجيهات والده التي ثنته عن عزمه ، يقول : «كنت في ابتداء أمري نزعت إلى العمل في الصحافة ، وأنا يومئذ متعلم ريض ومتأدب ناشىء ، ولكن أبي رحمه الله ردني عن ذلك ووجهني في سبيلي هذه ، والحمد لله ، فلو أنني نشأت صحافيا لكنت الآن كبعض الحروف المكسورة في الطبع»[١] .

وله في السخرية بالصحافة وأهلها كلام كثير ، ويكفي الاطلاع على مقالاته التي عنونها بـ «**صعاليك الصحافة**» لإدراك ذلك . ومن أقواله القاسية قوله : «لا يقتل النبوغ شيء كالعمل في هذه الصحافة وبطريقتها»[٢] . وظاهر أنه يعني الصحافة التي عاصرها والتي لم تكن تقدم الغذاء الفكري اللازم للناس ، وإنما كانت مرتعاً للأهواء والخصومات التافهة مع كثير من ركاكة الاسلوب وضعف اللغة .

ومع ذلك فهو ليس ضد الصحافة كلية ، وإنما يريد ألا ينصرف هم الأديب الناشىء إليها أو ينحصر فيها . وهذا ما يشير إليه في قول آخر عندما قال : «إنه ليس يحسن بالأديب أن يعمل في هذه الصحافة اليومية إلا إذا نضج وتم وأصبح كالدولة على الخريطة ، لا كالمدينة في الدولة في الخريطة ، فهو حينئذ لا يسهل محوه ولا تبديله ، ثم هو يمدها بالقوة ولا يستمد القوة منها»[٣] .

هذا هو موقف الرافعي من الصحافة ، فهو حينما آنس من نفسه القوة والنضج تقدم محبراً ومدبجاً ومبدياً آراءه . وهكذا «اتسمت الفترة الأولى من حياة الرافعي بالنشاط الأدبي والنقدي ، فقد كان يكتب مقالات نثرية ومقطوعات شعرية في مختلف الصحف والمجلات ، وأخذ اسمه يتلألأ شيئاً فشيئاً إلى أن كتب مقالاً لاذعاً ينتقد فيه شعراء عصره وخاصة **شوقي** ، فإذا المقال يحدث ضجة كبرى في الطبقة المثقفة ، وتساءل القراء عن كاتبه لأن الرافعي قد أخفى اسمه واكتفى بأن رمزله بنجمة ليبلغ به ما يريد»[٤] .

هذا المقال النقدي نشره سنة ١٩٠٥م في مجلة «**الثريا**» وقسم فيه شعراء عصره إلى ثلاث

> **لقد عاش الرافعي غريباً ، ومات غريباً فكانما كان رجلاً من التاريخ بُعث في غير زمانه ليكون تاريخاً حياً ينطق بالعبرة ويجمع تجارب الأجيال ، ويُذكِّر الأمة العربية والإسلامية بماضيها المجيد ثم عاد إلى التاريخ بعد ما بلَّغ رسالته . لقد خفت الصوت ، ولكنه خلَّف صداه في أذن كل عربي ، وقلب كل مسلم يدعوه إلى الجهاد لمجد العرب وعز الإسلام .**
>
> **محمد سعيد العريان**

طبقات ، جعل **الطبقة الأولى** على هذا الترتيب : **الكاظمي ، البارودي ، حافظ ، الرافعي** : بينما جعل شوقي ثاني الطبقة الثانية ، إذ وضعه بعد **صبري** ، كما جعل **المنفلوطي** في ذيل الطبقة الثالثة[٥] . وقدم لهذا المقال بمقدمة بليغة تنم عن طموح وثقة بالنفس كبيرة . فمما قاله مخاطباً صاحب المجلة : «دونك مقالة بكراً لم ينسج على منوالها بعد في العربية ، حَرِيَّة أن تصدر بها مجلتك الغراء ، ولا يروعنك شدة لهجتها فكلها حقائق ثابتة وإن آلمت البعض ، فإن الحق أكبر من الجميع ، وإني لبالمرصاد لكل من ينبري للرد عليها ، وأنا كفء للجميع ، وما إخال أحداً يستطيع أن ينقض حرفاً مما كتبته ، فإن هم لزموا الصمت فحسبك أني أنزلت كل شاعر في المنزلة التي يستحقها ، ولا يعنيك معرفة اسمي ، فأنا ابن جلا ، وطلاع الثنايا ، فانظر إلى ما قيل ، وليس لمن قال»[٦] .

ويذهب **العريان** إلى أن الرافعي قد أخفى اسمه وراء ذلك الرمز حذر التهمة وليبلغ به مبلغ الدعاية لنفسه إذ جعل نفسه في الشعراء رابع الطبقة الأولى[٧] .

ولم تكن للرافعي صحيفة يلتزم الكتابة فيها ، وإنما كان ينشر في مختلف الصحف والمجلات ، إلا أنه انقطع عن الكتابة فيها ، إبان الفترة التي كان يُعد فيها كتابه «**تاريخ آداب العرب**» ، وبعد الانتهاء من تأليفه نشر بعض المقالات وكثيراً من القصائد الشعرية جلها في أعقاب الحرب العالمية الأولى .

أعرني النجم أوهب لي يراعا يـزيـد الـرافعيـين ارتفـاعـا
تأمل شمسهم وهـدى ضُحاهُمْ تجـد في كل نـاحية شعـاعـا

أحمد شوقي (أمير الشعراء)

وقد كان يتمنى لو وجد صحيفة إسلامية قوية ينشر فيها انتاجه دون حسيب أو رقيب ، إذ كثيراً ما يتعرض كلامه للحذف أو عدم النشر في الصحافة الوطنية : فهو - كما يقول - يريد «صحيفة تكون سياستها إسلامية محضة لتتساقط بجانبها كل صحف التدجيل الموجودة يومئذ»[٨] .

ولعله وجد بعض العزاء لما اتصل بمجلة «الرسالة» ، التي ظل يكتب فيها من سنة ١٩٣٤م حتى وافاه الأجل سنة ١٩٣٧م[٩] . وقد اشتد عمله الصحافي في فترة المعارك الأدبية التي خاضها ضد **طه حسين والعقاد وعبدالله عفيفي وزكي مبارك** . وهي تلك الفترة التي أنتجت مقالاته النقدية اللاذعة والرائعة في آن واحد . ومقالاته نشرت في عدة مجلات مثل : **المقتطف ، والعصور ، والثريا ، والزهور ، والبلاغ ، والمقطم** وغيرها .

الرافعي والسياسة

كانت الفترة التي عاشها فترة مخاض فكري وسياسي ، إذ كانت الأحداث السياسية والفكرية متلاحقة مندفعة لا تكاد تستقر على حال ، فالاستعمار الفرنسي والانجليزي قد حمل إلى الشرق حضارته ومذاهبه السياسية والفكرية ؛ وهكذا «عاشت مصر النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري في مرجل سياسي يغلي بالأحداث ويفور ويقذف بالتيارات والاتجاهات والمذاهب»[١٠] .

وقد شغلت هذه الأحداث الناس ، وألهبت العواطف ، وحركت الاقلام ، ولست هنا بصدد التأريخ للأحوال السياسية في مصر لذلك العهد ، ولكن حسبي أن أبين موقع الرافعي من هذه الخارطة السياسية لأن البعض ظلمه فجعله على هامش الأحداث .

ينفي **سعيد العريان** أن تكون للرافعي أية علاقة بالسياسة ، يقول : «لكنه في السياسة كان يتحلى بفضيلة الجهل التام ، فلا نعرف له رأياً في السياسة إلا حادثة اليوم بأسبابها لا بأصحابها . وكم جر عليه هذا الجهل السياسي من متاعب»[١١] .

ويتابعه في ذلك الدكتور **كمال نشأت** في كتابه عن الرافعي إذ يقول : «لقد كان الرافعي بعيداً عن السياسة والسياسيين»[١٢] .

وليس من السهل أن نقبل مثل هذا الكلام دون تمحيص ونظر . ولعل الذي دفع العريان ونشأت إلى نفي الفهم السياسي عن الرافعي هو فهمهما الضيق لمعنى السياسة . فالسياسة عندهما مقصورة على الانتماء الحزبي الضيق ، ولا يتصوران أن يكون للمرء موقف سياسي مستقل خارج الانتماء إلى حزب من الأحزاب .

صحيح أن الرافعي لم يشارك في سياسة البلد ولم يحمل متاعبها وهمومها ، ولكنه عندي كان يفهم السياسة وخباياها ويحلل الوقائع والأحداث، وليس لازما لمن يفهمها أن يشارك فيها . ثم يجب الا ننسى أن الرافعي حينئذ كان موظفاً في المحكمة ، وكان إذاك ممنوعاً على جميع موظفي الدولة أن يبدوا أراءهم في سياسة البلاد .

إن فهم الرافعي للسياسة يكاد يكون في أحيان كثيرة أعمق من بعض السياسيين الحزبيين المعاصرين له . وسوف أسوق من آرائه مايؤكد هذا الأمر فهو مثلا يتحدث عن حالة مصر قائلا : «أما الأحوال الحاضرة فلا نتيجة لها إلا وضع لون جديد على الواقع المرجو من زمن ، وكل مشكلة بين الذئب والخروف لا يكون حلها أبداً إلا من لحم الخروف ، مالم يرسل الله راعياً أو يحدث حادثة تشغل الذئب بنفسه»[١٣] . ويتحدث عن الحركة الوطنية حديثا لا تظنه إلا لرجل عريق في السياسة **يقول** : «أما رأيي في الحركة الوطنية فإني أرى هذه الحركة مباركة مفيدة ، ومن لا يكرم نفسه لا يكرم ، ولكنها لا تنتهي بالاستقلال التام إلا إذا كان في الغيب مثال من أمثلة الشذوذ العجيبة ، والغالب بل المؤكد أن تعطي مصر الاستقلال الداخلي فتدبر أمورها بنفسها وتتولى إنجلترا شؤونها الخارجية فقط ، وإذا تم هذا على الوجه الصحيح وخرج كل المستشارين والمفتشين الإنجليز من الحكومة ، فهي نعمة كبرى لأن التربية يومئذ تتخذ شكلا وطنيا محضاً ، فلا يمضي جيل واحد حتى يعقبه الجيل المستقبل بطبيعته ، ويومئذ تزدهر العربية وآدابها وفنونها ويوجد لنا شعب قارىء»[١٤] .

والعجيب أن هذا الذي قدره الرافعي هو الذي وقع بعد زمن يسير . وهذه النصوص أخذتها من كتاب **(رسائل الرافعي)** وهي رسائل كان يبعثها لصديقه **محمود أبو رية** ، فهي بذلك رسائل شخصية استطاع الرافعي أن يطلق لقلمه فيها العنان دون رقيب أو حسيب في وصف الأحوال السياسية . والمهم بالنسبة لي أنها تنفي بشكل قاطع جهله بالسياسة .

وله آراء أخرى غير ما ذكر ، واكتفى بالاشارة إلى مقالة كان كتبها يصف فيها حال البلاد السياسية ويبين رأيه فيها ، تقدم بها لصحيفة «الاخبار» لكنهم رفضوا نشرها لأن فيها مساسا بالوضع السياسي للبلاد ولأن الموظفين يمنع عليهم إبداء آرائهم في مثل هذه القضايا[١٥] .

وفي كتابه **(وحي القلم)** نجد كثيراً من المقالات التي تنبه إلى موقفه السياسي ، وأحياناً نجده يصر أن يجعل كلمة «سياسة» في عنوان المقال ، من ذلك مقالاته : (المعنى السياسي في العيد) و(الطماطم السياسي) و(المعجم السياسي) ومقالات غيرها تبين موقفه من أهمها مقاله : «نهضة الأقطار العربية»[١٦] .

لقد أدى الرافعي رسالة كبرى في معركته الفكرية الواسعة دفاعاً عن اللغة العربية وأصالتها ودفاعاً عن الإسلام وقيّمه الغالية وحضارته الخالدة ، وانه قرر في معظم كتاباته ان الحل الإسلامي هو الحل الصحيح لمشاكلنا . لكن ما معنى مؤامرة الصمت التي تقف اليوم إزاء تراث الرافعي العريق أهي جزء من المؤامرة الشاملة ضد الإسلام وأهله في هذا العصر ؟! أم هي مخلب من مخالب الغزو الفكري الذي يأبى إلا أن يطمس الحقائق النيّرة الباهرة في تاريخنا الإسلامي المعاصر ؟؟

نجيب الكيلاني

الرافعي بين الصحافة والسياسة



ولعل من الذين أنصفوا الرافعي في هذا المجال وفهموه الاستاذ **ضيف الله محمد الأخضر** صاحب كتاب **(نثر الرافعي)** إذ يقول فيما معناه : «إنه (أي الرافعي) كان ينظر إلى مصائر الأمم في حربها وسلمها أو مناوراتها وكثيراً ما كان يصيب.. ثم هو بعد ذلك كثيرا ما يقحم السياسة في حديثه ويتناولها بألفاظها ومعانيها ومعاني معانيها وما تحتمله من تأويـلات وتخريجات»[١٧] . بل يذهب ضيف الله أبعد من ذلك إذ يثبت نوعاً من الميل السياسي عند الرافعي تجاه الحزب الوطني ، غير أنه ميل خفي[١٨] .

إلا أن الاستاذ ضيف الله غلا غلواً كبيراً عندما زعم أن الرافعي كان يتوق إلى المناصب الحكـومية لـولا الصمم الذي حـال بينـه وبينها[١٩] . وهو زعم لا يمكن قبوله لأنه ليس لدينا نص أو واقعة تثبت هذا التخمين وتزكيه . فهو - إذن - مجرد ظن ، **وغاية ما هنالك أن الرافعي كان يتمنى أمرين اثنين** :

أولهما : التدريس في الجامعة بعد إنشائها وهو أمل راوده كثيرا وتمناه ، (انظر كتابه تحت راية القرآن) .

وثانيهما : أن تضمن له الدولة عيشه ليتفرغ للأدب والفكر ، يقول مثلاً : «**ما أتمناه من زمن بعيد هو أن أتفرغ لمقالات في النقد نحو سنتين أو ثلاث تهدم العصر كله من جميع نواحيه الضعيفة وتبني عليه أدبا جديداً ، فإن هذا العمل ينشىء جيلا قوياً جداً** ، ويقضي على التدجيل الصحافي المتفشي الآن ، ويحدث في الأدب واللغة نهضة تنبعث بالحياة . ويظهر لي أن الوقت الذي نحن فيه غير صالح لمثل هذه الثورة **(فالبلاغ)** مثلا يرفض هدم **زكي مبارك** ، و**(المقتطف)** يرفض هدم **العقاد** ، وقس على ذلك»[٢٠] .

وفي مكان آخر يقول : «ليت الزمن يهيىء لي أسباب التفرغ للكتابة والشعر ويغنيني عن التكسب من الوظيفة التي أنا فيها»[٢١] .

هذا كل ما هنالك ، أما توقه للمناصب الحكومية فلم أجد نصًّا يؤيده في كتابات الرافعي كلها .

خاتمـــة

كان هذا تحقيقاً في علاقة الرافعي بالصحافة والسياسة . وقد تبين أن جل انتاجه كان مقالات نشرها في الصحف المصرية ، كما صححنا الرأي الذي ينفي الفهم السياسي عن الرافعي وأثبتنا رأينا في ذلك محتجين له بأقوال الرافعي نفسه .

وبعد ، فالرافعي رحمه الله أديب مظلوم ، لا يتحدث عنه الناس إلا لماماً ، وقد آن الأوان لنحتفل بتراثه وهو الأديب الذي خدم الأمة الاسلامية واللغة العربية أجل خدمة ، فقد أعاد إلى اللغة زهرة شبابها كما أعاد إلى الأمة ثقتها في ذاتها وحضارتها وفكرها .

مؤلفات الرافعي

(١) **ديوان الرافعي** : ثلاثة اجزاء ، صدرت بين سنتي ١٩٠٣م و١٩٠٦م ، وقدم لكل جزء منها بمقدمة في معاني الشعر تدل على مذهبه ونهجه ، وهي مذيلة بشرح يُنسب إلى أخيه الراحل محمد كامل الرافعي يرحمة الله ، وهو من إنشاء المترجم نفسه وقد أعيد طبعها بعد وفاته ومازال بحاجةٍ إلى تحقيق وإعادة طبع .

(٢) **ديوان النظرات** : أنشأه بين سنتي ١٩٠٦م و١٩٠٨ م .

(٣) **ملكة الإنشاء** : كتاب مدرسي يحتوي على نماذج أدبية من إنشائه ، أعدّ أكثر موضوعاته وتهيأ لإصداره في سنة ١٩٠٧م ، ونشر منه بعض نمـاذج في (ديوان النظرات) ، ثم صرفتْه شؤونٌ مّا عن تنفيذ فكرته فأغفله ، وقد ضاعت (اصوله) فلم يبق إلا النماذج المنشورة منه في ديوان النظرات .

(٤) **تاريخ آداب العرب** : صدر في سنة ١٩١١م بسبب إنشاء الجامعة المصرية ، ويراه أكثر الأدباء كتابَ الرافعي الذي لايعرفونه إلا به .

(٥) **إعجاز القرآن** : وهو الجزء الثاني من تاريخ آداب العرب .

(٦) **حديث القمر** : اول ماأصدر الرافعي في أدب الإنشاء ، وهو أسلوب رمزي في الحب تغلب عليه الصنعة ، أنشأه بعد رحلته إلى لبنان في سنة ١٩١٢م حيث التقى لأول مرة بالآنسة الأديبة (مي زيادة) .

(٧) **المساكين** : فصول في بعض المعاني الإنسانية ألهمه إياه بعض ماكان في مصر من أثر الحرب العامة ، أنشأه في سنة ١٩١٧م .

(٨) **نشيد سعد باشا زغلول** : كتيِّب صغير عن نشيده : « اسلمي يامصر ! » الذي أهداه إلى الزعيم سعد زغلول يرحمة الله في سنة ١٩٢٣م ، طبع المطبعة السلفية بالقاهرة : وأكثر مافي الكتاب من المقالات هو من إنشاء الرافعي أو إملائه .

(٩) **النشيد الوطني المصري** : « إلى العلا ..... » ضبط ألحانه الموسيقية ، الموسيقار منصور عوض .

(١٠) **رسائل الأحزان** : كتاب أنشأه في سنة ١٩٢٤م يتحدّث فيه عن شيء مما كان بينه وبين فلانة ، على شكل رسائل يزعم أنها من صديق يبثُّه ذات صدره .

(١١) **السحاب الأحمر** : هو الجزء الثاني من قصة حب صدر بعد رسائل الأحزان بأشهر .

(١٢) **المعركة تحت راية القرآن** : هو كتاب « الجديد والقديم » وفيه قصة ماكان بينه وبين الدكتور طه حسين لمناسبة كتابه « في الشعر الجاهلي » ، صدر في سنة ١٩٢٦م .

(١٣) **على السفود** : قصة الرافعي والعقاد ، نشرته مجلة (العصور) في عهد منشئها الأول الأستاذ إسماعيل مظهر ، ولم تذكر اسم مؤلفه ورمزت إليه بكلمة : « إمام من ائمة الأدب العربي » .

(١٤) **أوراق الورد** : الجزء الأخير من قصة حب ، يقوم على رسائل في فلسفة الجمال والحب .

(١٥) **رسالة الحج** : أنشأه في صيف سنة ١٩٣٥م ، استجابة لرأي صديقه حافظ عامر يرحمه الله وإليه ينسب !

(١٦) **وحي القلم** : مجمـوع مقالاتـه في مجلة (الرسالة) بين سنتي ١٩٣٤م و١٩٣٧م إلى مقالات أخرى ، طبع منه جزءان في حياته ، ثم اعيد طبعه مع الجزء الثالث أكثر من مرة بعد موته .

(١٧) **اسرار الإعجاز** : فيه فصول تامة التأليف ، وفصول اخرى اجمل فكرتها في كلمات على ورق او أشار إلى مصادرها ، وكان الرافعي يعتد بهذا الكتاب اعتداداً كبيراً ، وهو جدير بذلك حقاً .

الهوامـــش

(١) وحي القلم ٣/ ١٨٤ .
(٢) نفسه ٣/ ١٨٥ .
(٣) نفسه ٣/ ١٨٥ .
(٤) نثر الرافعي (ط الجزائر) : ٣٥ .
(٥) انظر حياة الرافعي (ط ١٩٥٥) : ٣٥ .
(٦) نثر الرافعي : ٣٥ .
(٧) للمزيد من الاطلاع على ذلك انظر : حياة الرافعي ٥٣ ، نثر الرافعي ٣٤ ـ ٣٥ ، وحي القلم ٣/ ٢٩٣ .
(٨) رسائل الرافعي (ط ١٩٦٩) ٢٥٢ .
(٩) حياة الرافعي ٢٢٩ .
(١٠) الرافعي والاتجاهات الاسلامية في أدبه : ٧١ (الطبعة السعودية) .
(١١) حياة الرافعي : ١٥٤ .
(١٢) الرافعي (سلسلة اعلام العرب ١٨) : ٥٠ .
(١٣) رسائل الرافعي : ١٦٨ .
(١٤) نفسه ٧٦ .
(١٥) انظر : رسائل الرافعي ٨٣ .
(١٦) وحي القلم ٣/ ١٧٠ .
(١٧) نثر الرافعي ٢٠ .
(١٨) نفسه ١٦٤ .
(١٩) نفسه ٢١ .
(٢٠) رسائل الرافعي ٢٥١ .
(٢١) نفسه ٣٦ .

لقاء

مع : أميليو غارثيا غوميث

رائد المستعربين الإسبان

أجرت الحوار : انتصار أحمد أحمد

يُعَدُّ «أميليو غارثيا غوميث» واحداً من أهم المستعربين الإسبان وأبرزهم . ولد في مدينة «مدريد» في الرابع من يونيو عام ١٩٠٥م ، وحصل على الدكتوراة في كلية الفلسفة والآداب بجامعة مدريد المركزية ، ولم يتعدّ عمره اثنين وعشرين عاماً ، وبعدها عُيِّنَ استاذاً بقسم اللغة العربية .

اعتلى قمة مراكز علمية وسياسية راقية ، وحاز جوائز تقديرية وتشجيعية كثيرة ومتنوّعة : فقد انتخب عضواً باكاديمية التاريخ الأسبانية عام ١٩٤٢م ، وعضواً في أكاديمية اللغة عام ١٩٤٥م . ثم عُيِّنَ عضواً بإدارة معهد «ميغيل أسين» في عام ١٩٥٤م . ثم مديراً للمعهد الإسباني العربي للثقافة .

ثم عُيِّنَ سفيراً لبلاده بالعراق ، وكابول ، ولبنان ، وتركيا ، ثم تنازل عن عمله بالسلك الدبلوماسي في عام ١٩٦٩م : ليعود إلى عمله بجامعة مدريد المركزية حتى تقاعد في عام ١٩٧٥م . منحته بعض الجامعات العالمية الدكتوراة الفخرية اعترافاً منها بنشاطه العلمي الكثير والمتنوّع والجاد ، منها جامعة القاهرة ، والجزائر ، واشبيلية ، وقرطبة ، وغرناطة ، وبوردو بفرنسا .

منحته بعض المجامع العربية عضويتها مثل مجمعي اللغة العربية في كل من القاهرة وبغداد . ومنحته أكاديمية اللغة الاسبانية جائزة كبيرة عن كتابه «نص عربي في أسطورة الاسكندر» ، وفي العام الماضي نال جائزة «بغداد» التي تمنحها اليونسكو .

أثرى المكتبة العربية/ الأسبانية بكثير من المؤلّفات التي لها قيمها الفكرية ، والتاريخية ، والتي ألقت مزيداً من الضوء على هذه الحقبة من تاريخ العرب في إسبانيا والتي امتدت إلى ثمانية قرون ، نذكر منها :

(١) ابن زمرك ، شاعر الحمراء (دراسة وترجمة لأشعاره) .
(٢) ابن قزمان .
(٣) أزجال ابن قزمان (دراسة وترجمة) .
(٤) أشعار عربية على جدران ونافورات الحمراء (جمع ونشر وترجمة) .
(٥) حوليات الحكم الثاني .
(٦) رايات المبرزين لابن سعيد المغربي (ترجمة ودراسة) .
(٧) شعر ابن الزقاق (ترجمة) .
(٨) شعر ابن زمرك .
(٩) طوق الحمامة لابن حزم (ترجمة) .
(١٠) عَرُوض الموشّحات والعروض الاسباني (دراسة) .
(١١) قصائد من الشعر العربي الأندلسي (ترجمة) .
(١٢) مع شعراء الأندلس والمتنبّي (نقله إلى العربية الدكتور الطاهر أحمد مكي ونشر في دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٨٢م) .

والحديث عن «أميليو غارثيا غوميث» حديث متنوّع الاتجاهات ، عميق الأغوار ، والرحلة في عوالمه مخاطرة شيّقة ومثمرة ، تتسم بالصراحة ، والجرأة الشديدة ... جاء حديثه ثرّ المعاني ، وأفكاره جاءت متّسمة بالنظرة العلمية المتعقّلة ، وإن شابها بعض أمارات التعصّب لجنسه ... ومع ذلك يبقى الاعتراف الكلي بأهميّة الوجود العربي في اسبانيا طيلة ثمانية قرون أهم العناصر التي صبغت هذا اللقاء معه الذي أنشره في مجلتي «الفيصل» الغرّاء تقديراً لمكانتها في الوطن العربي والإسلامي والعالم .

سفير .. البلاد العربية

●● عملت سفيراً لبلدك في العراق لمدة سنتين ونصف كما عملت في لبنان .. وسبع سنوات في تركيا ... ما الدوافع الحقيقية وراء قبول منصب سفير لبلدك ؟ وفي العراق على وجه التحديد ؟

● قبلت منصب سفير في بعض دول الشرق الأوسط ، لعدة أسباب : في المقام الأول : كنت أريد الابتعاد عن الجامعة في اسبانيا ، حيث كانت تمر بلحظة لم تكن تعجبني . وفي المقام الثاني : ان «فرناندو ماريا كاستييا» وزير خارجية اسبانيا حينها ، والذي عَيَّنَني في هذا المنصب أكّد على أنني لن أكون سفيراً سياسياً ، بل ثقافياً . وفي المقام الثالث : كانت رغبتي كبيرة في التعرّف على بغداد منذ زمن بعيد ؛ لأن أول زيارة قمت بها إلى الشرق كانت للقاهرة ودمشق ، لكنني حينها لم أتمكّن من زيارة **بغداد** ، وكانت رغبتي هذه وراء قبولي بمنصب سفير لاسبانيا في العراق .

السياسة .. والإبداع

●● كثيراً ما تثار قضية أن السياسة بهمومها الكثيرة والمتنوّعة تقتل ملكة الإبداع ، وتقلّل من فعاليتها ... ترى إلى أي مدى تنطبق هذه المقولة عليك ؟

● أعتقد أنّه في أيِّ مكان يسافر إليه الإنسان يمكن أن يستفيد ويتعلّم ، فأنا حاولت خدمة مصالح بلادي ، وكسب الأصدقاء والتعلُّم في كل

هذه الدول ، وخلال فترة عملي في الحقل الدبلوماسي انتجت الكثير ، وتركت ورائي الكثير ... من تحقيق وكتابة الكثير من الأعمال الأكاديمية ، وخاصة كتابي عن «**ابن قزمان**» وهو زجّال معروف ، **ويقع الكتاب في ثلاثة أجزاء ،** تربو على (١٥٠٠) صفحة ، فقد استغللت عملي هناك ـ أي في بغداد ـ لإنتاج مثل هذا الكتاب ، وغيره من المقالات .. وكانت تجربة مفيدة للغاية سواء في **بغداد** أو **لبنان** .

في القاهــــرة

●● وعن القاهرة وما ارتبطت بها من ذكريات جميلة ، وصداقات مازالت باقية الأثر في وجدانك .. ماذا يمكنك أن تحدّثنا عنها ؟

● وصلت إلى **مصر** عام ١٩٢٧م ، وكان عمري حينها اثنين وعشرين عاماً . في الواقع كانت أول مَرَّة أسافر فيها إلى خارج إسبانيا ، فلم أكن أعرف سوى بعض المناطق في **جنوب فرنسا** . ذهبت إلى مصر وانا أحمل رسالة توصية إلى **أحمد زكي باشا** ، ولم اكن انتظر أن يكون لهذه الرسالة تلك الأهميّة ، حيث استقبلني استقبالاً حاراً ، وخلال عامٍ ونيف الذي عشتهما في مصر ، كنت أذهب إلى منزله مرتين كل أسبوع . هناك تعرّفت على الكثير من الشخصيات منهم : **محمود حسن زناتي** رئيس مكتبة «الخزانة الزكية» ، **والمُسْتَعْرِب الإيطالي «ناللينو»** الذي كان يحاضر في كلية الآداب ... وحضرت دروس **طه حسين** ، ومن يومها جمعت بيننا صداقة قوية حتى وفاته .

مع طه حسين

●● وماذا عن علاقتك بطه حسين ؟

● قلت : جمعت بيننا صداقة قوية حتى وفاته . وقد **ترجمت كتابه «الأيام» إلى الأسبانية** وسعيت إلى دعوته إلى اسبانيا مرتين ، في المرّة الأولى كان ضد الحكومة ، ويومها لم تتحرّك السفارة لاستقباله ، لكنني قدّمته إلى الكثير من الشخصيات مثل «**أورتيغا أي غاسيت**» وهو فليسوف وكاتب اسباني . وفي المرّة الثانية : **أتى بصفته وزيراً للمعارف لافتتاح المعهد المصري في مدريد** ، وتم تشييد هذا المعهد بعد أن تغلبت أنا وهو على الصعاب التي كانت تقف في طريقه .. كان من عادتي أن أسافر كل عام مرّة إلى مصر حيث كنت ألتقي به خلال هذه الزيارات .

مع توفيق الحكيم

●● وعن أديب العربية الكبير : توفيق الحكيم ، وصداقتكم له ، وذكرياتكم المشتركة .. ماذا تقول ؟

● يُعَدّ **توفيق الحكيم** أقدم صديق لي بمصر ، وكانت تربطني به صداقة قوية ، **وترجمت له «يوميات نائب في الأرياف»** ونفدت طبعته من الأسواق ، وكلما أزور مصر كنت ألتقي به ، ومن هنا كانت تصلني أخباره .

●● من النقّاد من يزعُم أن توفيق الحكيم تأثّر بالكاتب الأسباني «خوان رامون خيمينث» وخاصة بكتابه «أنا وحماري» . فما رأيك في هذا ؟

● يضحك شيخ المستعربين الأسبان ، ويقول : ليس صحيحاً ، فتوفيق الحكيم لا يعرف اللغة الأسبانية ، كما أنَّه لم يسمع بالشاعر الأسباني إطلاقاً ... وهذا القول ليس صحيحاً .

تأثير العربية في الأدب الأسباني

●● الحديث عن التأثيرات العربية في الأدب الأسباني يطول ويتشعّب ويتداخل ... ومع كل هذا تبقى الصورة غائمة الملامح ، ضبابية الجوانب ... ترى ما تحليلك لهذا ؟

● التأثيرات العربية في الأدب الأسباني ثابتة ، وأحياناً يبالغ فيها ، في حين أنَّه في بعض الجوانب تكون واضحة ، ولا يتطرّق إليها أحد ؛ على سبيل المثال : التأثيرات العربية في الأمثال الأسبانية كثيرة وواضحة . وإذا طال عمري سأقوم بعمل دراسة حول هذا الأمر ، وهناك الكثير من الأمور لم يتعرّض إليها الباحثون .

●● إذا طلبنا منك أن تعقد مقارنة سريعة بين الشعر العربي في الأندلس ونظيره في المشرق .. فماذا تقول ؟

● يجب أن أشير هنا إلى أن الشعر العربي في الأندلس لا يمكن مقارنته بكثافة واتقان شعر المشرق ، ففي الأدب العربي الأندلسي لا يوجد **مُتَنَبِّي ولا أبو تمّام ولا بحتري** .

كان نوعاً من الشعر يمكن أن نطلق عليه اسم «**شعر إقليمي داخل الإسلام**» . فهذا الشعر لا يتمتّع بالقوة التي نجدها ـ على سبيل المثال ـ في شعر **المتنبِّي الذي اعتبره احسن شعراء العرب ، واتمتّع بقراءة شعره أكثر من قراءتي لأي شاعر آخر** ، فهو لم يكن شاعراً جيداً فقط من ناحية الشكل والموسيقى واتقان البيت ... بل شعره به شحنة فكرية تنقص الشعر العربي الأندلسي ، في حين أن هذا الشعر يبرز في المجال الوصفي .

الشعر العربي الأندلسي

●● إذا كان الشعر العربي الأندلسي برز في المجال الوصفي والاستعارات .. ترى إلى أي مدى كان لهذا التفرّد انعكاس واضح ودقيق على مِرْآةِ الإبداع الشعري لدى الشعراء الأسبان المعاصرين ؟

● إن مسألة الاستعارة وقوّتها في الشعر العربي الأندلسي كانت أهم ما أثار إهتمام الشعراء الأسبان المعاصرين ، وكان لها تأثير واضح في نتاج هؤلاء الشعراء . فهذه الاستعارة وقوّتها في التعبير والوصف تختلف اختلافاً تاماً عن الاستعارة القديمة والتقليدية . ففي الاستعارات العربية مثلها في ذلك الاستعارة التقليدية نجد أشياء مثل الورد ، الزنابق ، السَّوْسَن .. ولكن في الشعر العربي الأندلسي يقيمون التشبيه على أساس التفاوت في الأحجام ، فمركب صغير ومجاديفه في الميناء أو في مياه البحر يقارنونه بالْعَيْن والأهداب مثلاً ، مع مراعاة أن حجم المركب

لا يقارن بحجم العين مهما صغر هذا المركب ، ولا حجم المجاذيف يقارن بالأهداب ، فقد كان للشعراء الأندلسيين المهارة في استخدام مثل هذه الصور . وكانت هذه القوة في الاستعارة هي أهم ما أثّر في هؤلاء الشعراء الاسبان ، ومازال يلاقي إعجاب الشعراء الحاليين في اسبانيا .

●● من بـين مؤلّفاتـك الكثيرة والمتنوّعة يروق لي أن نقف أمام واحد منها ، وليكن «قصائد من الشعـر العربي الأنـدلسي» .... لنعرض قصة تأليفه وملابسات نشره ، وكيف حاز على كل هذه الشهرة ؟

● تعود قصة تأليف هذا الكتاب إلى فترة إقامتي في **مصر** ؛ لأنَّه فضلاً عن كتب **أحمد زكي باشا** التي كانت مودعة في «**الغورية**» كان يحتفظ بالكثير من الكُتب ، من بينها كانت صورة لمخطوط كتاب «**رايات المبرزين**» **لابن سعيد** ، وعن هذه الصورة أعطاني نسخة لهذا المخطوط .. **وعن كُتب مكتبته ومخطوط ابن سعيد أخذت قصائد هذا الكتاب** .

وكنت قد أعددت جزءاً كبيراً منه مع **أحمد زكي باشا** ، حيث كنّا نخصّص ساعة كل أسبوع له ، **فقد كان أول من كتب عن الشعر الأندلسي وتاريخه** . وفي عام ١٩٢٨م قمت بنشر بواكير هذا الكتاب في **مجلّة «أوكثيد ينتي ـ الغرب» التي كان يصدرها «أورتيغا»** .

وفي عام ١٩٣٠م **قمت بنشره في كتاب** ، وتصادف نشر كتابي هذا مع الاحتفال بالذكرى المئوية لوفاة «**غونغورا**» ، والمعروف عن هذا الشاعر أنَّه يلتقي في الصور واللغة مع الشعر العربي ، وهنا كان نشر الكتاب متفقاً واللحظة المناسبة . وبعد انتهاء **الحرب الأهلية الاسبانية** توالت طبعات الكتاب في النفاد حتى **بلغ اليوم تسع طبعات** ... نعم لاقى هذا الكتاب نجاحاً كبيراً ، أكثر مما كنت أنتظر .

أسلوب الترجمة

●● ما الأسلوب الذي اتبعته في ترجمة اشعار هذا الكتاب ؟

● **في البداية ترجمته نثراً** ؛ لأن ترجمة الشعر إلى شعر يومها كان شيئاً غير مقبول ، فقد تصادف أن هذا النوع من الشعر الأندلسي كان مجهولاً في اسبانيا ؛ لأن آخر شيء قد نشر في اسبانيا ، كان قد ترجمه الكاتب الاسباني «**خوان باليرا**» في القرن التاسع عشر عن كاتب ألماني ، أي ترجمة عن ترجمة ، في حين جاء ترجمتي كانت عن العربية مباشرة ... ثم نشرت النص الكامل بعد ذلك لكتاب ابن سعيد بالعربية ، ثم نشرت طبعة بالعربية والاسبانية معاً ... أما الآن فقد غَيَّرْتُ أسلوبي في الترجمة ، **ففي أعمالي الأخيرة أترجم الشعر شعراً** . وبالرغم من مرور حوالي ستين عاماً على صدور كتابي «**قصائد من الشعر العربي الأندلسي**» إلا أنه مازال يُبَاعُ بكميّات كبيرة دون أن يتمكّن أحد من وضع كتاب يفوقه .

●● كان لصدور كتابك «قصائد من الشعر العربي الأندلسي» أثر كبير وواضح في إبداعات جيل ١٩٢٧م ، ويُدَعِّم هذا اعتراف بعضهم ... فما تعليقك على هذا ؟

● هذه مسألة معقّدة جداً ، لا أريد الدخول فيها ، وهذا ما يقوله الآخرون ، فهذا الكتاب قرأه كل الناس ، والتقى مع الموضوعات التي كان يعالجها الشعر الاسباني آنذاك دون تأثير مباشر ... على أن الكثير من شعراء هذا الجيل اعترفوا ـ بكـل صراحة ـ بقـراءتهم للكتاب وإعجابهم به ، منهم الشاعر «**رافائيل البرتي**» والشاعر «**خوان رامون خيمينيث**» **الذي نال جائزة نوبل للآداب عام ١٩٥٦م** ، قرأ ترجماتي تلك في منفاه ، وكثر ما تحدث عنها دون الاشارة إلى اسمي كمترجم ... أما «**فيديريكو غارثيا لوركا**» الذي كانت تربطني به صداقة ، فلم يعترف بذلك ... وسبب ذلك أن المناخ آنذاك لم يكن في صالح ما هو عربي ؛ أي أن الجو الثقافي لم يكن يتقبّل ، ولا يؤيد ما هو عربي ، فيما عدا «**أورتيغا أي غاسيت**» .

شعور المستعربين الاسبان نحو العرب

●● انقسم المستعربون الاسبان في الأجيـال التاليـة لجيلك إلى اتجاهين : اتجاه صَبَّ جل اهتمامه على الحِقبة العربية في الأندلس ، وهو امتداد لمدرستك . واتجاه اهتم بـدارسة العـالم العربي المعاصر ... وعلى الفور ـ وقبل أن أنهي سؤالي ـ أدرك مـا أريـد الوصول إليه ، وبالرغم من ذلك علت تقاسيم وجهه أمارات تردد ؛ فالأمر سيثير حساسية الأجيال الحالية من المستعربين ... ولكن سرعان ما تعالى فوقها ، وقال بجراة واضحة :

● في جيلي كان المستعربون قليلين ، الآن أصبحت أعدادهم هائلة ... **في زمن جيلي بدأنا العمل ، وكان لنا هدف محدّد وهو إعادة الحق إلى أصحابه العرب من الشهرة والسمعة الطيّبة** .. ففي تلك الأيام كانت الناس في اسبانيا ، إما معادية للعرب ، أو لا مبالية بهم . فلم يكن هناك أكثر من هذين الفريقين من الناس ، أي ان المحبِّين للعرب لم يكن لهم وجود .

●● والآن ...؟

● الآن ، تَغَيَّرت الأمور تماماً .

تعايش الأديان

●● يتـردّد الآن ـ في الأوساط الفكرية ـ الحديث عن التعايش بين الأديان الثلاثة عـلى أرض اسبانيا في الماضي .. ترى ما تعليق شيخ المستعربين الاسبان عـلى هذا ؟

● حقيقة يتردّد هذا كثيراً ... ولكن ليس هناك وجه مقارنة ؛ لأن **اليهود** لم يكن لهم دولة في اسبانيا ، وأكثر ما وصلوا إليه في اسبانيا المسلمة أن يكونوا وزراء مكروهين من قِبل الجميع ، في حين أن العرب كانت لهم دولهم السياسية باسبانيا .. ومن هنا جاء التناضح بين الحضارتين العربية والاسبانية ، وهناك ثوابت تاريخية وإنسانية تؤكد ان ذلك .

■■■

القلق.. وراثة وصناعة

بقلم: د. عبدالستار ابراهيم

في إحدى المشاهد المعروفة يخاطب «ماكبث» نفسه في مسرحية «شكسبير» التي تحمل نفس الإسم قائلاً :
«لماذا أنا مستسلم لهذا الإيحاء ذي الصورة المروعة التي تنصب مني شعر الرأس ، وتجعل من قلبي الساكن يدق أضلعي دقاً على غير ما أعدته الطبيعة لذلك ؟»
نعم . إن طبيعة شخصية «ماكبث» الجريئة الغادرة والمغامرة لم تعده للخوف والقلق . ولكن الهزة الانفعالية والصدمة التي تلت مصرع دنكان «Dun Can» باتفاق غادر بين زوجته وماكبث ، كانت من العنف بحيث لم تحتملها حتى هذه الشخصية التي «أعدتها الطبيعة لغير ذلك» .

مصادر القلق

ويعرف العلماء اليوم أن **الخبرات الصدمية والضغوط النفسية والاجتماعية تشكل واحدة من المصادر الثلاثة الرئيسية الكفيلة بإثارة القلق** ، وتطور مخاوفنا الرئيسية في الحياة .

ونعرف اليوم أيضاً أن **الهزة الانفعالية** قد تكون من العنف لدرجة تجعلها وحدها كفيلة باكتساب بعض مخاوفنا الرئيسية . لكن اكتساب القلق حتى يتحول إلى طبيعة دائمة في الشخصية يحدث عادة بسبب التقاء عناصر ثلاثة يحسن التعرف عليها قبل التقدم لمعالجة القلق أو الشفاء منه :

(١) الاستعداد الطبيعي والتهيؤ الوراثي للإصابة .

(٢) التعلم الاجتماعي .

(٣) الصدمات ، أو الهزات الانفعالية التي تمر بالشخص .

التهيؤ والاستعداد والوراثة

هناك ما يدل على ضرورة وجود ما يسمى **بالاستعداد العصابي** حتى يمكن الحديث عن وجود القلق كخاصية دائمة في الشخصية . **والشخص العصابي يتميز بشخصية تسهل استثارتها** ، وتتسم بسرعة التوتر والانفعال وعدم الاستقرار . وهناك نظرية يتشيع لها **«أيزنك»** الإنجليزي **«وكاتل»** الأمريكي - ترى أن الشخصية العصابية ترتكز على دعائم موروثة تتمثل في زيادة النشاط الاستثاري في الجهاز العصبي المستقل . ومن المعروف بين علماء وظائف الأعضاء أن النشاط الاستثاري (والذي يعرف أحياناً **بالنشاط السمبتاوي**) يعمل على إثارة الأعضاء المختلفة على نحو آلي في حالات الخطر فتتسارع آلياً دقات القلب ، وتنقبض الأوعية الدموية وتنشط الغدد الدرقية ، وتثور المعدة وتنقبض . وهي نفس الوظائف التي نراها تنشط في حالات الخوف والقلق . وبالرغم من أن هدف هذه الوظيفة هو استثارة الجسم وإعداد الإنسان للتهيؤ ومقابلة الأخطار بالهجوم عليها أو الهروب والتحايل فإن استمرارها لفترات طويلة يعتبر سيئاً خطيراً على الصحة الجسمية والنفسية معاً . ولهذا فقد أعددنا أيضاً بوظيفة أخرى هي الوظيفة المهدئة (تعرف باسم **النشاط البار سمبتاوي**) وهي تعمل بتناسق كامل مع الوظيفة الاستثارية ولكن في اتجاه معاكس فيكون هدفها تهدئة الجسم بعد مواقف الخطر والعودة به إلى حالة من الهدوء فترتخي الأوعية الدموية ، وينخفض ضغط الدم ، وتقل سرعة دقات القلب .

ونحتاج لهذه الوظيفة حتى لا يزداد الانفعال مؤثراً على وظائف الجسم الأخرى ومؤدياً إلى الفناء أو الموت .

وهناك ما يؤكد أن بعض الأشخاص يولدون ولديهم زيادة غير معتادة في وظائف الاستثارة . وتتفاوت هذه الزيادة في النشاط الاستثاري من خفيفة إلى حادة . ولهذا يكون من السهل علينا أن نستنتج بأن الشخص الحاد الطبع ، السريع في انفعالاته ، واستجاباته يكون في الغالب من هذا النوع الذي يرث نشاطاً استثارياً زائداً .

إلى هنا لم نتحدث عن القلق . **هل نفهم من ذلك أن القلق هو نتيجة طبيعية أو تعبير سلوكي آلي للنشاط العصبي الاستثاري ؟**

الحقيقة إنه لا يجب أن تفهم أن كل زيادة في النشاطات الاستثارية ستتحول إلى قلق وعصاب . ويبيِّن لنا العلماء أن **الانطوائيين** - وهم ليسوا بالضرورة مرضى أو عصابيين - يرثون أيضاً جهازاً عصبياً استثارياً نشطاً لكنهم يتسمون بصفات أبعد ما تكون عن المرض منها : **الحساسية ، والمسالمة ، والحذر ، والهدوء وضبط النفس والميل للتأمل والاستيطان** . كما لا شك أيضاً أن هناك كثيراً من المشاهير بين العلماء والفلاسفة ممن بنوا شهرتهم على خصائص انطوائية كالفيلسوف الفرنسي **سارتر وكانت وجبران خليل جبران** . ونعتبر من ناحيتنا أن فناننا الراحل **توفيق الحكيم** ، وبعض الشعراء الذين عرفهم تراثنا الشعري من أمثال **شوقي ، وأبو العلاء المعري** كانوا من المتشبعين للخصائص الانطوائية ، ولكن حياتهم كانت أبعد ما تكون عن القلق والعصاب والمرض .

القلق في واقع الأمر يحتاج إلى استعداد استثاري ولكن ليس كل استعداد استثاري سيتحول بالضرورة إلى القلق . إن الاستعداد الاستثاري هنا أشبه بقطعة القماش الخام التي يستحيل علينا دونها تفصيل الثوب ، لكننا يمكن أن نفصل منها ما نشاء غير الثوب من أشياء تناسب طبيعة القماش وحاجاتنا الشخصية . ونفس المنطق هنا ، ينطبق على **علاقة القلب بالاستعدادات الوراثية** . **فما يتخذه هذا الاستعداد الوراثي من ترجمات سلوكية من قلق أو خلافه يعتمد على مايحكم الشخص بعد ذلك** في مراحل تطوره المختلفة من شروط بيئية وعلاقات بالآخرين وتعلم اجتماعي . فإذا وضع الآباء متطلبات صارمة على الطفل الشديد الحساسية واتجهوا معه إلى الصرامة والضبط الشديد والعقاب والتخويف ، فإن من الأرجح أن تتجه الشخصية بكاملها بعد ذلك إلى القلق والعصاب . وبنفس المنطق قد تتكون لنفس هذا الطفل شخصية متزنة هادئة وناجحة إذا ما تميزت

علاقاته بالأسرة بالتوجيه الدافىء والتقبل والتشجيع الدائم .

إن الحساسية قد تترجم للواقع بلغات مختلفة بحسب ما تمر به الشخصية من خبرات اجتماعية وبيئية . والقلق هو الاضطراب الانفعالي الذي تتشيع له الشخصية عندما تتفاعل ظروفها الوراثية مع بيئة مضطربة .

صناعة القلق

إلى هنا ولم نتحدث بالضبط عن تلك الخبرات الاجتماعية التي من شأنها أن تتجه بالشخصية إلى المرض النفسي والقلق . هنا أيضاً يقدم لنا البحث العلمي نتائج تشير بالضبط إلى الأخطاء التي ترتكبها الأسرة والبيئة الاجتماعية في حق الطفل بشكل يؤدي إلى أن تتسم حياته بالقلق والمرض النفسي والوساوس .

والواقع أن **عمليات التعلم الاجتماعي عمليات مستمرة ودائمة** ، وبقدرة البيئة أن تحول الشخصية الاستثارية (والتي سنطلق عليها من باب التيسير ومن باب مجاراة المصطلحات العلمية التي استخدمها العلماء اسم **الشخصية الانطوائية**) في أي وقت إلى خصائص القلق .لكن من المعروف أن الفترة ما بين سنتين وثلاث سنوات من حياة الطفل هي من أكثر المراحل استجابة للبيئة ، وتشكلاً لضغوطها بالاستجابات القلقة والمخاوف .

لهذا فإن **شخصية الأبوين وأساليب تعاملهما** مع الطفل تعتبران من عوامل التعلم الاجتماعي وعناصره وهما من أهمها على الإطلاق . ويفضل العلماء النظر إلى **شخصية الوالدين** وأساليبهما في رعاية الطفل ووضعها وفق عاملين رئيسيين :

- **العامل الأول** : يمتد من الحب إلى الكراهية .
- **العامل الثاني** : يمتد من التساهل إلى التقييد .

وإذا جمعنا بين هذين العاملين كان من السهل أن يتحولا إلى أربعة أنماط رئيسية من التعامل لكل منها خصائصه الرئيسية ونتائجه على الشخصية والسلوك ، وهي :

(١) الآباء الذين يجمعون الحب بالتساهل والتسامح : والشائع أن الأطفال الذين يولدون لأباء من هذا النوع هم من أكثرهم حظاً بمقاييس الاتزان والصحة النفسية . فمنهم يأتي القادة والميل إلى الإبداع والاستقلال بالشخصية والثقة بالنفس .

(٢) الآباء الذين يجمعون الحب بالتقييد : والأطفال الذين ينشأون في هذا الجو الأسري ، ولو أنهم يتوافقون مع الأسرة ومعاييرها توافقاً جيداً إلا أنهم عادة يتسمون بالاتكالية ، والتبعية ، وقلة المبادرة والمجازفة والتقليد .



(٣) النمط العدواني المتساهل من الأباء يرسم أمام الطفل نموذجاً يقوم على العدوان وإيقاع الأذى ، وإذا اقترن هذا الأسلوب العدائي بالتساهل أصبح التساهل أقرب إلى الرفض والتجاهل . ولهذا بيَّن أطفال هذه الفئة من الآباء فيما بعد الميول الإجرامية ، والجنوح ، والعدوان ، والسخط الاجتماعي .

(٤) أما القلق والعصاب والوساوس والعداء الذاتي وكراهية النفس (الاكتئاب) فهي مصاحبة لنشأة أسرية تتسم **بالعداء والتضييق** .

في الجو الأسري الذي يجنح للعداء (أي العقاب والضغط الشديد) والتضييق من الخبرة (قمع إمكانات الطفل والتحقير منها وعدم تشجيعه على النشاط والتلقائية) ينشأ الطفل وهو على غير يقين بكفاءته ، مما يؤثِّر في ثقته بنفسه ، ورضاه عن عمله وعن ذاته . ولهذا تبيِّن دراسة الأشخاص المصابين بالأمراض النفسية والقلق أنهم ولدوا لآباء يتميزون بالضبط الشديد والتخويف من الحياة والمجتمع وحرية التعبير والتلقائية مما يسهل على الشخص اكتساب المخاوف المرضية التي تعتبر من السمات الأساسية في القلق والعصاب .

إن تضافر العوامل الوراثية وظروف تنشئة الوالدين والتعلم الاجتماعي تهيىء الشخصية للانهيار السريع عند حدوث أزمات أو ضغوط . فالأزمات البيئية تعجل بظهور الاضطرابات . وهناك بالفعل ما يدل على أن العصابيين هم من أكثر الأشخاص عرضة للقلق والمخاوف عندما كانوا يوصفون من غيرهم في مواقف تجريبية محملة بالضغط . وتتزايد بينهم أيضاً نوبات القلق والانزعاج في المواقف الطبيعية التي تتصف بالتوتر الشديد والصراع كالطلاق ، والهجرة ، والعزلة ، والامتحانات . وفي ظل الحروب والغارات النفسية تبيَّن أيضاً أنهم أسرع من غيرهم بالإصابة بنوبات الفزع والمخاوف المؤقتة والدائمة .

وهكذا فإن القلق لا يعتبر نتاجاً كاملاً للظروف الاجتماعية والضغوط ، كما أنه لا يمكن أن يكون بكامله نتاجاً للطبيعة الشخصية والجبلة . فالإنسان يشكل طبيعته من خلال ما يمر به من مواقف وضغوط ، كما أنه يشكل رؤيته لهذه الضغوط من خلال طبيعته وشخصيته .

الآلــة الجويــة

يستخدم مسمى **«الآلة الجوية»** Atmos Pheric Engine للدلالة على الأنواع المبكرة من **«الآلة البخارية»** Steam Engine **(أو المحرك العامل بالبخار)**، والتي تستخدم ضغط **الهواء لأداء عملها، والذي استبدل ضغط البخار فيما بعد**.

ولقد كان ذلك راجعاً لسببين رئيسيين هما:

● **أولاً**: أنه كان من المتعذر، في بداية القرن الثامن عشر للميلاد، تشييد غلايات قوية بالقدر الكافي لتحمل أقل ضغط للبخار.. إن لم يكن تحمل أي ضغط بخاري على الإطلاق.

● **ثانياً**: أن وسائل التصنيع المعدني، لم تكن دقيقة بالحد المطلوب، ومن ثم لم يكن بمقدور أحد صناعة **كبّاس** Piston أو **اسطوانة** Cylinder يتناسب أحدهما جيداً مع الآخر من حيث الحفاظ على التحكم في ضغط البخار.

وهكذا تعمل الآلة الجوية من خلال السماح للبخار بالمرور إلى وعاء Container، ثم تبريد ذلك البخار بماء بارد، حتى يتكثف ويتحول إلى ماء مرة أخرى. وبذلك يقل حجم البخار بدرجة كبيرة، فيتكون في الوعاء فراغ Vacuum جزئي، ومن ثم تعمل الآلة بواسطة استخدام الفرق بين ذلك الفراغ، والهواء الخارجي..

جدير بالذكر أن جميع المحركات (أو الآلات) الجوية المبكرة استخدمت لضخ الماء.

مراحل التطور

أول استخدام لهذه الفكرة قام به **«دنيس پيپين»** Denis Papin، مخترع **«طابخ الضغط» (أي وعاء الطبخ الذي يستخدم ضغط الهواء)** Pressure Cooker، وذلك في عام ١٦٩٠م. وكانت آلة «پيپين» تتكون من كابس صغير واسطوانة يستخدمان الفكرة السابق شرحها. لكنها لم يكن لها غلاّية منفصلة، ومن ثم كان يتوجب إعادة ملئها بالماء بعد كل فترة عمل قصيرة. أما تشغيلها فكان يجري على مراحل تبدأ بملء الأسطوانة بالماء، ثم تسخينه، فيرفع البخار الكابس. ثم يبرّد البخار، ويتكثف، فيدفع ضغط الهواء بالكابس إلى أسفل.. وهكذا.

بيد أن تلك الآلة لم يتحقق لها أي تشغيل عملي.. فهي لم تتجاوز كونها آلة جسدت فكرة استخدام ضغط الهواء وحسب.

● وفي عام ١٦٩٨م، قدم المهندس العسكري، النقيب **«توماس سيڤري»** Thomas Savery آلة جوية استخدمت في رفع الماء من المناجم.. كما أنها استخدمت كلاً من الضغط الجوي وضغط البخار بطريقة تبادلية أثناء عملها.

● أما في عام ١٧١٢م، فقد ظهرت آلة اخترعها «توماس نيوكمن» Thomas Newcomen لتضع نهاية لاستخدام آلة «سيڤري».

● وتعد آلة **«نيوكمن»** تطويراً للآلة الجوية، كما أنها تتكون أيضاً من كابس واسطوانة.. لكنهما يعملان رأسياً.. وتلك الحركة لهما تحرك عموداً محورياً على طرفه الآخر توجد «مضخة ماء ترددية» Recipro-cating Water Pump.

وفي تلك الآلة كان المطلوب من الكابس إصدار أية طاقه وحسب عندما ينجذب إلى أسفل، حيث إن الكابس كان موصولاً إلى العمود المحوري بواسطة سلسلة، كما أن الطرف الآخر للعمود كان أثقل وزناً منه في طرفه الموصول بالسلسلة، كي تظل السلسلة مشدودة باستمرار.

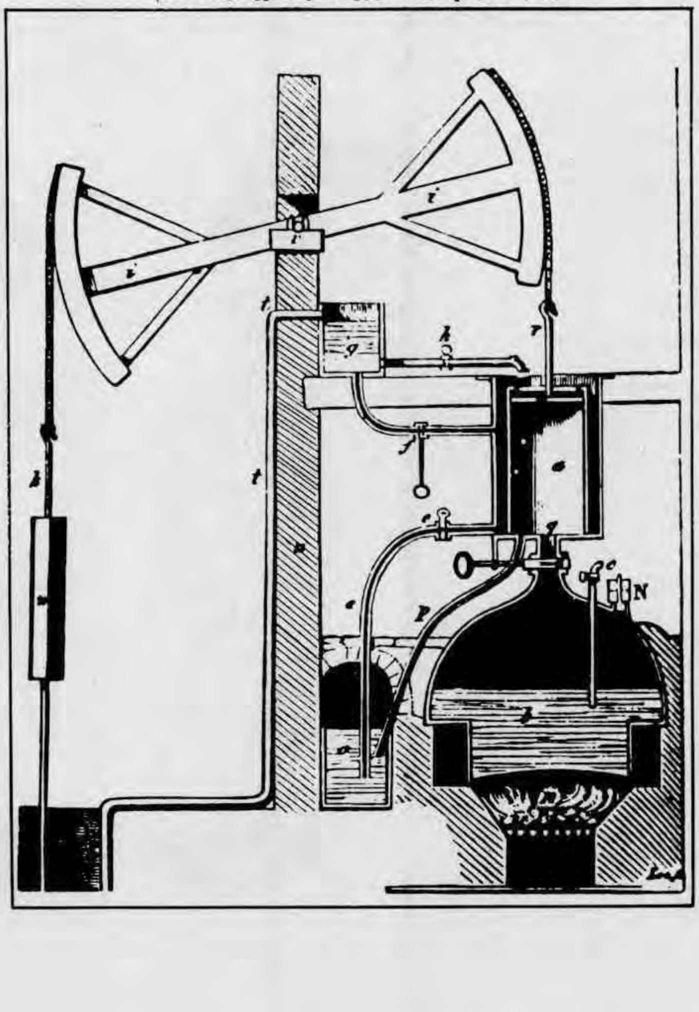
● أما الأجزاء الأخرى من تلك الآلة، فكانت تضم غلايا أسفل الأسطوانة **وموصولاً** بها بواسطة أنبوب قصير به صمام بخار. كما تضم الأجزاء خزاناً لحفظ الماء المراد تكثيف بخاره، وكذلك أنبوب تصريف Eduction Pipe في **أسفل** الأسطوانة لتصريف الماء الزائد. وهذا الأنبوب يتصل من أسفل بوعاء صغير للماء، كانت وظيفته حفظ الضغط المتوسط في نهاية الخزان بفعالية.

● ولقد تم تشغيل آلة «نيوكمن» تلك ـ لأول مرة **في قلعة دَوْ لي** Dudley Castle في **منطقة «ورسسترشاير»** Worcestershire ببريطانيا في عام ١٧١٢م.

● هذا، ولقد استخدمت تلك الآلة في ضخ الماء طوال فترة القرن الثامن عشر للميلاد. ولعل الفضل في ذلك يعود إلى تحسينات التصميم والأداء التي أدخلها عليها المهندس **«سميتون»** Smeaton في ثمانينيات ذلك القرن للميلاد. ولكن رغم كل ذلك، فقد كانت كفاءة الآلة لا تزيد على ١٪ فقط، في حين أن ٩٩٪ من الوقود المستخدم في تشغيلها كان يضيع هباءً في انتاج حرارة غير مستفاد منها وكذا في الاحتكاك والارتشاح الناتجين عن تشغيل الآلة.

★★★

رسم توضيحي لأول آلة جوية اخترعها نيوكمن ـ ١٧١٢م



طريق الهدى

فتاوى لفضيلة الشيخ
د. صالح بن سعد اللحيدان

حديث صحيح

●● هل صح هذا الحديث « لاتقوم الساعة حتى تعود أرض الجزيرة مروجاً وأنهاراً » ؟

سليمان الفهد .. بريدة .. القصيم

● الحديث صحيح رواه الإمام مُسلم في الصحيح ٣/٨٤ ،وكذا رواه الإمام أحمد في المسند ٢/٧٠٣ ، وهو من رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحديث ... » .

وهذا الحديث جليل الدلالة على النبوة وصدق الرسالة وهو نص على علامة من علامات الساعة الصغرى ، التي ظهرت الآن وحياها الناس فليتهم يربطون بين هذا النعيم وبين حقيقة التوحيد والعظة للآخرة .

وقد أطال الإمام النووي الكلام فيما أعلم على هذا الحديث في شرحه على صحيح الإمام مسلم ، والذين ذكروا علامات الساعة والفتن أطنبوا على هذا النص فيُراجع هناك حيث البسط .

★★★

دَيْن الوالد وبيع الذهب بالذهب

●● إذا كان على والدي دين وأنا وارثه الوحيد فهل أقضي دينه ؟.

حمود بن سليمان عليان الساقي .. جدة .. البغدادية

● نعم تقضي الدين الذي على والدك ، وهذا أمر واجب اليس هو والدك ألم ترثه بعد وفاته فيلزمك قضاء دينه كما لو كان الحال عكس هذا .

أما بيع الذهب بالذهب مع فارق القيمة وإن كان هذا جديداً وذاك مستعملاً فلا يجوز هذا بل يكون الذهب يداً بيد مثلاً بمثل .

لكن إذا كنت مضطراً إلى تبديل الذهب القديم فإنك تبيعه ثم بعد ذلك تشتري بقيمته ذهباً جديداً والأول ربا فلا يصح حسب علمي . وقد صح الحديث بتحريم مثل ماجاء في سؤالك . وان كان هذا يقع كثيراً كما تقول في ص ٣ من رسالتك إلا أن هذا ليس دليلاً على الجواز ، « **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** » .

★★★

سجود السهو

●● إذا قام الإمام وقد وجب عليه الجلوس للتشهد الأول فهل يجلس للتحيات الأولى ؟

براك بن سبيل ودنان الرشيدي .. حائل

● إذا اعتمد قائماً بعد الركعتين من الصلاة كالظهر والعصر والعشاء أو في الصلاة الثلاثية بعد الركعتين الأوليين فإن الإمام ، وكذا المنفرد لايعود فيجلس لكن يستمر ثم يسجد للسهو قبل السلام لأنه نقص فعلاً من جنس الصلاة فوجب جبر هذا النقص في سجوده للسهو قبل السلام ، لكن إذا لم ينتصب الإمام أو المنفرد لم ينتصبوا قائمين فإنهم يجلسون للتشهد الأول ، ولاسجود للسهو هنا لانعدام محله لأنه لم يحصل مايوجبه ، والله أعلم .

ـ « وكتاب « **الروض المربع** » »كتاب فقه جيد ، وهو مختصر ويشير للخلاف أحياناً ، ويذكر بعض الأدلة أحياناً إذا لزم الحال ، والذي أطلبه منك ياأخ : براك هو أن لاتعتمد على الكتاب إلا أن تقرأه على طالب علم تقي/ ورع/ متمكن ، ـ .

★★★

بقية بن الوليد

●● بقية بن الوليد حمل عليه بعض علماء الجرح والتعديل فهل يقبل كلامهم فيه ؟

س . ل من/ ج . م ع

● الذين كتبوا في الجرح والتعديل ، والعلل **كابن أبي حاتم** والدارقطني ، والترمذي ، وابن المديني ، والبخاري ، وأبي زرعة وسواهم من المتقدمين . تركوا الكلام في الأقران وتركوا الكلام الذي دافعه الظن أو كلام الناس فقط لأن الناس قد يكذب بعضهم ، وقد يحقد ، وقد يحسد ، وقد يظلم ، وهذا يحصل كثيراً إلى اليوم ، بل اليوم أشد .

وبقية بن الوليد / إمام جليل وراو كبير لكنه يُدلس فيما يرويه أحياناً وتدليسه « تدليس تسوية » وهو تدليس شديد الخفاء يُحيل الحديث إلى كونه : ضعيفاً **وبقية** نفسه ذو دين وعبادة وخير لكن الضعف جاء في روايته ، والمقصود أننا لابد أن نقف على قواعد الجرح والتعديل مع الفهم الكبير للمراد .

ولعلك تستعين بـ : العلل للترمذي ، وعلوم الحديث : لابن الصلاح وكذا : مقدمة صحيح مسلم ، ومقدمة الجزري في : جامع الأصول .

★★★

ردود خاصة

●● الأخ : محمد . م . م .. الدمام :

المزح [الدعابة] تقلل من قيمة المرء إذا دام هذا بخفةٍ وطيش وضحك ، والمزح يورث الأحقاد .

●● الأخت : بهية نور سالم صلاح الدين . ج . م . ع :

لم يقع الطلاق ويصلك خطاب مُفصل حول هذا .

●● الأخت : نوره . م . م . م .. قطر :

لم يقع الطلاق ما دام قد تلفظ وهو نائم على وجه الحقيقة والنائم مرفوع عنه القلم فلا يتعلق بلفظه حكم شرعي .

الطريق إلى الله

ساندرا موتي.. «الزعيم الرائع»



لم يكن أحد يتوقع حين وُلد الطفل **«ساندرا موتي»** أن هذا الطفل النحيل الذي رزق به أبوان بوذيان في إحدى قرى **سيريلانكا** سوف يتحول في أحد الأيام ليصير واحداً من أبرز الدعاة إلى الله في بلاده . وقائداً للحركة الإسلامية بها ، وزعيماً سياسياً يدافع عن حقوق المضطهدين .

لم يكن أحد يتوقع ذلك أو يفكر به مجرد تفكير . ذلك أن **«ساندرا موتي»** ومعنى اسمه **«الزعيم الرائع»** ولد لأبوين فقيرين ينتميان إلى **طائفة التاميل** ، وكغيره من أطفال سيريلانكا الفقراء عاش طفولته بؤساً وحرماناً ، إلا أن هذا البؤس وذاك الحرمان لم يمنعاه وهو يرى قومه الفقراء يحتسون الخمر أن يتساءل بدهشة : لماذا لا ينفقون ما يتوفر لديهم من مال لتحسين وضعهم بدلاً من هدره على أم الخبائث التي أشاعت الجريمة والفحشاء بينهم .

في طفولته كان **«ساندرا موتي»** يرى أباه وأمه يمارسان طقوس العبادة على **الطريقة البوذية** ، ومعهما كان يذهب إلى المعبد ليقف وجلاً أمام الآلهة المزعومة التي نسجتها خرافات الكهان وحشت بها عقول البسطاء من أجل مزيد من السيطرة عليهم وابتزازهم ، ليثري الكهنة ويزدادون ثراء ، ويشتد فقر الفقراء .

الشـــك

كان **«ساندرا موتي»** يقف وجلاً أمام تلك التماثيل ، لكنه وجل الخائف من أشكالها البشعة وليس وجل المؤمن بها ، إذ لم يستطع أن يقنع نفسه أن بمقدور هذه التماثيل أن تحقق له أو لغيره ما يريد من طموح أو تدفع عنه أذى ، فهي مجرد أحجار صنعتها يد الإنسان ، ثم عبدها صانعها بعدما أمعن في إجلالها وتوقيرها وإسباغ صفات عليها ليست فيها .

كانت تلك الأفكار تدور في عقل **«ساندرا موتي»** منذ بلغ مرحلة الصبا ، وحين بدأ ينمو نمت معه ، ولم يكد يبلغ الثالثة والعشرين من عمره حتى كان قد قرأ العديد من كتب الفكر ، إضافة إلى سيرة **الرسول المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم** .

بدأ **«ساندرا موتي»** يقارن بين ما قرأه عن الإسلام **وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وما يمارسه قومه من طقوس وثنية ، وما يسيرون عليه في حياتهم من ارتكاب للفواحش وعدم التفريق بين الحلال والحرام ، ولم يفته أن يلحظ ما يتميّز به الإسلام ـ كشريعة ـ من تنظيم دقيق لعلاقة العبد بالعبد ، وعلاقة العبد بربه ، تلك العلاقة التي تتم مباشرة دون وساطة أو كهانة ، ويتساوى فيها الغني والفقير ، فمقياس الصلاح والقبول ليس بمدى مقدرة المرء على التبرع للمعابد ، وإنما بمدى تقواه وإخلاصه لربه .**

الإطلاع على الكتب الإسلامية

تأمل «ساندرا موتي» تعدد عبادات **البوذيين** ، والأشكال القبيحة التي تتخذها تماثيلهم ، وقارن بينها وبين ما يقوله المسلمون عن إلههم الذي ليس كمثله شيء فهو واحد أحد ، لا يمكن أن يُشبه بمخلوقاته .

قال لنفسه : قد يكون **«بوذا»** فعلاً رجلاً زاهداً ، وصاحب تعاليم ، لكنه لا يمكن أن يرقى إلى مستوى الإله ، فالكون موجود قبل أن يوجد **«بوذا»** ولا يزال موجوداً بعد رحيله .

بدأت نفس «ساندرا موتي» تميل إلى قراءة الكتب الإسلامية التي توضح حقيقة العقيدة الإسلامية وكونها شريعة للناس كافة لا تختص بزمان أو مكان معينين ، وكان تأثره الأكبر بكتابات العلاّمة المسلم **أبي الأعلى المودودي** ، إذ لمس فيها فكراً نيِّراً يخاطب العقل ولا يغفل الوجدان ، بأسلوب سلس ، وتسلسل في الأفكار لا يدع شاردة أو واردة .

حــلاوة الإيمــان

ولم يطل به الأمر طويلاً ، إذ إن روحه كانت قد تشربت مبادئ الدعوة الإسلامية ، رغم أنه كان في فترة من فترات حياته راهباً بوذياً ، ولم يكد يبلغ عامه الرابع والثلاثين حتى كان قد جهر بإسلامه معتقاً روحه من النار .

كان ذلك عام **١٩٧٣م** الذي يعده «ساندرا

موتي» عام مولده الحقيقي ، حيث وجد ذاته بعد ضياع ، وحرص على أن يضيف إلى اسمه اسماً إسلامياً ، فتسمى باسم «**ساندرا موتي محمد أبـوبكر**» ، وانطلق يحـدث أسرته وأقـاربه وأصدقاءه عن الإسلام ومآثره ، سائلاً الله ـ عز وجل ـ أن يلهمهم سبيل الرشاد ، وأن يهديهم كما هداه ، واستجاب الخالق المتعال لنداء القلب المؤمن ، فما هي إلا فترة حتى جعله الله ـ سبحانه وتعالى ـ سبباً في هداية شقيقه الأكبر ثم شقيقته فوالديه ، وتلاهم والد زوجته وجدته وزوجته وأبناؤه جميعاً ، ولم يشذ عنهم سوى شقيقين له أبيا أن يتركا الضلال ، وأمعنا في ضلالهما بالانضمام إلى «حركة نمور التاميل» تلك الحركة المتطرفة التي تمارس أبشع ألوان الظلم من قتل وحرق وتشريد واغتصاب ضد المسلمين .

مشوار في خدمة الدعوة

لكن هل انتهت حكاية «**ساندرا موتي محمد أبوبكر**» عند هذا الحد ؟

كلا .. فإنما كانت تلك بداية مشوار طويل بدأه الرجل المؤمن في سبيل الله مقدماً القدوة الطيبة ، إذ أسهم في إنشاء «**حزب المؤتمر الإسلامي**» الذي يعد أول حزب إسلامي في بلاده ، كما قام بتأسيس منظمة اجتماعية لخدمة المسلمين اختار لها اسماً عربياً **هو «منظمة أسرة»** ، كما أسس منظمة أخرى سميت «**مؤسسة نصرت**» ورمى من إنشاء المنظمتين إلى خدمة مسلمي بلاده ، وأمكن له بواسطة اتصالاته ، بعدما آمن المسلمون بصدق ونبل هدفه أن يوفر للمؤسستين ما يسمح لهما ببذل بعض المساعدات الاجتماعية وحل مشكلات المسلمين .

وفي عام ١٩٨٥م مَنّ الله عليه بأداء فريضة الحج ، وعاد إلى بلاده ليفكر في وسائل خدمة المسلمين ، وهداه الله إلى فكرة الترشح لعضوية «**البرلمان**» بهدف الاستفادة من ذلك المنبر السياسي الكبير لخدمة مجتمعه وقومه ، وبالفعل رشح نفسه عام ١٩٨٩م ، في منطقة تعد من معاقل نمور التاميل ، وكان أقل المرشحين حظاً من حيث المال والدعاية ، لكنه استطاع بصدقه أن يكسب الأصوات التي لم يستطع أصحاب الأموال شراءها ، وفاز بعضوية البرلمان بين ذهول الجميع بما فيهم اخوته الذين لم يتوقعوا فوزه الذي جاء ساحقاً .

وفي البرلمان واصل «ساندرا موتي محمد أبو بكر» جهوده من أجل رفع الغبن عن مسلمي سيريلانكا ، فهم أفقر فئات المجتمع ، وتبنّي قضايا المسلمين وغيرهم من الأقليات التي لا تجد من يتحدث عنها ، رغم أن هناك أعضاء آخرين في البرلمان من المسلمين ، إلا أنهم بحكم عضويتهم في الحزب الحاكم بعيدون عن أي طرح لمثل هذه القضايا الحساسة .

أمنيات و آمال

ويرى الداعية المسلم أن بلاده تربة خصبة يمكن للدعوة الإسـلامية الاستفـادة منها ، فالمسلمون في سيريلانكا متمسكون بإسلامهم تمسكاً كبيراً لكنهم يعانون الفقر والجهل ، ومن الواجب مساعدتهم مادياً ومعنوياً بإرسـال المساعدات المالية وإيفاد الدعاة لتعليمهم قيم ومبادىء دينهم وتوعيتهم بأساليب المنصرين الذين يعملون بشكل مكثف وجاد بين أوساط المسلمين مستغلين الفقر والجهل .

ويشير أيضاً إلى أن هناك نشاطاً ملحوظاً **للكيان الصهيوني** موجهاً في معظمـه ضد المسلمين ، فالصهاينة يدركون أن احتلالهم لثالث المقدسات الإسلامية أمر يثير حنق وعداء المسلمين جميعاً بغض النظر عن جنسياتهم ، ومسلمو سيريلانكا يدخلون ـ بالطبع ـ ضمن هؤلاء .

ويطالب «**ساندرا موتي محمد أبو بكر**» بمساعدة حديثي العهد بالإسلام ، إذ إن هؤلاء الذين يسلمون يتعرضون لضغوطات كبيرة من أجل ردهم عن إسلامهم ، أقلها فقدان مورد الرزق ، وهم يعانون كثيراً في وقت ليس لدى مسلمي سيريلانكا الإمكانات الكافية لمساعدتهم ، فالبوذيون يسيطرون على مناحي الحياة كافة .

ويدعو إلى ترجمة الكتب الإسلامية إلى اللغة السيريلانكية والإنجليزية والتوسع في برامج تعليم اللغة العربية لمسلمي سيريلانكا كي يمكن أن يتحول هؤلاء إلى دعاة يشرحون مبادىء الإسلام لقومهم .

كذلك يرى أن من **الأهمية** بمكان زيادة عدد المراكز الإسلامية الموجودة في بلاده خاصة أن سيريلانكا بحكم موقعها من الممكن أن تصير مصدر إشعاع للدعوة الإسلامية في منطقتها .

ويختتم بالإشارة إلى أن أثرياء النصارى يقدمون لـدعم كنيستهم أضعاف أضعـاف ما يقدمه أثرياء المسلمين ، مما يدل على وجود قصور في توعية أثرياء المسلمين بأوضاع إخوتهم في الإسلام ، وحاجتهم الماسة إلى الدعم إزاء ما يحاك لهم من نشاطات تنصيرية بأساليب جهنمية تستغل ضعفهم وقلة حيلتهم وفقرهم في جرهم إلى مستنقع الضلال .

من المكتبة السعودية





صلاح البكري

- الكتاب : القرآن وبناء الإنسان .
- المؤلف : صلاح عبدالقادر البكري .
- الناشر : تهامة - جدة - ط (١) . ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م . (١٨٦) .

يظل الفكر الإسلامي ينهل من مصدره الأول الذي لا ينضب ، مهما كثر الناهلون ، وازدحم حول ورده الواردون .. يظل القرآن الكريم - مصدر الفكر الإسلامي الأول - ملاذاً يلوذ به المسلمون ، خاصة وعامة ، ليجدوا في ظلاله ، كل احتياجات الإنسان - على مر عصوره - من قيم فكرية وروحية ودينية ودنيوية .

وكاتبنا الأستاذ صلاح عبدالقادر البكري أحد أولئك المسلمين المفكرين الذين عكفوا على القرآن الكريم ، وراح يقدم لقارئه أو سامعه الكثير من المعاني الإنسانية التي احتفى بها الإسلام ، وأولاها الأهمية البالغة : وبخاصة الإنسان ، الذي يريد له القرآن أن يكون دائماً في صورة أرقى وأسمى .. لذلك فقد طرح المؤلف - ومن خلال هذا المفهوم - العديد من القضايا الفكرية والإسلامية التي تهم الفرد أو الإنسان الذي يظل دائماً وأبداً هو اللبنة الأولى في بناء المجتمع ، لأنه لا مجتمع بدون أفراد «فإذا كانت اللبنة هشة ضعيفة ضعفت اللبنات وتداعى البنيان للسقوط ، والعكس إذا كانت اللبنة صلبة قوية تماسك البناء وتشابكت أجزاؤه وترابطت أطرافه ترابطاً يحميه من عوامل التعرية أمداً طويلاً» .

ومن هذه القضايا أو الموضوعات التي تعالج شؤون الإنسان وحياته : الفكر الإنساني والتفكير النافع ، والتوفيق بين الفرد والمجتمع ، والثقافة ، والضمان الاجتماعي ، والعدالة والتسامح ، والحضارة .. وغيرها من الشؤون الإنسانية التي كان يفيض بها المؤلف من خلال منهج إسلامي ، ونظرة إسلامية ، يقومان على أساس من القرآن الكريم وسُنَّة الرسول ، ومواقف الخلفاء الراشدين ، وبخاصة عمر بن الخطاب في عدله وقضائه ، وحل الكثير من المشكلات الاجتماعية المستعصية .

وإذا كان موضوع المؤلف الرئيسي هو الإنسان ، فإنه يسبح به عبر نظرة شاملة تضم الكون بأسره ، والبشر بكل أجيالهم وأجناسهم .

وإن القرآن الكريم ليبيِّن للعبد أن أموره الدنيوية والعقلية لا تستقيم دون أن تتصل بتنظيمها بخالق السموات والأرض ، لذلك فقد احتوى القرآن على أوامر ونواه لا تحصى من شأنها أن تقوم اعوجاج الإنسان وتصلحه ، وتزيل فساده .

وكان الإسلام متجاوباً مع فطرة الإنسان ، محارباً الروحية البحتة والمادية البحتة ، داعياً إلى أمة وسط ، وهي التي تتمثل فيها صفات البشرية من جانبيها الروحي والمادي .

ولا يغفل المؤلف الجانب العقلي صانع الحضارات والثقافات والعلوم .. فالإسلام عقيدة وعمل ، وعلم .. لذلك فإنه يركز على أن الإسلام لم يتجاوز أية قضية فيها إسعاد وهناء وراحة البشرية جمعاء .. وحتى الثقافة في نظر الإسلام ، فهي ثقافة إنسانية ، «إنسانية من خلال الأصالة الإسلامية ، ثقافة تقود إلى إنسانية أكثف وأغزر ، تفجر في الإنسان إنسانية سامية صافية طاهرة يسودها خير البشر .. إنسانية الثقافة في الإسلام تعني أن نمد جناح الظل والرحمة على الملايين أن تكون للجموع البعيدة كما للخاصة» .

وإن هذه الأصالة التي يشير إليها المؤلف هي نظافة الإنسان من الداخل ، لأن التعفن أو التفسخ الداخلي هو العامل الفعّال الذي دمر الكثير من الأمم وقضى عليها قبل أن يبادرها العدو الخارجي . «كثيرون هم الذين يعتقدون أن غزوات التتر هي التي قضت على الخلافة العباسية ، كما أننا مازلنا نصر على أن شراذم الآفاقين من اليهود هي التي أرغمت جيوش العرب على الانسحاب في حرب ١٩٦٧م» .

- الكتاب : الإمكانات النووية للعرب وإسرائيل - ودورها في الصراع العربي - الإسرائيلي .
- المؤلف : الدكتور صدقة يحيى مستعجل .
- الناشر : تهامة - جدة - ط (١) ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م (٣٤٥ ص) .

كثير من الدراسات الجامعية ، وفي مختلف مستوياتها العلمية ، أخذت تعالج قضايا هامة ،





د . صدقة مستعجل

عن المصير العربي حيال العدو الصهيوني . أي بات في خلد الجامعات ، وطلبتها ، تكوين العدو ، وقوته ، وأسباب تفوقه على العرب والمسلمين ، وإن تلك البحوث - سواء أكانت علمية أم إنسانية - تثير أفكاراً حساسة وواقعية إزاء الخطر الصهيوني ، الذي أصبح يتفاقم خطره يوماً بعد يوم . ولذلك فإن موضوع : (الإمكانات النووية للعرب واسرائيل ، ودورها في الصراع العربي الاسرائيلي) هو واحد من الموضوعات الجوهرية التي تبلور قمة الصراع بين العرب واسرائيل .. وإن المؤلف - بما قدم فيه وأكده ، وحققه - ليعتبر سباقاً في مضمار الفهم والكشف عن العدو الاسرائيلي ، وأبعاد مخططاته ، ونواياه في الهيمنة والسيادة على المنطقة العربية . وإن الحقائق التي بثها المؤلف من خلال أبواب وفصول كتابه ، لتمثل الإنذار الرهيب الذي يقرع الآذان ، ويملأ الأسماع على مدى رقعة - الوطن العربي الكبير ، وإنه مع الأسف ، لم تجابه أنشطة العدو النووية «حيث أن قلة من العرب - في الواقع - كانت تتابع ذلك النشاط منذ بدئه ، وترقبه بحذر وذعر وغضب ، ولكن لم يتم حتى الآن عمل شيء يذكر من جانب العرب لمواجهة ذلك الخطر» . وإن اسرائيل التي قامت ، منذ نشوئها ، على الغدر والاحتلال والتوسع ، لتدرك تماماً أن استمرار وجودها مرهون بما تملكه من قوة ، وأسلحة .. ولذلك فقد اهتمت بامتلاك الأسلحة النووية ، لتكون لها «جزءاً من ترسانتها العسكرية . وتعتبر القاعدة النووية الاسرائيلية اليوم واحدة من القواعد النووية المتقدمة في العالم - رغم صغرها - بحيث أن تلك القاعدة قد أتاحت لإسرائيل إمكان صنع أسلحة نووية . وهذا ما تمَّ حصوله بالفعل بالرغم من إنكار اسرائيل الرسمي المتكرر أنها تمتلك سلاحاً نووياً» . وإن هذا الإنكار هو خدعة من خدعها لأن اسرائيل كما يقول فؤاد جابر «دولة نووية منذ الأيام الأولى لولادتها» .

وترى اسرائيل أن أسلحتها النووية قد تزيدها

غياً وتمادياً وتوسعاً واستغناء عن المدد الخارجي . كما أن خوفها من امتلاك العرب للسلاح النووي مستقبلاً قد يكون من الأسباب التي تدفعها لامتلاك الأسلحة النووية .

وقد استنبط المؤلف ثلاثة مواقف ، أو ردود فعل عربية حيال النشاط النووي الإسرائيلي ، من خلال رصده لآراء المراقبين والمفكرين السياسيين والحكام العرب .. نجملها بما يأتي :

عدم الاكتراث ، والمطالبة بإنشاء قوة نووية عربية مضادة ، وشن حرب وقائية ضد اسرائيل ، كما وقف عند أهم الصعاب التي تواجه أي برنامج نووي عربي لصنع أسلحة نووية ، وهي :

المعارضة الشديدة من القوى الدولية والدول العظمى ، وبخاصة الولايات المتحدة . والمعارضة الشديدة أيضاً من اسرائيل التي ستدفعها إلى شن هجوم عسكري على الدول العربية ، وبالتالي تخريب وتدمير كل الوسائل والمعدات والمفاعلات النووية . وأخيراً الأخطار الإضافية التي تلحق ببعض الدول العربية المنشئة للأسلحة النووية لعدم استقرارها سياسياً واجتماعياً .

وقد استبعد المؤلف إلقاء قنبلة نووية في منطقة الصراع العربي الإسرائيلي بحجم قنبلة هيروشيما ، لأن الخطر سيعم دائرة تضم كلاً من (لبنان ، والأردن ، واسرائيل ، وسورية ، والجزء الشمالي الشرقي من مصر ، والجزء الشمالي الغربي من المملكة العربية السعودية ، والجزء الشرقي من العراق) . ولذلك ستكون القنبلة الملقاة ذات قدرة تدميرية صغيرة جداً تلحق الخسائر بالخصم دون أن يعاني الطرف الملقي من خطر الإشعاع النووي . ويبدو أن سياسة الأمر الواقع أخذت تغزو عقول حتى المفكرين العرب بل الساسة والحكام ، ولهذا فنجد المؤلف يختم بحثه عن كيفية تجنب الكارثة النووية بقوله :

«ولعل أفضل ما يمكن عمله بعد التوصل إلى تسوية سلمية عادلة ، هو إبرام اتفاقية لنزع السلاح النووي من المنطقة كلها .. ان ذلك سيجلب الاستقرار والطمأنينة إلى المنطقة ، وهو أفضل ما يمكن عمله لتجنب المنطقة والعالم ويلات الحروب المدمرة» .

- الكتاب : «عنيزة» .
- المؤلف : د. محمد بن عبدالله السلمان .
- الناشر : الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالرياض ط (١) .



ضمن سلسلة «هذه بلادنا» أصدرت إدارة النشاطات الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب الكتاب رقم (٢٣) بعنوان «عنيزة» تأليف الدكتور محمد بن عبدالله السلمان .. وقد جانب المؤلف الصواب حين ركز على معطيات الحاضر ، ولم يعط ماضي عنيزة حقه الوافي من الدراسة ، وربما دفعه لذلك عدم توافر المعلومات الموثقة عن المنطقة ، خاصة أنها لم تحظ إلا بدراسات قليلة ، معظمها محدود وغير شامل .

اختار الكاتب عبر ستة فصول تقديم صورة لواقع عنيزة - المنطقة والمدينة - الجغرافي والتاريخي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي . مختتما بحديث عن تطورها العمراني وأهم مظاهره الحضارية . ويعقد من خلال الكتاب وفي ضوء ما لديه من معلومات مقارنة بين ما وصل إلى علمه عن ماضي عنيزة وما يراه اليوم من حاضر مزدهر ، مستهدفا ربط الماضي بالحاضر واستشراف افاق مستقبل المنطقة ..

وكمدخل للتعريف بـ «عنيزة» يرجع بنا إلى أصل التسمية مشيراً إلى أنها تصغير للفظة «اعتر» التي تعني - على أرجح الأقوال - «الأكمة السوداء» ، ولا يفوته أن يذكر أنها سميت بـ «الفيحاء» أي الواسعة .

في الفصل الأول يشير الكاتب إلى موقع عنيزة الجغرافي المتميز كمحطة استراحة للحجاج القادمين من العراق وفارس ، ثم يعرج إلى إيضاح موقعها الجغرافي جنوب مجرى «وادي الرمة» ، أطول وادٍ جاف في العالم ، وبعد أن يصف الطرق التي تربطها بمدن المملكة ، ينتقل إلى وصف بنيتها الجيولوجية وتضاريسها ومناخها ، وتعداد سكانها الذي وصل حسب إحصاء عام ١٤٠٨هـ إلى ما يقارب (٦٠) ألف نسمة .. ويذكر بعد ذلك مصادر مياهها : السطحية والجوفية ، ويشير إلى خصوبة تربتها ، ونباتاتها الطبيعية ، وحيواناتها .

أما في الفصل الثاني فيتحدث الكاتب عن تاريخ عنيزة ، مشيراً إلى أن نتائج المسح الأثري للمنطقة الذي تم عام ١٣٩٧هـ قد أوضحت أنها كانت ماهولة بكثافة منذ القرن الثالث الميلادي ، ويورد أبياتاً من الشعر العربي القديم للدلالة على معرفة القدماء لها وأنها كانت ماهولة قبل الإسلام ، وزادت أهميتها بعده باعتبارها معبراً لقوافل الحجاج من الشرق إلى الحجاز .

ثم يورد لمحة يسيرة عن المنطقة وقبائلها ، مشيرا إلى أن أول من سكنها بطن من بطون «بني خالد» يسمون «الجناح» وبهم سُمي القسم الشمالي من المدينة ، ثم سكنها فريق من «سبيع» وكثر جيرانه ، فتكونت مدينة عنيزة من أربع ديرات (حارات) لكل منها سور خاص بها هي : الجناح ويتبعه الضبط ، الخريزة ، العقيلية ، والمليحة .

وقد ظلت الديرات في حالة تنازع حتى غزا الشريف أحمد بن زيد أمير مكة نجداً عام ١٠٩٧هـ وأدى تنكيله بالعقيلية وأهلها وهدمه سورها إلى اتحاد أهالي العقيلية والخريزة والمليحة مكونين أمارة خاصة بهم تولاها فوزان بن حمدان بن حسن بن معمر من آل فضل من سبيع ، عرفت باسم «عنيزة» ، وبقي الجناح منفصلاً عنها حتى هدمه عبدالله بن رشيد عام ١٢٠١هـ وأدخله في عنيزة .. وقدم المؤلف عدة نبذات تؤرخ لأمراء عنيزة وقضاتها وكتاتيبها وحلقات مساجدها .

ومن النواحي الجيدة في الكتاب تاريخه للتعليم والعلماء الذين أنجبتهم المنطقة .

ويورد نبذة عن التعليم الحديث في عنيزة ، مشيراً إلى أن بدء ظهوره كان عام ١٣٤٠هـ - ١٩٢١م بافتتاح الأخوين صالح وعبدالرحمن القرزعي مدرسة لتدريس القرآن الكريم والحساب والخط ، فكانت نقلة من عالم الكتاتيب إلى عالم المدارس الحديثة أعقبها في العام التالي قيام الأستاذ صالح بن ناصر الصالح بإنشاء مدرسة أخرى .

إما بداية التعليم الحكومي فكانت عام ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م حيث افتتحت المدرسة الأميرية السعودية «مدرسة الملك عبدالعزيز الابتدائية حالياً» .

في الفصل الرابع يتحدث الكاتب عن الحياة الاقتصادية في عنيزة : الزراعة وتربية الماشية ، التجارة ، والصناعة - قديماً وحديثاً - ربطا حاضرها بماضيها .

ويوجه الكاتب القارىء إلى حقيقة تاريخية قد يجهلها البعض ، وهي مشاركة أهل القصيم ومن ضمنهم أهالي عنيزة في حفر قناة السويس ، حيث يورد قول لكرومر : «كون القصمان فرقة للعمال للعمل في قناة السويس عند بدء حفرها عام ١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م ، كما أن منهم بعض الفلاحين الذين يعملون مع الأتراك في المقاطعات المجاورة» .

من المكتبة السعودية

أما الفصل الخامس فهو بالتأكيد أمتع فصول الكتاب حيث يتحدث الكاتب خلاله عن الحياة الاجتماعية والفنون الشعبية في المنطقة مقدماً صوراً جميلة اندثر الكثير منها ..

في الفصل السادس والأخير من الكتاب تناول المؤلف مظاهر التطور العمراني في المدينة ، وامتداد خدمات البنية الأساسية إلى أحيائها كافة ، كما يذكر أهم الأماكن السياحية والأثرية بها .. وبهذا الفصل يختتم الكتاب الذي يعد بحق مرجعاً لتاريخ وجغرافية وثقافة مدينة «عنيزة» ، وإضافة جديدة جيدة للمكتبة السعودية .



أحمد فرح عقيلان

● الكتاب : بين الأصالة والحداثة ـ نقد ومختارات

● المؤلف : أحمد فرح عقيلان

● الناشر : نادى الطائف الأدبي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ، في ١١١ صفحة

هذا كتاب يندفع القارىء لالتهامه ويتحمس له .. فهو من جانب شديد التنوع ـ وإن يكن موضوعه الشعر في الغالب ـ ومن جانب آخر تشيع فيه روح متوقدة تهيىء لصاحبها أن يخوض في أعقد مسائل الفكر والأدب بجراة يحسد عليها .. حتى البنيوية صارت لديه حيثيات قضية حكم هو فيها يَنفي النقاد العرب المتصدرين لها وبها ـ باستثناء الدكتورا الغذامي ـ من ساحة الانتماء . مع أنه باعترافه ـ اعتراف عقيلان ـ قليل المعرفة بالبنيوية وإن رأى أنها مذهب نقدي أدبي يعنى بالبنية ، وقد فسر البنية التي هي الهيكل بالألفاظ وكفى الله المؤمنين القتال (ص ٣١ وما بعدها) .

ولا جناح على المؤلف ، فكثيرون هؤلاء ـ وكاتب هذا العرض منهم ـ لم يستسيغوا الحداثة فيما يتعارف عليه المتنطعون فوق عتبات الغرب ومن هؤلاء المتنطعين فئة لم ترفض التراث كله ـ كادونيس الذى اختار المتجول كتراث الزنج مثلا وابي نواس ـ ومنهم من روّج في ساحة الشعر ما هو مضحك مُبْكٍ ، وما هو مفعم بالوثنيات والشخصيات المشبوهة (ص ٤) .

نقول إن كاتبا له هذا القدر الكبير من الحماسة ـ وهو مع ذلك لا يفرّط إزاءها في الهدوء كما يقول لانه ينشد الصراحة لابد أن يدفعنا إلى ملاحقته وإلى أن نتتبع خطواته حاملاً راية الحفاظ ضد الغربيين الذين «جاءت بعض مذاهبهم الأدبية كافرة ملحدة ، افنقتبسها على إلحادها لتشوّه الوجه الصحيح لأدبنا المؤدب» ص ١٠٣ .

تراه يستدرجنا بهذا السؤال الاستنكاري ؟

لكن ألم يلحظ القارىء أن عقيلان يصوغه بمنطق يبدو كأنه محكوم بواقعنا تماما ، ومن ثم شلَّ تفكيرنا ، بل قعد بنا عن الاجتهاد !

ومع ذلك فنحن نعلم أن مفكراً كعقيلان لا يمكن على طول الأبواب الثلاثة التي قسم إليها كتابه الذي بين أيدينا ، أن يعمد إلى مصادرتنا على طول الخط ، وبذلك المنطق .. ومادامت القضية ، قضية حداثة فنحن نحذّر وبخاصة في الباب الأول «خلفيات حداثية» ص ٥ ـ ٣٤ من الابتعاد عن جوهر الثقافة العربية في مجال البحث عن أصالتنا حتى لنرفض مذاهب الغرب ـ كلّها أو بعضها ـ تحت بند الإلحاد .

هذا الجوهر هو طواعية ثقافتنا لتقبلّ الرافد .. وقديما ـ منذ عصر المأمون إن لم يكن قبله بقليل ـ ابتلع فكرنا الإسلامي الهلينستية والإيرانية والهندية والسوريانية ، وبني عليها وشقق وفرع وابتكر .. ولم يمنع من كل أولئك أن فُسِّق واحد كالنظّام وكُفِّر آخر كالحلاج وظفر أبو العلاء المعري وحده بثلاثة أرباع الزندقة في العالم ، فلماذا نتخوف مما يأتينا اليوم من الغرب ولم نتخوف مما أتانا منه أمس ؟

المشكلة إذن ليست اعتماد الغربيين والأخذ بمذاهبهم ، إنما المشكلة هي شخصية الأديب .. ولو لم يرفض أدونيس واقعنا الآتي من رحم الماضي أساساً لصار شاعر العصر ، ولو ظل سعيد عقل عربي الفكر ـ مع أنه عربي الوجه واليد واللسان ـ لما بذّه في فنّه الرمزي أكبر شعراء الغرب .

المشكلة ـ أيها القارىء ـ هي أن ننتمي ، ثم لنا بعد ذلك أن نفتح عقولنا على العالم .. لأن مآل هذا وتلك إلى التطوير ، ومن ثم يأتي الطرح متفقاً والذوق العربي الأصيل .

أما الباب الثاني فعنوانه «عناصر الشخصية في أدبنا» ص ٣٦ ـ ٥٥ ومفرداته النضج : الموسيقي ـ اليس النضج هو الصواب ـ واقترانه بالحكمة والأخلاق ، ثم المستوى الراقي لألفاظه (روعة الشكل فتنوع الأغراض والموضوعات ، وأخيراً الصدق العاطفي الذي يولد الصور !

وهذا أعجب العجب ، لأن كلَّ ما بسطه المؤلف ليس مقصوراً على أدبنا الجيد أو المثالي أو العظيم .. إنه شرائط أي أدب له شخصيته المميزة ، الأدب الانجليزي ـ مثلاً ـ أو الشعر منه على الأقل يتوفر فيه كل تلك الشرائط ، كما يصير التنويه بها في الأدب الفرنسي أو الألماني تحصيل حاصل ، ويكون المنوّه ـ برغم كدّه ـ أشبه بحاطب ليل ، وهكذا ..

على أن التفصيلات التي أدرجها تحت المفردات تعني أشياء أُخَر : فالشعر الذي يريده ليس ما يجانب العروض ولا ما يتنكّب جادة الفصاحة ، والشعر الذي يرفضه عند شعراء الحداثة ـ بالتأكيد عند بعضهم فقط ـ هو الوجدانيات المسوخة الساخرة (ص ٤٩) وليس كذلك كل الشعر الحديث .

أما الصدق العاطفي الذي يولدّ الصور ففيه مساحة ، لأن شعرنا لم ينبجس كله من ينبوع العواطف من جانب ، ولأن الصدق العاطفي لا يمكن وحده أن يصهر «كل عناصر القصيدة وبخاصة عنصر الخيال» من جانب آخر ، ولنا أن نستفتي في هذا الفارابي وابن سينا وابن رشد ثم حازماً القرطاجني .. غير ان هذا يشبه تماماً في الحل ما قيل في الحكمة ، وأن يكن المؤلف يعترف أن بعض شعر الحكمة يفضي إلى التعليمية الباردة .

بقي الباب الثالث «الشعر الذي نتطلع إليه» ص ٥٦ ـ ١٠٢ وهو أطول الثلاثة وله وشائج بالثاني ، وقوام الوشائج تكرار لا خطل وراءه ، فالشعر الذي يريد ـ مرة أخرى ـ هو الشعر الموزون المقفّى ، وبالتالي يرفض كل ماعدا ذلك ، لانه وحده القادر على التأثير ـ أليست هذه مبالغة تهدد قيمة القصيدة التفعيلية ـ ولأن الوزن والقافية من أسباب الشكل فلم يكن كثيراً أن يشترط في الشعر الذي يريد تآلق القالب والشكل ـ أظن أن احدهما يغني عن الآخر ـ وهكذا يحدثنا عن شرط البديع (ص ٧٦) يعني البديع العفوي ، وعن الجدية التي تفرز الحماسة ولابأس بالشرط مادمنا كنا في معركة تأكيد الوجود ، ثم عما يسهم في خدمة المجتمع ، أي شعر القضية (ص ٩٢) وأخيراً عن نضج الموسيقى (ص ٩٨) ليصل إلى رفض ما يسمى بالقصيدة النثرية ، ونقل عن أهل الذوق أنهم لا يرفضون شعر الحداثة الملتزم بالتفعيلة .

وهكذا يختم الأستاذ أحمد فرح عقيلان كتابه .. فلا ندري أكان مصيباً في حملته على الحداثة أم لا ، وإن لم يكن فهل وضع مايمكن أن يكون بديلاً لهذه الظاهرة ، وإن لم يكن البديل هو ما اشترطه فما ترى عسانا نقدّر ؟

موضوع خاص

الحيوانات البرية والصراع من أجل البقاء!

★ الصقر الفلبيني واي مستقبل في انتظاره ★



إعداد: إبراهيم عبدالله العلو

ملف خاص

الحيوانات البرية والمعركة من أجل البقاء!

لم يعد بمقدور المتاجرين غير الشرعيين بالحيوانات البرية ومنتجاتها الركون إلى الراحة في مختلف بقاع العالم . فقد بدأت الحكومات العديدة الواحدة تلو الأخرى خلال العقد الماضي بإصدار القوانين والتشريعات التي تحد أو تمنع بيع الحيوانات البرية المتناقصة بشكل حاد عن طريق الصيد وتخريب مناطق وجودها الطبيعية .

ومع التشديد على القنوات القانونية في التعامل **فقد** لجأ تجار الحيوانات إلى طرق غير قانونية وغريبة لاستمرار سير بضاعتهم . إن المتاجرة **بالحيوانات** البرية ومنتجاتها عملية تجارية واسعة النطاق فمثلاً يدفع هواة جمع الطيور الغريبة عشرة آلاف دولار مقابل طير **المقو البنفسجي** hyacinth Macaw (وهو ببغاء طويل الذيل) وفي **باريس** يباع المعطف المصنوع من **فرو الوشق** Lynx بمبلغ ١٠٠ ألف دولار وتباع **أفعى الأصلة البيضاء** النادرة Albino Python **بمبلغ** ٢٠ ألف دولار في **ألمانيا واليابان والولايات المتحدة**، ويباع زوج الأحذية **المصنوعة** من جلد السحلية Lizard في **نيويورك** مقابل ٢٥٠ دولار وفي **لندن** تباع محفظة الجيب **المصنوعة** من جلد التمساح مقابل ٦٠٠ دولار .

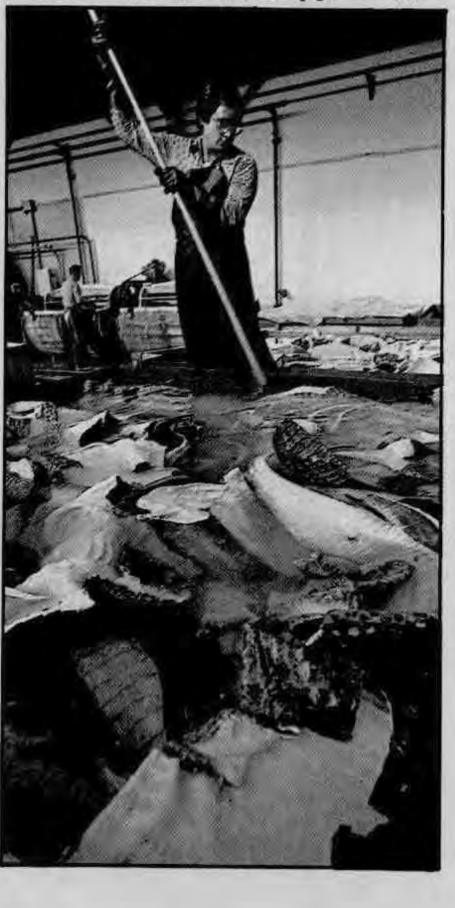
تجارة جائرة

إن هذه المواد الآنف ذكرها تباع بشكل قانوني **ولكن** الطريق الذي وصلت فيه إلى حقل التجارة **يمكن** أن يكون غير قانوني . فمثلاً يوجد طير المقو **البنفسجي** بشكل رئيس في **البرازيل** التي تمنع تصديره ولكن معظم الشحنات إلى الولايات **المتحدة** الأمريكية تصل عن طريق **بوليفيا والباراغواي** اللتين تمتلكان قلة نادرة من تلك **الطيور** . ويقول المختصون بعلم الطيور إن معظم **هذه** الشحنات تهرب إلى بوليفيا والبارغواي من **البرازيل** . ويمكن قول ذلك بالنسبة لأحذية **السحالي** ومحافظ النقود المصنوعة من جلود

حيوان الفكونه الذي تناقص عدده إلى ١٠,٠٠٠ Andean Vicunas عام ١٩٦٥ ويوجد ٨٠٪ منه في البيرو



جلود التماسيح في حوض من حمض طلور الماء لتطريتها



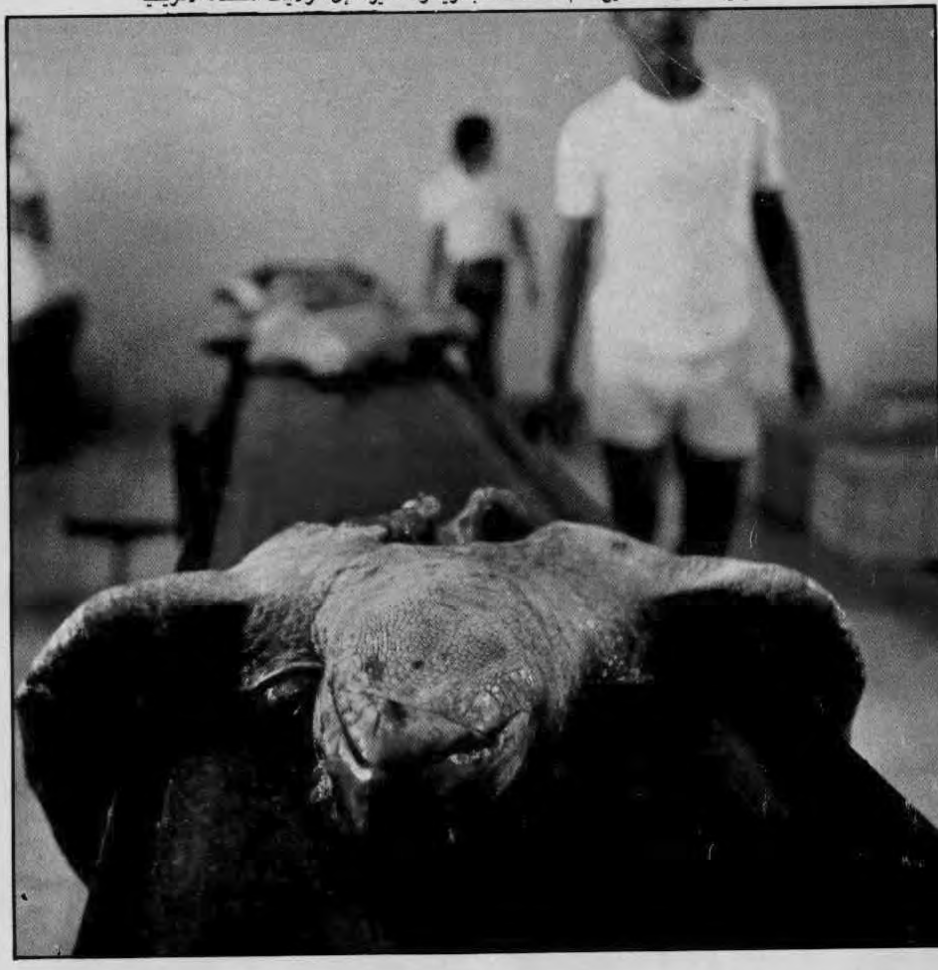
التماسيح وعدد كبير من الحيوانات البرية ومنتجاتها التي يمكن أن يوجد لديها نفس التاريخ القانوني المشكوك بصحته . وحسب إحصائيات مؤسسة الاسماك والحيوانات البرية الأمريكية FWS فإن الولايات المتحدة استوردت أكثر من ٤٢٢ ألف طير حيّ وأكثر من ١.١ مليون من الزواحف والبرمائيات عام ١٩٧٩م . أما الجلود غير المصنعة فيصل عددها إلى ١١.٨ مليون قطعة . ومن بين المواد المفردة المصنعة من الحيوانات البرية فقد استوردت الولايات المتحدة ١٢٩.٦ مليون مادة في نفس العام .

إن هذا الإعجاب والانبهار بالحيوانات البرية ومنتجاتها في الدول الغنية يزيد من اختفاء تلك الحيوانات في الدول النامية . وبين المجموعتين يوجد المتاجرون غير القانونيين الذين يتحدون قوانين الحماية من أجل الاستجابة لمتطلبات السوق وامتلاء جيوبهم بالأموال الطائلة .

طرق غير قانونية

تقدر مؤسسة الأسماك والحيوانات البرية

احد المصانع في المكسيك لتصنيع لحم السلاحف البحرية وتصديرها إلى الولايات المتحدة الامريكية





في مطار لوس انجلس احد المفتشين يكتشف شحنة من الذهب عيار ٢٤ في اكياس تحتوي على افاعي الاصلة المستوردة من غانا

شحنة من لحم السلاحف المجمدة في احد محلات الاغذية





في مطار بومباي احد المفتشين يكتشف جلد نمر مهرب في حقائب احد الدبلوماسيين هذا الجلد يساوي ١٠،٠٠٠ دولار



احذية وحقائب نسائية في احد المعارض في فرنسا والأسعار خيالية

الأمريكية أنه مقابل كل عشر شحنات من الحيوانات البرية أو منتجاتها التي تدخل الولايات المتحدة عبر القنوات الرسمية يدخل أربع شحنات بطرق غير قانونية تعود بالربح الهائل على المهربين . وقد أفصحت محاكمة أحد المهربين في **فيلادلفيا** مؤخراً عن بعض هذه الحقائق . وقد ذكر المتهم أنه يشتري **السحالي** من **جزر الفيجي** مقابل عشرين **دولارًا** للزوج ويبيعها في أمريكا بـ ٥٥٠ **دولارًا** .

الحيوانات البرية والمعركة من أجل البقاء!

معطف من فرو الوشق في اليابان السعر ١٠٠ الف دولار



وتقدر **وزارة العدل الأمريكية** قيمة هذه المواد التي تدخل البلاد سنوياً ما بين ٥٠ إلى ١٠٠ مليون دولار.ويكلف تهريب الحيوانات إلى الولايات المتحدة ملايين الدولارات لمنع دخولها ومراقبتها كما إنها تحرم خزائن العديد من الدول النامية ملايين الدولارات التي يمكن لتلك الدول أن تستفيد منها كضرائب أو رسوم فيما لو تم تصدير تلك الحيوانات المهربة . فضلاً عن **العديد** من الأمراض التي كان بالإمكان تفاديها لو دخلت هذه الحيوانات بشكل قانوني .

مصدر للأمراض أيضاً

فقد كلف مرض **النيوكاسل** الوافد عن طريق

افعى الأصلة الثمينة



الخنجر اليمني ذو القبضة المصنوعة من قرن الكركدن والقيمة ٦ آلاف دولار للخنجر الواحد



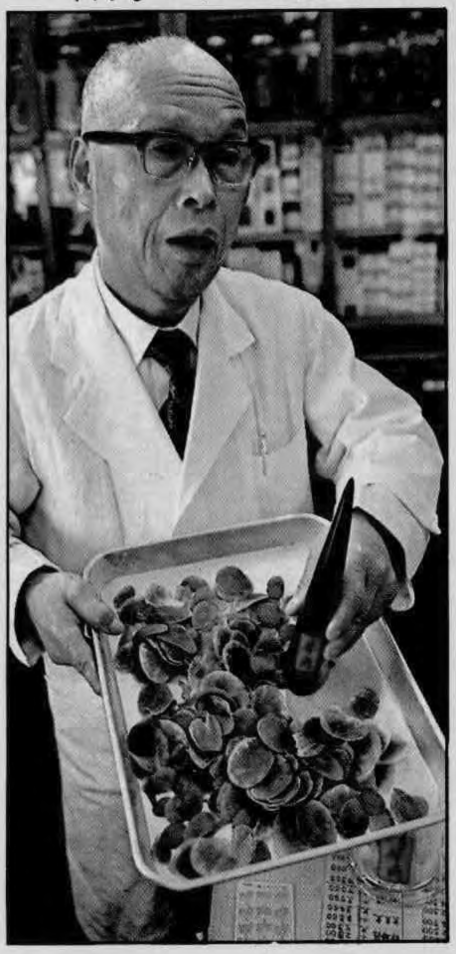
الطيور الغريبة والمميت بالنسبة للدواجن ٥٦ مليون دولار من أجل القضاء عليه في **كاليفورنيا** عام ١٩٧١م **ويقول خبراء وزارة الزراعة الامريكية ان انتشار المرض على نطاق واسع يمكن أن يسبب خسائر تتجاوز ربع مليار دولار .**

انقراض الحيوان

إن إحدى النتائج غير القابلة للإصلاح للتجارة غير القانونية يكمن في إمكان انقراض بعض أنواع الحيوانات التي لا تجد المكان الكافي للاختفاء ، فمن **بين ١٣,٢٠٠ نوع من الثديّات والطيور التي عُرفت في القرن السابع عشر انقرض أكثر من ١٣٠ نوعًا إلى الأبد وتعتبر ٢٤٠ نوعاً مهددة بشكل جدي مع العديد من الزواحف والبرمائيات والأسماك والفقاريات .**

إن معظم هذه الخسائر وما شابهها يمكن أن تعزى إلى نشاطات الإنسان الجائرة من خلال الصيد أو تخريب البيئة الطبيعية **لوجود** تلك

في كيوتو باليابان أحد بائعي الأدوية يعرض قطعاً من قرن الكركدن كدواء يعتقد انه يساعد على الإنجاب



موضوع خاص

الحيوانات البرية والمعركة من أجل البقاء!

المخلوقات، **إذ** لا يمكن لأى استهلاك أن يهدد وجود الحيوانات إذا **توافر** لأيها البيئة الملائمة التي تستطيع اللجوء إليها حسب ما يقول بعض علماء الأحياء . ولكن مع استمرار اختفاء **الغابات الماطرة** fain forests بمعدلها المرتفع فإن التجارة الجائرة يمكن أن تسرّع في انقراض بعض الأنواع **واختفائها** من سطح الأرض إلى الأبد .

قوانين رسمية

إن المتاجرة بالحيوانات البرية قديمة وربما قد ظهرت منذ ظهور النقود ولكن يمكن إرجاع بداية التجارة غير القانونية إلى بدايات قوانين الحماية، ففي الولايات المتحدة حظر **قانون لاسي** عام ١٩٣٥م استيراد أي حيوان بري اسْتُقدم بطريقة غير قانونية من أي بلد آخر . أما قانون حماية الأنواع المهددة بالانقراض الأمريكي الصادر عام ١٩٦٩م فقد منع استيراد أي حيوان موجود على لائحة الأنواع المهددة بالانقراض . وقامت حكومات أخرى بإصدار تشريعات مماثلة **ولكن وضع تلك القوانين موضع التنفيذ لا يزال ضعيفاً . تكمن إحدى العقبات الأساسية في تحديد ومنع استيراد الحيوانات في عدم مقدرة المفتشين في المطارات ونقاط الجمارك على التفريق بين أنواع الحيوانات المختلفة وتمييزها فيما إذا كانت من النوع المحظور أم لا . ويستغل المهربون نقطة الضعف تلك في عملياتهم إذ يقدمون الوثائق الرسمية والصحية المزورة حيث يطلع عليها المفتشون اطلاعاً شكلياً دون التأكد من مطابقتها للأوصاف والميزات .**

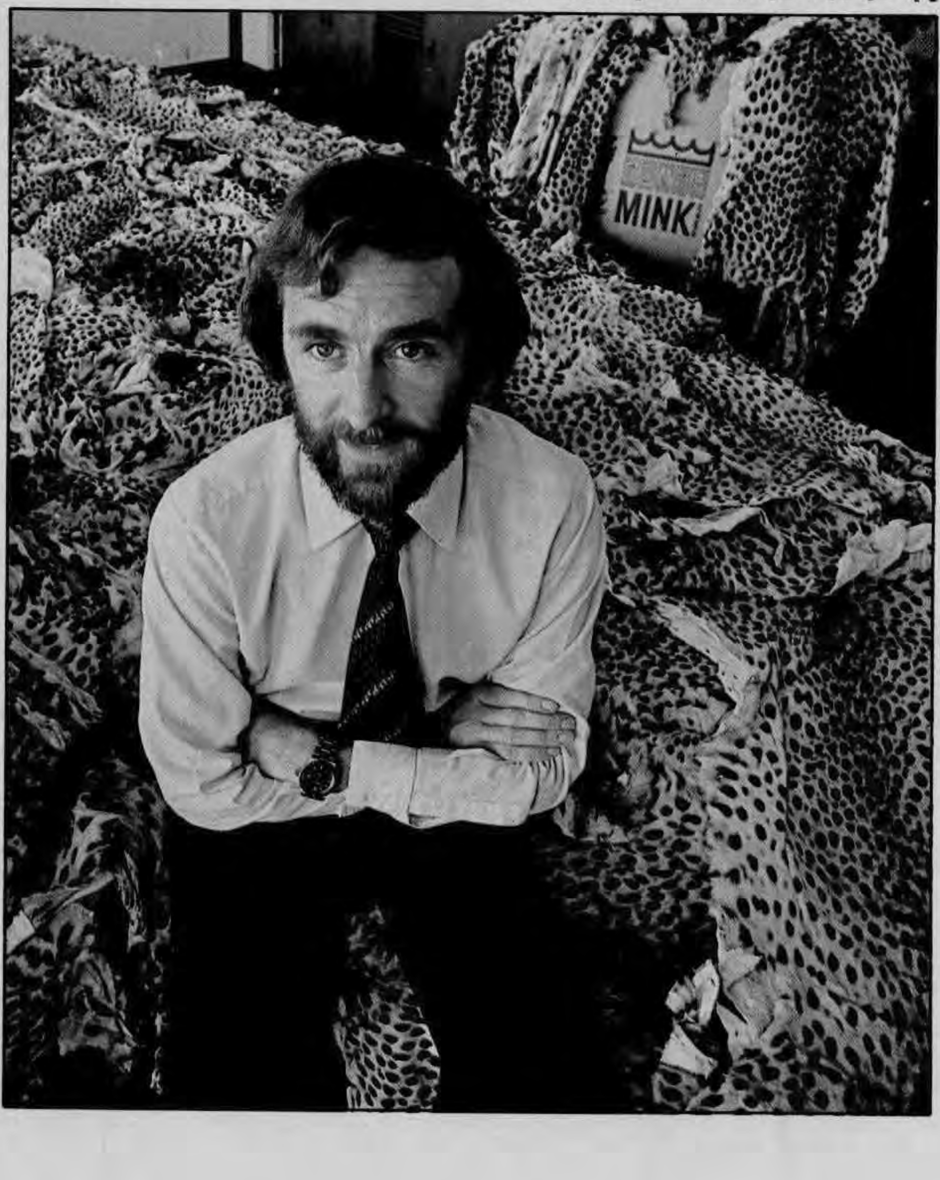
إن أول محاولة جدية لضبط كافة مبيعات الحيوانات البرية والحد من تهريبها ظهرت عام ١٩٧٣م عندما اجتمع في العاصمة الأمريكية مندوبو ثمانين دولة في **المؤتمر الدولي حول التجارة بالأنواع المهددة بالانقراض من الحيوانات والنباتات البرية** ونتيجة لهذا المؤتمر وتوصياته أصبح انتقال الحيوانات من



حبوب مصنوعة من قرن الكركدن المسحوق على شكل بودرة كانت تباع في الصين كدواء للعديد من الأمراض حتى الرشح والانفلونزا



مصنوعات عاجية من قرن الفظ Walrus الموجود في ألاسكا



شحنة من جلود الفهد الصياد تصادر في مطار هونج كونج



الفيلة . يتهددها خطر الانقراض

بلد لآخر يتطلب وثائق شبيهة بجوازات السفر سواء كانت تلك الحيوانات حية أم ميتة .

ثلاث مجموعات

وقد قسم المؤتمر (CITES) الحيوانات البرية إلى ثلاث مجموعات :

١ ـ **المجموعة الأولى** : وتتضمن الأنواع المهددة بالانقراض بشكل جدي ولذا يمنع تداولها في أي نوع من أنواع التجارة مثل **الكركدن (وحيد القرن) وسبعة من أجناس النمور العثمانية** .

٢ ـ **المجموعة الثانية** : وتضم الأنواع المهددة بشكل أقل ولكن يمكن استخدامها في التجارة إذا اصطحبت بوثائق رسمية من بلد التصدير ومن بين الحيوانات على هذه اللائحة **التمساح الأمريكي** .

٣ ـ **المجموعة الثالث** : لا تعتبر مهددة ولكن **تقنن حسب نسبة وجودها في بعض الدول فالمقو القرمزي** Scarlet macaw يمكن أن يشحن من **بنما** ولكن **كوستاريكا** تحظر تصديره لأنه نادر الوجود هناك .

إن أية دولة تصادق على هذه الاتفاقية يجب أن تحترم هذه المجموعات الثلاث وتضع هذه الاتفاقية مسؤولية التفتيش على عاتق الدول المستوردة ، **وإذا لم ترافق مادة ما بالوثائق الرسمية اللازمة وجبت إعادتها إلى مصدرها** .

التنفيذ والمراقبة

وقد بدأ تنفيذ هذه الاتفاقية عام ١٩٧٥م وكانت بدايتها ضعيفة وفي آذار عام ١٩٧٩م اجتمعت الوفود مرة اخرى في كوستاريكا **وبعد** مرور سنتين على مؤتمر كوستاريكا **صادقت** ووقعت على الاتفاقية أكثر من ٦٠ دولة .

تقوم منظمة Traffic التي تدعمها **بشكل** أساسي **مؤسسة الحياة البرية العالمية World Wildlife Fund (WWF)** بمراقبة انتقال المنتجات

الحيوانات البرية والمعركة من أجل البقاء!

الحيوانية حول العالم وتقدم المعلومات التي تحصل عليها للحكومات ومسؤولي المؤتمر CITES والمحافظين على البيئة حسب الطلب ويوجد لها مكاتب في **لندن وواشنطن ونيروبي** ومكاتب قيد الإنشاء في **فرانكفورت وطوكيو**

ويمكن القول عموماً إن المراقبة الدقيقة أدت الى تقليص نشاط المهربين وانقصت امكانيات بعضهم بشكل حاد وأضطر الذين كانوا يعملون جهراً إلى التعامل في الخفاء .

أنواع نادرة ومطلوبة

إن من بين الحيوانات المهددة حيوان **الكركدن** و(قرنه) الذي هو وسيلة حمايته الطبيعية ، هو السبب في تعرّضه الدائم للصيد من قبل الباحثين عن العاج وذلك العاج استخداماته . فبعض أغنياء اليمن الشمالي يدفعون مبلغ (٦) آلاف دولار ثمناً للخنجر التقليدي عندما تكون قبضته مصنوعة من قرن الكركدن العاجي ويعتقد الكثير من الشرقيين بوجود قوى طبية في قرن الكركدن المسحوق على شكل ذرود (بُدرة) . وقد أدى الطلب الشديد عليه إلى تقليص أعداد **الكركدن الأسود** الذي كان منتشراً بشكل واسع عبر معظم **دول افريقيا الاستوائية** إلى جماعات متفرقة يصل عددها بين ١٥ إلى ٢٥ ألف حيوان بينما كان هناك أكثر من ١٥ الف في **كينيا وحدها** عام ١٩٦٩م ولكن العدد تناقص إلى ١٥٠٠ حيوان عام ١٩٧٩م ولايزال هذا العدد في انحدار .

تصل أعداد **الكركدن الجاوي والسومطري والهندي الكبير** مجتمعة إلى ٢٠٠٠ بينما يحيا **الكركدن الأبيض** الموجود غالباً في **جنوب أفريقيا** تحت مراقبة دقيقة ، وتشير هذه النزعة إلى أن هذا الحيوان القصير البصر الثخين الجلد ذا القوة الهائلة سوف يكون من بين الحيوانات الثديية الكبرى التي ستنقرض من على سطح الأرض .

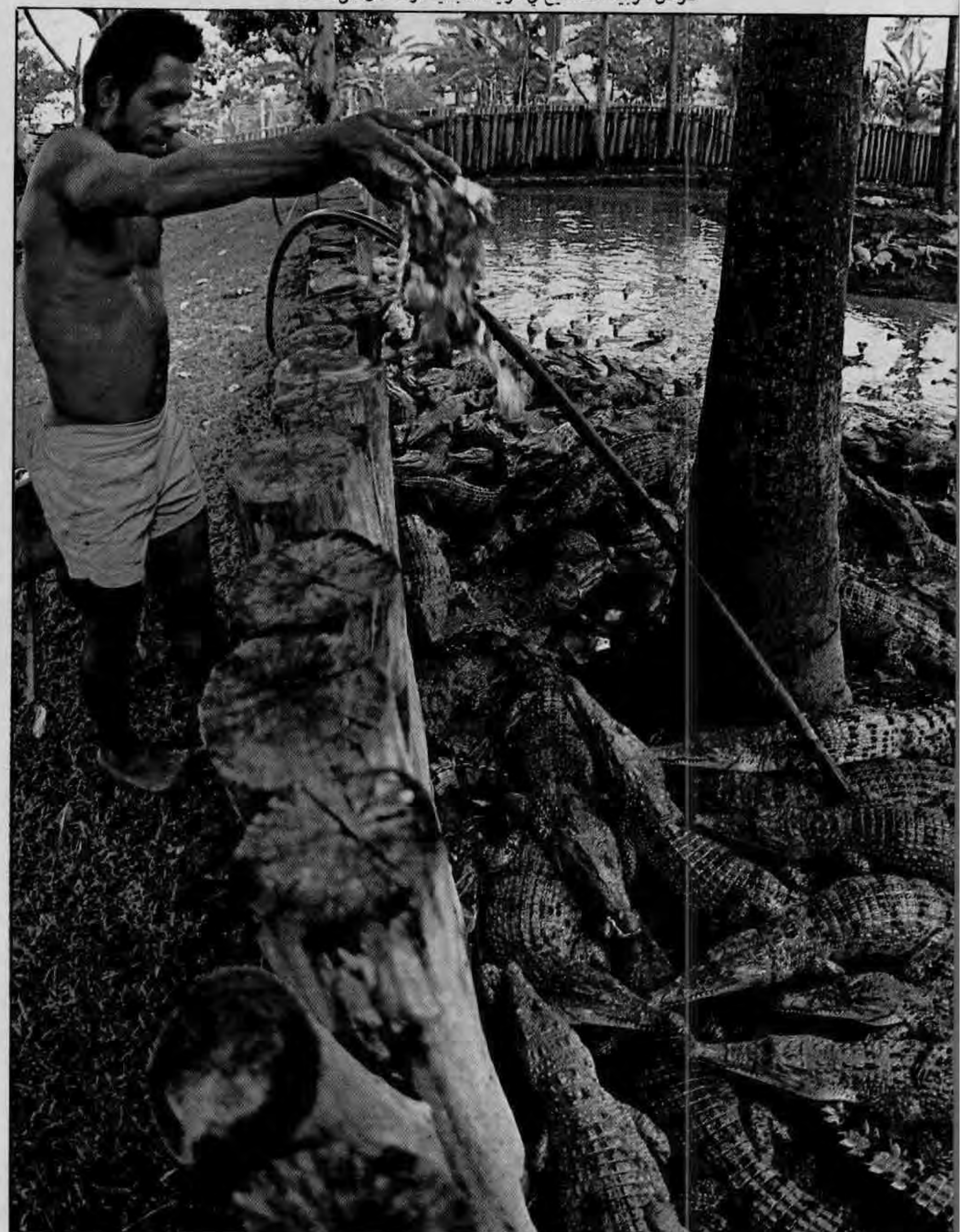
إن المادة الأكثر رواجاً في حقل التجارة المحظورة بمنتجات الحيوانات البرية هي **عاج الفيلة** وهذه المادة تلمس كافة جوانب المشكلة من حيث الصيد الجائر والرشوة والأرباح العالية والانتشار العالمي وحيوان بائس يجد من الاختفاء أمراً مستحيلاً .

العاج الثمين

يعتبر العاج أحد المواد الثمينة منذ عصر المسيح عليه السلام وكان الكيلو غرام الواحد منه يباع بمبلغ ١٠ دولارات خلال النصف الأول من هذا القرن بينما وصل السعر إلى ١٠٠ دولار للكيلو في منتصف السبعينيات وحتى الناب المتوسط الحجم يجلب ١٣٠٠ دولار.. الأمر الذي أدى إلى سقوط الفيلة مثل الذباب عبر أفريقيا كلها وغالباً خارج حدود القانون .

وبالرغم من أن التماثيل الصغيرة ومفاتيح البيانو والحلي الصغيرة هي هدف الاستخدام النهائي فإن معظم العاج يخزن اليوم كثروة حيث يشتري الكثير من الناس حول العالم العاج الخام ويحتفظون به لان معظمهم يعتقدون أن حيوان الفيل سوف ينقرض وسوف يصبح سعر العاج خيالياً . تضع معظم الحكومات الافريقية قيوداً

حوض لتربية التماسيح في غويانا الجديدة وتتغذى على السمك



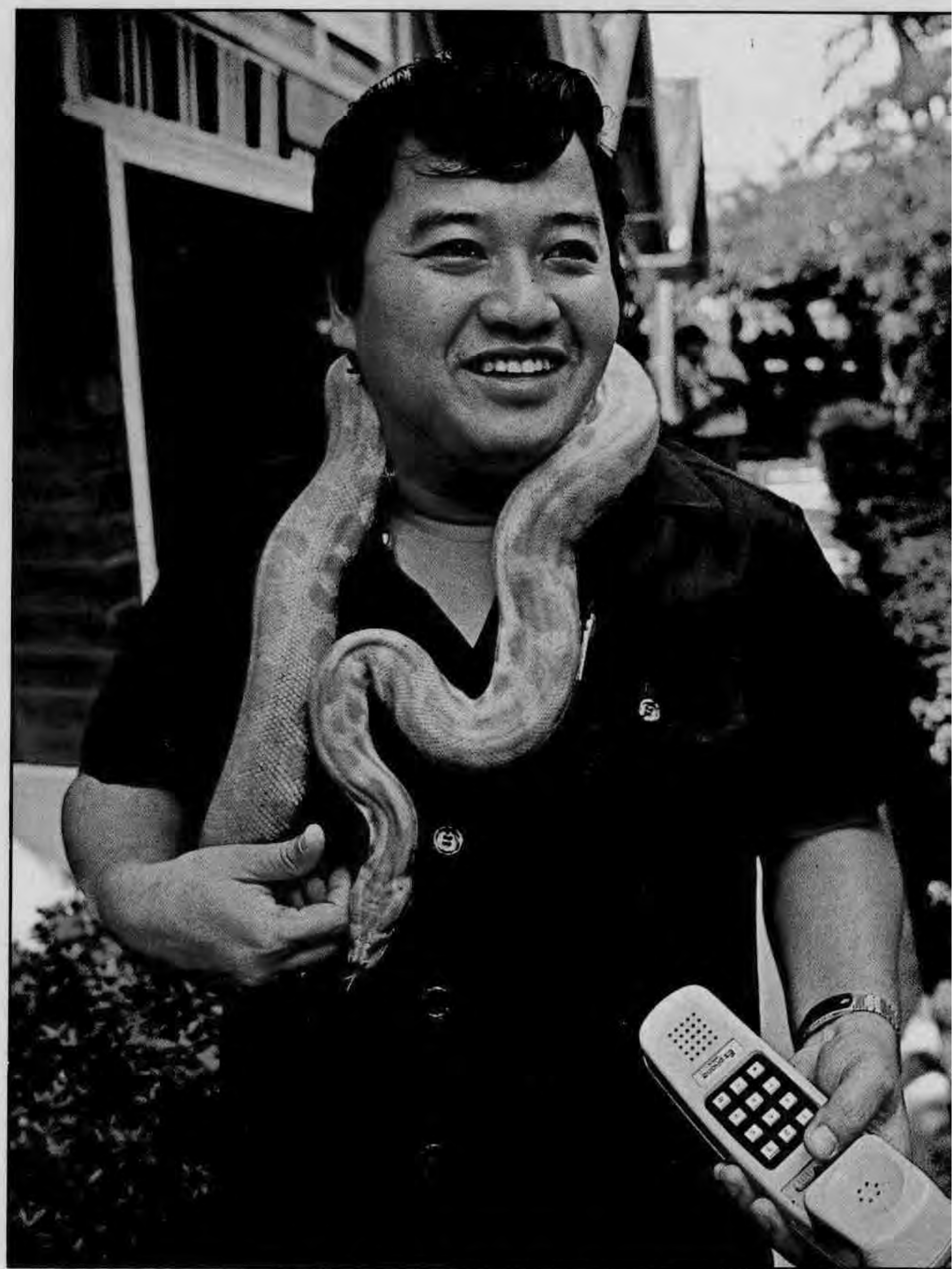
قانونياً أم لا فإنه يخدم غاية اقتصادية ملحة . وقد تنبهت لهذه الحقيقة بعض الدول إذ قامت الحكومة في **الأكوادور** بتدريب بعض العناصر وتأهيلهم ليصبحوا حراساً لأماكن الحيوانات ، وبدلا من قتلها فسوف يحصلون على الرواتب مقابل حمايتها . بينما يقول أحد المسؤولين في مصلحة الحياة البرية في **الهند** إن الحكومة غير راغبة في إنفاق الأموال على الحيوانات البرية لأنها لا تحس بالعائد الاقتصادي المباشر وتفضل إنفاق الأموال على مشاريع التنمية التي تجلب مردوداً اقتصادياً سريعاً .

إجراءات حازمة

وقد منعت **كينيا** في عام ١٩٧٤م كافة أنواع الصيد ليتاح لها أن تعيد بناء الثروة الحيوانية البرية التي كانت تجلب السياح والباحثين عن تذكارات الصيد ، وقدم **البنك الدولي** مبلغ ١٧ مليون دولار للمساهمة في ذلك المشروع ولكن حظر الصيد لا يؤدي بالضرورة إلى حظر التجارة . فأنياب الفيلة وقرون الكركدن وجلود النمور استمرت في التسرب في كينيا ولكن بمعدل أقل من المعدل السابق ، كما أن التشريعات المقترحة في الولايات المتحدة سوف تشدد المراقبة على العاج الذي يدخل البلاد والقوانين المقترحة عام ١٩٨٠م تسعى للسماح بالاستيراد فقط من تلك الدول التي تثبت أنها تقوم بإجراءات حازمة لحماية الفيلة وربما توسع هذه الاقتراحات لتشمل كافة أنواع الحيوانات المعرضة للانقراض .

ثغرات في الاتفاقية

إن إحدى الثغرات في اتفاقية **CITES هو أنها** تسمح ببعض الاستثناءات فمثلا تستثني **فرنسا وإيطاليا وسويسرا وألمانيا واليابان** من الحظر على تماسيح المياه المالحة لانها تستخدم الجلود في منتجات جلدية ، وبما أن هذه الدول تنتج معظم الحقائب اليدوية والأحذية والأحزمة وبعض منتجات جلود التماسيح الأخرى على المستوى العالمي فإن ذلك يؤدي إلى الحد من محاولة الـ CITES لحماية التماسيح فالقوانين وحدها لا تستطيع أن توقف المتاجرة بالحيوانات البرية . إذ ليس بالإمكان القضاء على هذه التجارة تماماً مادام يوجد هناك طلب على منتجاتها



افعى الأصلة البيضاء النادرة السعر ٢٠ الف دولار

على تصدير العاج ولكن الوثائق التي تبدو رسمية يمكن شراؤها في أغلب الأحيان .

وبعد أن يباع العاج ويعاد بيعه في السوق الدولية يصبح من المستحيل معرفة موطنه الأساسي بحيث لا يعرف أحد ما إذا كان التمثال المعروض في أحد أسواق **هونج كونج** هو من أحد الفيلة التي تم «حصادها» بشكل شرعي وقُضي عليه بسهم مسموم أو مات لأسباب طبيعية .

الحراسة

ومن الجدير بالذكر أن عمليات الصيد تلك لا تستهدف الحيوانات وحدها فقط إذ غالباً ما يسقط بعض القتلى من بين الصيادين والحراس المكلفين من قبل الحكومات لحماية أماكن وجود تلك الحيوانات . وتكمن المشكلة في قلة عدد الحراس ويعزى ذلك إلى ضعف الإمكانات المادية لتلك الدول .

إن عملية صيد وقتل تلك الحيوانات يقوم بها عادة بعض القرويين الذين يبيعونها الى الوسطاء ويجب أن نضع بعين الاعتبار أن الكثير من السكان المحليين يعيشون على بيع الحيوانات البرية ، وبالنسبة لهم فإن الصيد سواء كان

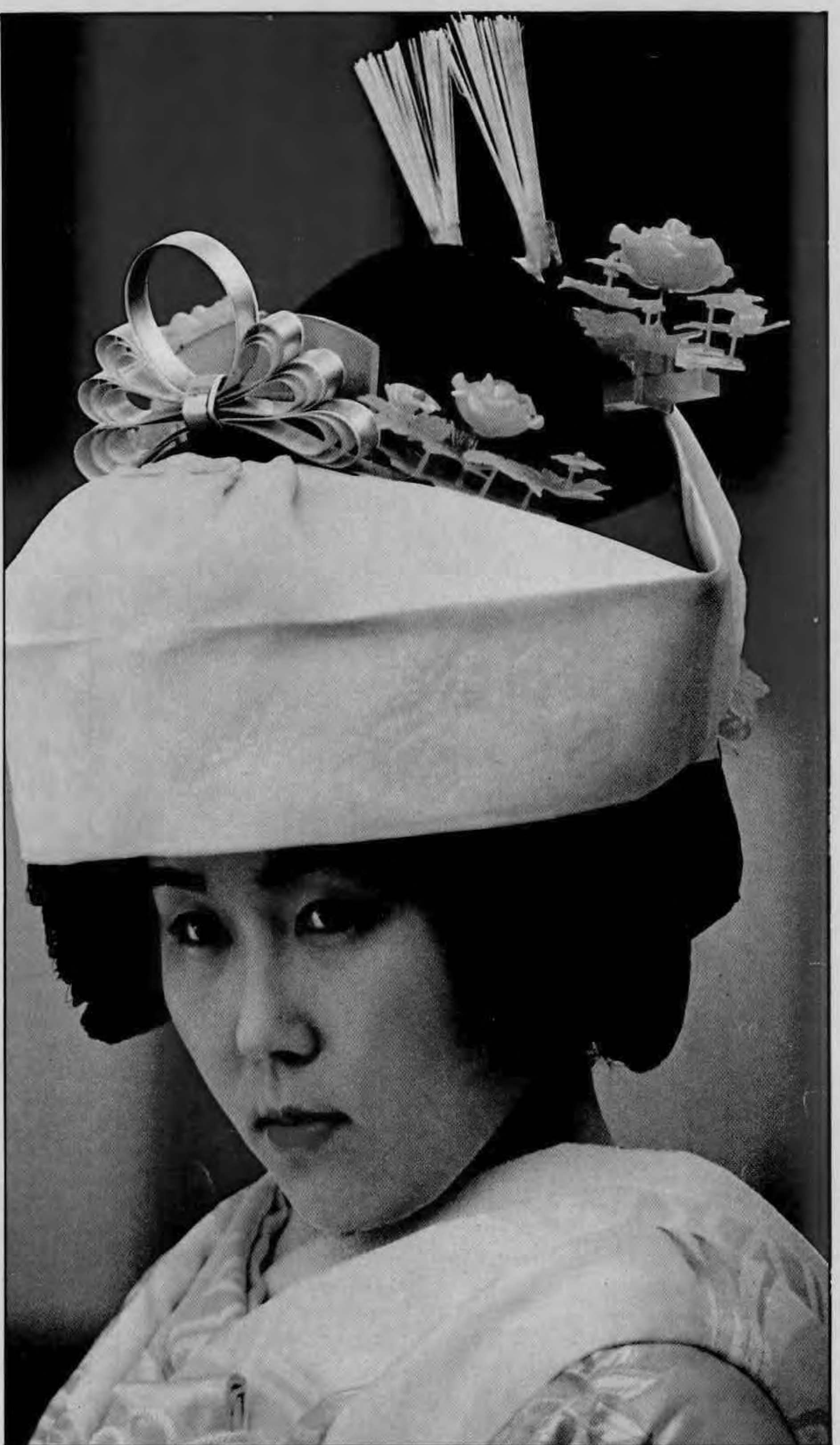
الحيوانات البرية والمعركة من أجل البقاء!

حل مقترح

وحسب قول بعض الخبراء إن كل ما تقوم به هذه القوانين هو تحويل تلك التجارة إلى تجارة تهريب **والحل الأمثل لحماية هذه الأنواع هو إكثارها كحيوانات المزرعة . إن إكثار الحيوانات البرية لتواجه الطلب على منتجاتها أمرٌ لا مفر منه هذا حسب رأي الأغلبية من التجار والمصنعين والبيروقراطيين ، وهذا الإكثار يمكن أن يتضمن عمليات كبيرة كتلك الموجودة في مناطق الحماية بجنوب أفريقيا حيث تتم حماية الفيلة والأسود وتحدّ بشكل دوريّ من ازدحامها . إن مثل ذلك الحصاد المنظم يمكن أن يجلب دخلاً قومياً من رسوم الصيد والسياحة . أما في بابوا غويانا** الجديدة فقد أصبحت تربية التماسيح مشروعاً قومياً . وقد بدأ المشروع بمساعدة مالية وتقنية من هيئة الأمم المتحدة .

كما أن هناك مزرعة لتربية السلاحف البحرية الخضراء على شواطىء الكاريبي حيث تربى السلاحف في أحواض اسمنتية وتتغذى على المركزات العالية بالبروتين وتصل إلى وزن ٤٠ كجم خلال ثلاث سنوات قبل بيعها . تبيع المزرعة ترس السلاحف كمجوهرات ومعلقات حائطية ويباع الزيت لمستحضرات التجميل واللحم من أجل الشرائح والكاليبية Calipee «وهي مادة هلامية متصلة بغطاء السلحفاة السفلي» لصنع الحساء ، والجلد للمنتجات الجلدية .

وتوجد الأمهات في أحواض تربية يبلغ عرضها أربعة أقدام وتزن أكبر واحدة منها حوالي ٣٠٠كجم ويوجد ساحل رملي بمحاذاة أحد جوانب الحوض لذا فإن الإناث تستطيع أن تعبر إلى الشاطىء لتضع بيوضها التي تجمع فيما بعد وتفقس بشكل صناعي .



تسريحة العروس في اليابان وتضم امشاطا مصنوعة من ترس السلحفاة البحرية يخشى العلماء من انقراض هذه السلحفاة إذ يتم اصطياد اكثر من مليون سلحفاة في العام

ويبقى السؤال مطروحاً

هل بالإمكان الحفاظ على الحيوانات البرية وحمايتها قبل فوات الآوان أم إنها ستصبح ذكرى كما أصبح الديناصور ؟

المراجـــع

(1) National Geographic Magazine March 1981.
(2) National Geographic Magazine November 1980.

■■■

حقائق وغرائب

رقصة النحلة الالكترونية



★ دفع قطرات من الماء المسكر المعطر برائحة زيت النعناع فوق راس الروبوت لاستثارة طبيعة الاجترار عند النحل الحقيقي ★

في تجربة هي الأولى من نوعها في العالم، تحدث «روبوت» نحلة إلى النحل الحقيقي ولغتها الخاصة وهي الرقص، ومن خلال «البناء» المتقن للروبوت تمكن العلماء من كشف كثير من أسرار تخاطب هذه المخلوقات فيما بينها..

نحلة آلية

من بين كل الطرق التي تتخاطب بها الحيوانات بعضها مع بعض، بداية من أصوات الفيلة التي تنخفض عن ذبذبة الصوت ولا يسمعها سوى أفراد القطيع، وحتى الحركات المرئية لإنسان الغابة الكبير، اعتبر العلماء أن **رقصة نحل العسل فريدة وتتسم بنوع من العبقرية**، ويبدو أن النحل مثل الأشخاص يمكن أن يتبادل أفراده المعلومات فيما بينهم عن الأشياء البعيدة في الزمان والمكان، **والنحلة عن طريق الرقص تخبر رفاقها في الخلية عن مكان ونوع وكمية الطعام الذي عثرت عليه. وهي بهذا تقترب كثيراً من استخدام اللغة الحقيقية.**

وهذه الحقيقة العلمية كانت معروفة منذ عدة سنوات، وكان **علماء من الدانمارك والمانيا**

رقصة النحلة الالكترونية

الغربية في اغسطس ١٩٨٠ م قد وضعوا نحلة مقلدة في قرص عسل في خلية مظلمة ووجهوها بالكومبيوتر ثم اكتشفوا أنهم كانوا يخاطبون نحلاً حقيقياً ، أما هذه التجربة الجديدة محل موضوعنا هذا فقد تمت في **ورزنبرج بالمانيا الغربية** عندما قام فريق من العلماء بتجربة نحلة آلية تخاطب رفاقها بنفس طريقة النحلة الحقيقية عندما تجد الطعام وترشد**ها** الى المواقع البعيدة ، ولأن العلماء كانوا يعرفون أن النحل يسرع للحصول على عينة من الرحيق ، عد ـ ـى توزيع الرحيق الاصطناعي فقد اسقطوا قطرة من ماء مسكر معطر بنعناع يحمل رائحة زيت النعناع فوق أنبوبة موجودة على رأس الروبوت النحاسية **لاستثارة** طبيعة الاجترار عند النحل الحقيقي .

وقد زود **الروبوت** بقضيب وأنبوبة رحيق ومغناطيس الكتروني مغطى بشريط ملون ورغم أنه كان غير سليم من الناحية التشريحية إلا ان هذا لم يعق التجربة لأن النحل لا يرى في الظلام ، ثم طلي الروبوت بالشمع ووضع في الخلية في وقت متأخر من الليل كي يكتسب رائحة النحل الحقيقي ، فالمعروف أن النحل المتوطن يهاجم النحل الغريب القادم من خلايا أجنبية .

رسالة راقصة

عن طريق هز الأجنحة وتحريك صلب الجسم حركة سريعة والرقص على جانب قرص العسل ، توجه النحلة رفاق الخلية إلى الرحيق الموجود على مسافة بعيدة ، فتتخذ رقص النحلة شكل رقم (8) الأجنبى الذي يشرح المسافة والاتجاه ، وخلال رقص النحلة الروبوت ظل **معها** عدد قليل من النحل خلال عدة دورات راقصة وعندما **تلقت** الرسالة طاروا ليكرروا رحلة النحلة وبسرعة اتخذ **مكانها** نحل آخر .

ومن المعروف أن الزاوية بين اتجاه الرقص والخط العمودي هي عبارة عن إشارة إلى الطريق من الخلية إلى الطعام بالنسبة إلى الشمس ، وعندما تهز النحلة بطنها في مركز شكل (8) وتخفق بأجنحتها إنما تشير بهذا إلى المسافة ، في حين أن تكثيف الرقص بالإضافة إلى العينات المقدمة والرائحة النفاذة على جسم النحلة يبين نوع الطعام ولكن مازالت هناك تفاصيل كثيرة غير واضحة .

وفي الظلام يبدو أن النحل التابع يسمع «الرسالة الراقصة» فخفق الأجنحة ينتج تيارات قوية من الهواء طبقاً للتجربة التي أجراها «**آكسيل مايكلسين**» **خبير سمع الحيوانات في جامعة اودنس من الدانمارك** مع معاونه **بيركروجير** حيث استخدم الأخير مسباراً دقيقاً مكبراً للصوت ومزوداً بشرائط لا تفصل بينها سوى ملليمترات قليلة لتسجيل وقياس تذبذب الجزئيات في الهواء القريب ، وعندما تم تكبير الصوت بدا كأنه صوت هديل الحمام عند التأهب للطيران ، ولكن كانت موجات الهواء تخبو بسرعة لأن النحل التابع كان عليه أن يبقى قريباً من الأجنحة المتحركة أو الخافقة لكى يسترشد بها ، ويبدو أن الصوت المشتت السريع لا يزعج سكان الخلايا القريبة **التي يمكن أن تتبع** راقصات أخريات .



الروبوت غير كامل من الناحية التشريحية ولكن النحل لايرى ليلاً

النحل يسمع الأصوات

يبدو أن نحل العسل يستقبل الصوت بواسطة قرون الاستشعار لديه ، وفي التجارب التي أجراها **(ولفجانج كيرشنر) من جامعة ورزبرج** ، و**(ويليام تون) من جامعة كوتزتاون في بنسلفانيا** ، أثبت الاثنان خطأ الرأي السابق القائل بأن النحل أصم ، أضف إلى هذا أن **(اكسيل مايكلسين)** و**(كيرشنر)** استخدما **أشعة الليزر لقياس الاهتزاز** وتبين أن النحل التابع يطلب الحصول على

بواسطة هذه الاجنحة وتحريك صلب الجسم والرقص على جانب قرص العسل ، توجه النحلة (ذات العلامة الحمراء) رفاقها إلى موقع الرحيق الذي عثرت عليه





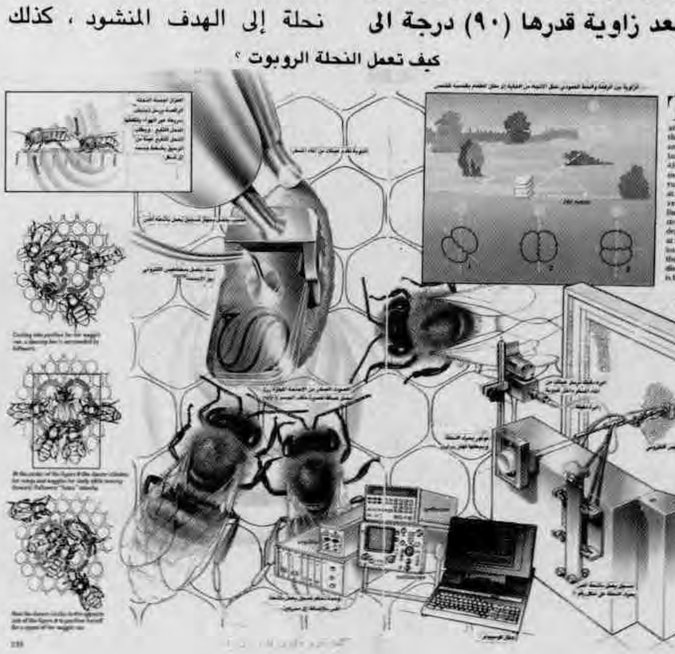
جهاز الكومبيوتر وأدوات تحريك الروبوت توجد خلف شاره سوداء ومعها العالم اكسيل نيكلسين



جناح وحيد للروبوت فتح من شفرة حلاقة ويوجد في الظهر

عينات من الرحيق بضغط أجسامها إلى أسفل ونقل الاهتزاز الشديد داخل قرص العسل .

وتختلف حركة النحل الراقصة تبعاً لزاوية وجود الطعام وحركة الشمس ، والزاوية بين الحركة السريعة والخط العمودي تمثل الزاوية بين مصدر الطعام والشمس ، وعلى سبيل المثال للوصول إلى الطعام الموجود في زاوية قدرها (٤٥) درجة إلى يسار الشمس تنظم النحلة اهتزازها السريع في مركز شكل (8) على مسافة زاوية قدرها (٤٥) درجة من يسار الخط العمودي ، للوصول إلى الطعام الموجود مباشرة على الخط نفسه مع الشمس تكون الرقصة مستقيمة ، **وللوصول إلى الطعام الموجود على بعد زاوية قدرها (٩٠) درجة الى اليمين تكون الرقصة كذلك بزاوية مقدارها (٩٠) درجة ، وكلما استمرت الحركة السريعة دل هذا على وجود الطعام بوفرة ، وللطعام الموجود على مسافة (٢٥٠) متر تستمر الرقصة نصف ثانية**



كيف تعمل النحلة الروبوت ؟

تفاصيل دقيقة

وهكذا كان النحل الحقيقي يبدي اهتماماً شديداً بالروبوت الصغير ، ولكن هل يتبعه بدقة ؟

خلال التجربة التي أجريت تبين أن عدداً يتراوح بين (٢٠٠ و٣٠٠) نحلة وصل إلى مكان الطعام عندما تلقى معلومات من نحلة حقيقية في حين أن النحلة الروبوت نجحت في إرسال عدد يتراوح بين (٢٠ و ١٠٠) نحلة إلى الهدف المنشود ، كذلك تمكن عدد يقل عن (١٠) نحلات من تحديد الموقع عندما قدم الروبوت عينات من الرحيق دون رقص .

وهكذا أدركنا من التجربة أن كلاً من الاهتزاز ونموذج الصوت الصحيح ضروريان للاتصال أو التخاطب ، ولكن مازال هناك الشيء الكثير الذي يمكن أن نتعلمه من الروبوت ونحن بالفعل في غاية الشوق لاكتشاف كل شيء عن كيفية تخاطب النحل ، مثلاً ماذا يمكن أن يحدث إذا كان اهتزاز النحلة في مكان واحد من الرقصة وطنينها في مكان آخر أو إذا حدث الاهتزاز خارج شكل (8) .

ولكن في النهاية يمكن القول بأنه أصبح لدينا الآن أداة قوية يمكن أن تمدنا بتفاصيل دقيقة ووافية عن النحل وهي **(الروبوت)** .

حول التجربة

كان الدافع إلى صنع روبوت نحلة هو بقاء كثير من حالات عدم التيقن من مدلولات مجالات معينة غير مفهومة رغم التقدم العلمي ،لذا كان الحل المثالي هنا هو بناء روبوت يؤدي رقصات حقيقية بعدة طرق بقدر المستطاع ، وكان على الروبوت أن يرقص على هيئة شكل (8) وأن ينقل كذلك عينات من الرحيق ، وأن يذيع صوتاً بالطريقة المناسبة مع ملاحظة أن نماذج النحل المقلدة السابقة كانت تقدم أجزاء من الرقصة لكنها لا تذيع الصوت الصحيح .

لذا كان الحل المناسب هو بناء **الروبوت ذي الجناح الواحد وقد صنع الجناح من جزء من شفرة حلاقة ويقع في ظهر الروبوت ، وتم لصق الحافة الأمامية من الجناح إلى جذع يدور على حاملين يشبهان العيون الخرزية ، وقد الحق سلك بالجناح المصنوع من الشفرة يربط المغناطيس الالكتروني الذي يتسبب في اهتزازه بنماذج أصوات سبق أن أصدرها النحل الحقيقي ،ويرتبط القضيب الرئيسي بمحركات كأنها مختبئة خلف ستارة سوداء حيث يجلس مبرمج الكومبيتر** .

وقد قام **(نيكلسين)** ببرمجة الكومبيوتر لكي يصف الموقع المنتظر وذلك بتوجيه الروبوت آليًا ، وكان الكومبيوتر يضبط آلياً زاوية الرقصة كل عشر دقائق بينما تتحرك الشمس في السماء ، من حين لآخر كان **(نيكلسين)** يضع مكبر صوت صغير بالقرب من النموذج الذي يطلق الطنين ، ولأن الروبوت لا يمكنه استقبال رسائل اهتزاز من الأتباع التي تسعىَ للحصول على عينة من الطعام ، كان مبرمج الكومبيوتر يقدم من حين لآخر عينة ماء ممزوج بالسكر ومعطر برائحة النعناع .

● المصدر : ناشيونال جيوجرافيك عدد يناير ١٩٩٠ م .

لوحة وفنان

لوحة الديمترون

●صور الفنان أحد الزواحف البرية العملاقة .. ديناصورا ضخما . ويتضح ذلك من هيكله التشريحي والسلسلة الشوكية في أعلى ظهره » .. وكأنه خرج من أحقاب التاريخ ليهاجم ويبتلع كل ماهو أمامه . وليدمر كل شيء يستطيع الوصول إليه . فهو يبث الفزع والرعب فيما حوله ويحيل الكائنات والعناصر والأشياء إلى أشلاء متناثرة .. إلى دمار وخراب انه يقضي على كل شيء أمامه . ويعصف بكل شيء . فنجده أحال الفتاة في الجزء الأيسر من اللوحة إلى أشلاء يظهر منه وجهها المخضب بالدماء . وأحال الحمامة البيضاء (رمز السلام) في الجزء الأيمن من اللوحة إلى رأس افتقد الحياة والطيران دون جسد . لايظهر منه سوى شرايين دموية . وحتى الجمادات اقتلعها من الأرض . فنجد أبراج الكويت وهي الشيء المميز لها والرامز إليها في وسط اللوحة . تبدو كالأشجار المقتلعة الجذور .. حمامة بيضاء أخرى لايظهر منها سوى رأسها وأحد أقدامها وأجنحة مخضبة بالدماء . كان الديناصور قد فتك بها وبذلك الجنين في الناحية اليمنى الذي يبدو كأنه انتزعه من بطن امه قبل ولادته .. أناس وأجزاء عضوية هي بقايا بشر أو حيوانات . وأجزاء صلبة كأنها بقايا أجهزة وآلات .. دماء وأشلاء منتشرة على الأرض . كأن هذا الديناصور قد دمر كل شيء وأحاله إلى لاشيء .. مشهد كالكابوس يبث الفزع والرعب فينا . ويجعلنا نتألم لما نرى ونتساءل عما يقصده الفنان .. ومن خلال الرموز الموحية كأبراج دولة الكويت نستطيع الاستدلال على انه يعبر عن أحداث الغزو العراقي على دولة الكويت . أي انه يصور المشاهد البشعة والجرائم المرتكبة في حق الشعب الكويتي اثر الاعتداء الغاشم . وما لقيه من تدمير لم يصب البشر فقط وانما أصاب الجذور والطيور .. وهذا هو مضمون اللوحة الذي أبرزه الفنان من خلال تصوير موضوعه عن الغزو العراقي للكويت .

● استخدم الفنان الديناصور رمزاً فهو من الزواحف البرية المنقرضة والتي عاشت في حقبة الحياة الوسطى ويصل طولها إلى سبعة وعشرين متراً . وقد انقرضت قبل نهاية « الزمن الطباشيري » . والرمزية هنا دليل على قوة الديناصور الذي يفتك بكل شيء دون تمييز . وعلى الهمجية والسلوك الوحشي الذي انقرض في العالم . وكان هذا الاعتداء هو نوع من الهمجية والسلوك المنقرض في القرن العشرين . وقد استخدم الفنان الطيور رمزاً في اكثر من موقع في اللوحة . فنجده في مقدمة اللوحة يعبر من خلالها عن تدمير السلام والحب والنقاء والوداعة . أما في الخلفية فقد صورها في موقعين أحدهما أعلى اللوحة حيث يظهر رأس حمامة تلمس برج الكويت كأنها ترعاه وكدليل على الأمل . والموقع الثاني صورها في حالة طيران على ورقة ممزقة أثر السلسلة الشوكية للديناصور . والتي تبدو وكأنها قضبان حديدية كقضبان السجن . والورقة بين ثناياها .

● استخدم الفنان الحد الأقصى من الفاعلية في التباين اللوني . فالألوان متضادة ومتنافرة وتميل إلى السخونة في مقدمة اللوحة . فاستخدم الأحمر والأصفر والبنفسجي وهي ألوان النار والدماء . وذلك للتعبير عن بشاعة الأحداث . والألوان في الخلفية هي مزيج من الأصفر والأزرق والأخضر . والأصفر هنا يعبر عن الصحراء وامتدادها المترامي . أما الأزرق والأخضر في السماء فيعطي الاحساس بالحلم المزعج أو الكابوس . أي أنه استخدم الألوان بشكل رمزي لتأكيد الدرامية في اللوحة . ولتشمل الرمزية العناصر الشكلية والألوان وهي أبرز مايميز اللوحة .. والأسلوب المستخدم في تصوير العناصر وحبكتها في تكوين متماسك إضافة إلى الرمزية قد أكسب اللوحة مسحة سيريالية .



الفنان : أحمد عبدالله العبد رب النبي

● ولد بالمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٧٩هـ .

● حصل على بكالوريوس تربية فنية من جامعة الملك سعود بالرياض .

● معيد تربية فنية بالكلية المتوسطة لإعداد المعلمين بالأحساء .

● اشترك في العديد من المعارض والمسابقات التشكيلية منها :

★ مسابقات الفنون التشكيلية لمكتب الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالمنطقة الشرقية .

★ معرض مهرجان التراث والثقافة بالجنادرية .

★ معرض المملكة بين الأمس واليوم بجمهورية مصر العربية .

★ معرض الشباب العربي بالجزائر .

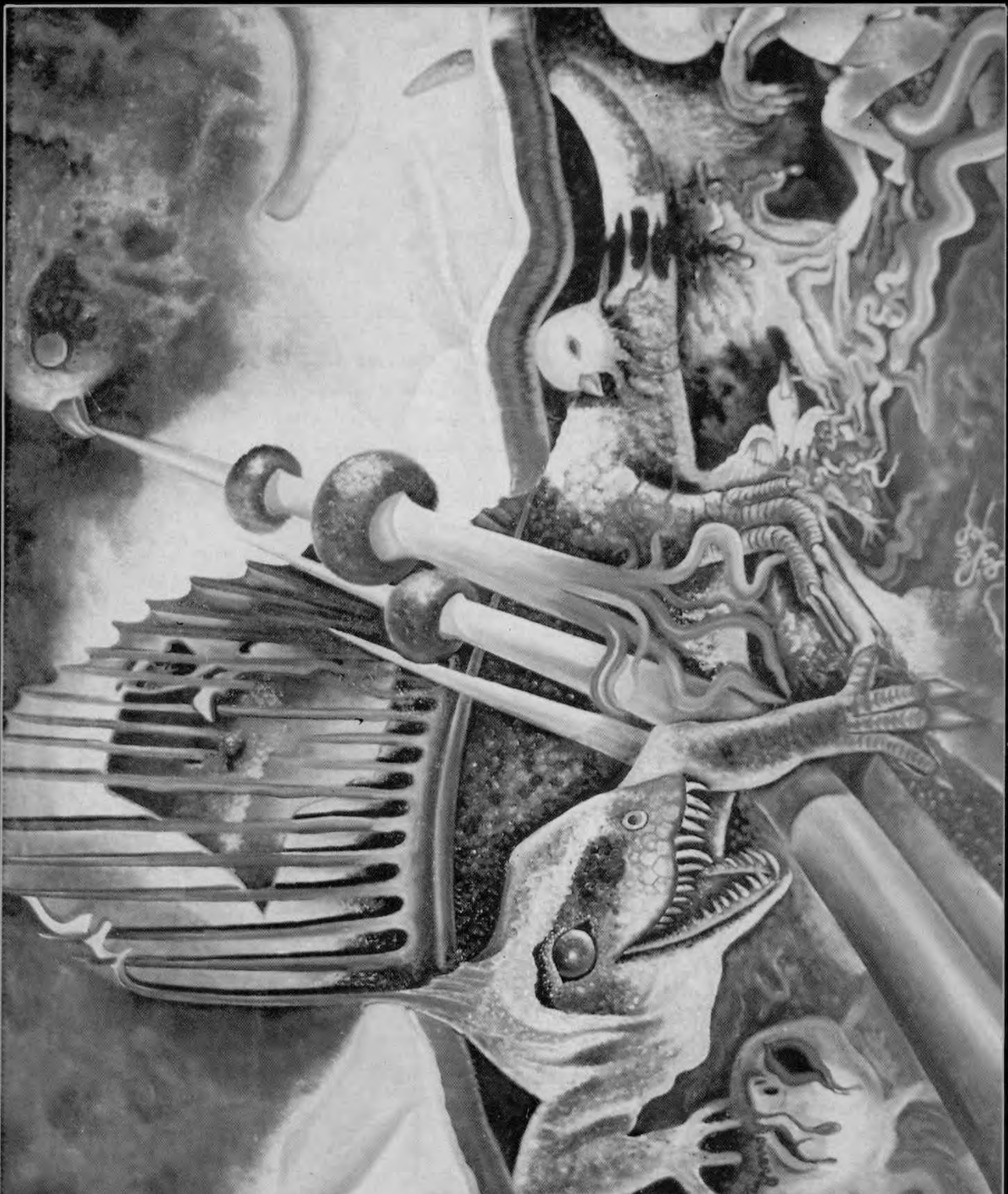
★ معرض شباب الخليج العربي بالكويت .

★ معرض الأسبوع الثقافي بجامعة الملك سعود بجدة .

★ بعض معارض المقتنيات والفن السعودي المعاصر التي تقيمها الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالرياض .

★ معرض الغزو العراقي لدولة الكويت بالرياض وفاز بالجائزة الأولى في التصوير الزيتي عن اللوحة المنشور صورتها هنا .

● فاز بالعديد من الجوائز منها الجائزة الأولى في الرسم في المسابقة التشكيلية لمكتب رعاية الشباب بالدمام عام ١٣٩٥هـ ـ الجائزة الأولى من جامعة الملك سعود عام ١٤٠١هـ ـ جوائز اقتناء من الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالرياض .



المناعة الجسمية والحالة النفسية
قضية تواجه الأطباء

إعداد : نصير أبو حجلة

عندما كان الطبيب (ميهاي ديمان سيسكو) يقوم بجولة في أحد الأجنحة بمستشفى (كونيكتوت) في نيويورك ، بصحبة رئيس الجراحة العصبية ، أشار عليه الجراح أن لا يضيع وقتاً مع السيدة الراقدة في حالة غيبوبة منذ ثلاثة أشهر ، لأنها على حد قوله « لن تفيق أبداً » وبعد أسابيع قليلة فوجىء الجميع بأن هذه السيدة (٢٤) سنة قد استردت وعيها . وعندما سألها الطبيب ميهاي Dr Mihai عما تذكره أثناء غيبوبتها أجابت بأنها تذكر قول رئيس الجراحة بأنها لن تفيق أبداً ، فوطدت عزمها وكسبت معركتها مع المرض ويعلق الطبيب ميهاي بأنه شاهد حدوث حالات كهذه عدة مرات .

العلاقة بين الجسم والعقل

بهذه المقدمة طالعتنا مجلة Dreder's Digest في عددها بشهر أبريل ١٩٨٧م وبمقال مطول حول العلاقة بين صحة الجسم واتجاهات العقل . وهو نفس ما ورد أيضاً في مجلة New Scientist في نفس الشهر والسنة ، وتفاجئنا مجلة Psychology to day بتناول نفس القضية في الفترة نفسها من العام نفسه وهي العلاقة بين اتجاهات العقل وجهاز المناعة الجسمية وكيف أن **حالات المعاناة والإجهاد النفسي تجعلنا أكثر عرضة للوقوع في المرض لأنها تقلل من كفاءة جهاز المناعة وصموده أمام البكتيريا والفيروسات والأجسام الغريبة بما تمارسه من خفض في عدد ونشاط الكريات الدموية البيضاء ، وذلك عبر الجسور القائمة بين الدماغ وجهاز المناعة .**

تلك ثلاث مجلات أجنبية تناولت هذه القضية العلمية عام ١٩٨٧م واستشهدت بنفس التجارب التي أجراها العلماء لاختبار صحة الفكرة المتعلقة بوجود علاقة بين الحالة النفسية وجهاز المناعـة ، والأعجب من ذلك أن تناقش هذه القضية في ثلاث مجلات علمية أخرى عام ٨٦ وهي :

- Science Digest مارس ٨٦ .
- Science 86 أبريل ٨٦ .
- Sciences أبريل ٨٦ .

ومن هنا يتضح أن هذه المشكلة قد أصبحت الشغل الشاغل لجهات البحث العلمي في مجال الطب وبالمناقشات عبر الصحافة ومن خلال التجارب في المعامل والمختبرات على الحيوان والإنسان . ولا تحظى هذه القضية بمثل هذه الحماسة عبر مجلاتنا الطبية أو لدى الباحثين في أقطارنا . فلقد طالعتنا جملة الأبحاث الغربية في الأعوام الأخيـرة لتؤكد الفكرة القائلة بأن **القهـر والإحباط النفسي يجعلنا أكثر قابلية للمرض وأن ثمة علاقة وثيقة بين أحوال النفس وجهاز المناعة** وذلك نتيجة أبحاث دقيقة تواصلت منذ عقد من الزمان لكنها بعيدة عما يقال في مجال علم النفس والأمراض النفسية ، ذلك لأنها تدرس جهاز المناعة وتقيس تأثره بالمعاناة والإحباط ، وقد كان ينظر إليه لوقت قريب بأنه جهاز مستقل يتولى تنظيم نفسه بنفسه ، وإن كان يرتبط بالدماغ من خلال قنوات مختلفة .

علم المناعة النفسية

من هنا فإن القاعدة التي تقول : «قل لي كيف تفكر أقل لك ما هو مرضك» صحيحة إلى حد بعيد وبالتالي فإن علماً حديثاً يطلقون عليه **علم المناعة النفسية** Psycholo imnunology قد اتضحت معالمه وتفرعت تجاربه بين علماء أمريكا وبريطانيا واستراليا وكشفت نتائجها التي تؤكد وجود العلاقة بين حدوث الأمـراض وقيـام جهـاز المنـاعة بوظيفتـه ، فهـو الذي يتعرف على الأجسام الغريبة والبكتيريا والفيروسات القادمة من خارج الجسم ويواجهها كما يواجه بعض أنواع السرطان داخل الجسم .

مـع التجـارب

كانت أكثر التجارب إثارة تلك التي أجراها **العالم بارتروب** Bartrop إذ قام وفريقه بقياس عمل جهاز المناعة عند ٢٦ زوجاً فقدوا زوجاتهم بفعل مرض السرطان ، وجرى أخذ عينات من دماء الأزواج وتم عزل نوع من الكريات البيضاء يعرف باللمفاويات Lymphocytes التي تقاوم الفيروسات والخلايا الخبيثة وكشفت هذه الدراسة عن أن الكريات البيضاء عند هؤلاء الأزواج قد انخفضت بصورة ملحوظة عقب وفاة زوجاتهم ، ولم تكن بذلك التدني قبل الوفاة . واستمر الانخفاض مدة شهرين عقب ذلك .

وظهرت نتائج دراسة أخرى شبيهة بهذه التجربة ، على من فقدوا زوجاتهم أيضاً واتضح انخفاض الخلايا اللمفاوية عدة أسابيع عقب وفاة الزوجات واستمر التناقص ما يقرب من العام عند بعض الأزواج زيادة على ما يصاحب ذلك من اضطراب في الأكل والنوم وإفراط في تناول المسكرات والمنبهات مما يكون له مفعول مدمر على جهاز المناعة . وثار جدل بفعل بعض المقالات التي طرحتها طبيبة وصحفية اسمها **(مارسيا انجل)** حول جدوى هذه الأبحاث التي تحمل نتائج مبالغاً فيها . وورد **العالم روبرت ادر من جامعة روشستر** بأن ليس للمرض الواحد أسباب واحدة ونتائج واحدة ، وكانت له تجاربه في هذا الميدان إذ قام بتدريب مجموعة من الفئران على تناول الماء ممزوجاً بالسكرين ولكن متبوعاً بعقار يكف جهاز المناعة ثم قام بتقديم الماء ممزوجاً بالسكرين دون العقار الكاف لجهاز المناعة ، فوجد أن الماء المحلى قد أصبح يكف وظائف جهاز المناعة كالدواء تماماً مما يشير إلى إمكانية تدريب جهاز المناعة **بأسلوب**

التعلم الشرطي الذي صاغ تجاربه الأولى العالم الروسي (**بافلوف**) .

وقام عالم آخر بحقن الفئران بعقار يعزز نشاط الخلايا المناعية مصحوباً برائحة الكافور التي لا تمارس أثراً على جهاز المناعة .وبعد تسع جلسات جرى تعريض الفئرأن لرائحة الكافور دون العقار المنشط وكانت رائحة الكافور كافية لبعث نشاط هذه الخلايا المناعية القاتلة . وتوالت التجارب على الإنسان كذلك ، وقام باحثون بأخذ عينات من دم طلبة الطب خلال مراحل مختلفة من العام الدراسي ، وقورنت بعينات أخذت خلال فترة الامتحانات المهمة ، وتجلى الأثر الواضح للقلق النفسي ـ أثناء الامتحانات ـ على جهاز المناعة ، إذ انحدر نشاط **الخلايا** القاتلة ، كما انحدر إنتاج **البروتين** الذي يكبح جماح الميكروبات .

وجرت محاولة في **الكلية العسكرية** من قِبل **جامعة بيل** لدراسة **آثار** الإجهاد على ١٤٠٠ طالب مستجد وفيما إذا كان ذا دور على الإصابة بالحمى الغدية الناجمة عن فيروس (EBV) ، وتبين في بداية التجربة أن حوالى ثلث المجموعة لا تحوي دماؤها على الأجسام المضادة مما يدل على انعدام إصابتها مسبقاً بالفيروس وأن حوالي ٢٠٪ قد تشكلت عندهم تلك الأجسام بعد فترة لكن قسماً من الطلبة قد حدثت عندهم الإصابة بحمى المرض وتبين أن هؤلاء المصابين أكثر الطلبة بذلاً للجهد وحرصاً عليه رغم ضعف **الإمكانات** وشدة التعلق بالتفوق .

وكشفت تجارب **العالم الإنجليزي ريتشارد تومان** أن الأشخاص الانطوائيين أكثر عرضة للإصابة بالبرد وأشد حدة من غير الانطوائيين ، والمكروبون الذين واجهوا مشكلات حياتية أشد إصابة من غير المكروبين في هذه الفئة ، وكلما اشتد الكرب اشتدت القابلية للمرض وتجلى تدني نشاط الخلايا المناعية .

ولا يحدث الخلل في جهاز المناعة في الحالات كافة إذ يتوقف الأمر على المدة التي يستمر فيها الاكتئاب والقهر ، وإذا امتدت هذه الفترة يكون الاستقرار في الجهاز المناعي أمراً مؤكداً .

فالفئران التي تعرضت للأصوات العالية انخفض عدد خلاياها المقاومة للمرض لكنها عادت لمعدلها بعد أن طال أمد هذه الأصوات المزعجة التي تأقلمت معها . **والإجهاد النفسي يكون فعالاً كلما عجز الحيوان عن احتماله والسيطرة عليه** . فمن تجارب (**مادلون**) وفريقها **في جامعة بنسلفانيا** زرع خلايا سرطانية في أجسام مجموعة من الفئران





المناعة الجسمية والحالة النفسية
قضية تواجه الأطباء

لقياس قدرة أجسامها على رفض هذه الخلايا فجرى تعريض فئة منها لصدمات كهربائية يمكن احتمالها لأنها في مواعيد محددة .. وجرى تعريض فئة ثانية لصدمات فشلت في السيطرة عليها والتكيف معها لعدم انتظامها في الوقت والشدة فاستطاع ٦٣٪ من الفئة الأولى رفض الخلايا السرطانية الطارئة بينما استطاع ٢٧٪ فقط من الفئة الثانية رفض تلك الخلايا ، وهكذا يترافق التوتر النفسي الحاد مع حدة المرض وشدة الإحباط النفسي مع الإحباط المناعي . وقد اتضح ذلك عام ١٩٦٤م عندما عمد باحثون **بجامعة ستانفورد** لدراسة ٥٠٠٠ حالة التهاب في المفاصل ولمسوا الآثار البدنية العميقة التي خلفتها الحالات النفسية البائسة عند ذوي الإصابات الحادة .

رأي .. ورأي آخر

أما **العالمة الطبيبة كاسليت بمركز السرطان بجامعة بنسلفانيا** أيضاً فقد درست دور الاتجاهات العقلية عند ٢٠٤ مريض بالسرطان في مراحله المتأخرة . وجرت مقارنتهم بـ ١٠٥ مريض بسرطان الجلد أو الثدي في مراحله المعتدلة ، وكشفت البيانات أن الاتجاهات العقلية الإيجابية عند بعض المرضى لم تلعب دوراً في زيادة فرص النجاة ولو يوماً واحداً عن ذوي الاتجاهات السلبية .

أما نتائج إحدى الدراسات بلندن وكانت قد جرت على ٥٧ مريضة بسرطان الثدي فقد كشفت عن أن ١٤ مريضة من بين ٢٠ مريضة من ذوات الاتجاهات الإيجابية المقاومة للمرض قد نجحن في كسب عشر سنوات من الحياة على حين ماتت أربع نساء من بين خمس كن يائسات وماتت ٢٤ من بين ٣٢ مريضة أخرى مستسلمة لم تبذل أية محاولة لقهر المرض .

فالمريض المقاوم على سبيل المثال ينهض من فراشه مبكراً ويسير على قدميه رغم آلامه المبرحة على حين لا يفعل ذلك صاحب الاتجاه السلبي الخائر وهو ما يقوم دليلاً راسخاً أمام أطباء المناعة على أن العواطف والاتجاهات والأفكار تلعب دوراً **ملموساً في التأثير في جهاز المناعة .**

ماذا يعني جهاز المناعة

لتوضيح مفهوم جهاز المناعة نقول إن في الجسم **خطوط دفاع أولى** وجيوشاً تهاجم المرض ، وأول هذه الخطوط ما يسمى **بالخلايا الملتهمة (Phagocytes)** فعندما يصاب الجلد بجرح أو التهاب تسارع مجموعات من الكريات البيضاء وتلتهم الأجسام الغريبة واحداً تلو الآخر إلى أن ينتهي الأمر بالتهام نفسها وهذا أول رد فعل مناعي للجسم .

أما **الخط الثاني للدفاع** فيأتي من طرف آخر أوضح خصائصه أنه قادر على تمييز الأجسام الغريبة على عكس الخلايا الملتهمة ـ فإن شخصيتها لا تفرق بين جسم وآخر ـ كما أنه قادر على تحضير **مواد كيماوية ذات خصائص فريدة ضد البكتريا** والميكروبات وهنا تكوّن (**اللمفاويات**) الوحدات الأساسية التي تنجز هذا الدور المناعي ، وقد سميت بهذا الاسم لوضوح وغزارة تدفقها سواء في مكان اختزانها أو في مجرى الدم المتفرع في الجسم . **واللمفاويات مثل الكرات الدموية البيضاء كافة تخرج من نخاع العظام مكتملة النضج وتسمى (T) او يتاخر نضجها وخروجها وتسمى (B) ، اما خلايا T فتتجه إلى الغدة التيموسية** وبالتالي فهي تحمل الحرف الأول منها بينما تحمل الخلايا B الحرف الأول من (العظام **Bones**) .

وللغدة التيموسية أهمية خاصة في جهاز المناعة لاتصالها المباشر بالدماغ . وكلا النوعين من الخلايا T ، B يتدفق عبر تيار الدم إلى أن يستقر في أحد أعضاء الجسم كالطحال أو اللوزتين ، ويظل كامناً لحين ظهور الآلاف من الأجسام الغريبة من مواد عضوية تالفة أو سموم أو فيروسات حيث تتقدم



الخلايا (B) وتفرز بروتينات تسمى الأجسام المضادة وهي معدة خصيصاً لتدمير هذه الشوائب .

أما الخلايا (T) فتستجيب للحدث ليس بإنتاج أجسام مضادة وإنما بسلسلة من الإجراءات التي تدعم المناعة فمنها الخلايا T المساعدة (Helper) **التي تقوم بإفراز مواد كيماوية تساعد الخلايا B في** عملية إنتاج الأجسام المضادة ، ومنها الخلايا القاتلة Killer التي تهاجم الميكروبات مباشرة بمواد مهلكة من إنتاجها .

ومنها نوع ثالث يسمى الخلايا الكابحة أو الكافة Suppressor Tcells التي تقوم على حماية الأنسجة السليمة من افتراس اللمفاويات لها فتمنع الخلايا B من إنتاج الأجسام المضادة إلا بقدر الحاجة إليها فقط وخوفاً من التهام الأنسجة السليمة نفسها . هذا إلى جانب مواد أخرى تنتجها الخلايا T بالتعاون مع الخلايا (البلعمية Macrophages) **وهي** نوع من الخلايا المناعية الأولية التي جرى الحديث عنها باسم Phagocytes وتحتوي على **الهستامين** الذي يعمل على توسيع الأوعية الدموية لاستقبال فصائل اللمفاويات والبروتينات التي ستقوم برفع درجة حرارة الوسط المصاب لخلق بيئة لا تناسب نمو وتكاثر الكائنات الدخيلة على الجسم ، هذا إلى جانب مواد أخرى تساعد على أن تبدأ الخلايا البلعمية نشاطها ثم توقف هذا النشاط حال اكتماله .

مثل هذه الأنشطة تحقق لجهاز المناعة مرونة عالية خلال صراعه مع أية ميكروبات تنتشر داخل العالم اللامنظور في جسم الحيوان أو الإنسان .

ويستطيع العلماء قياس كفاءة جهاز المناعة تبعاً لسرعة استجابة اللمفاويات للأجسام الغريبة، ويلجأ العلماء لاستزراع هذه الخلايا داخل صحن اختبار ومواجهتها بمواد تسمى (Mitogens) تقلد عمل الميكروبات الدقيقة وتستحث اللمفاويات المستزرعة على التكاثر والانقسام، وبقدر السرعة والزيادة في العدد تكون قوة جهاز المناعة Immune System رغم تحفظ العلماء عن الأخذ بهذا الحكم الذي يحصر قدرة جهاز المناعة الواسع المهام داخل صحن اختبار وهو الجهاز ذو الإمكانات الهائلة الذي يحافظ على سلامة الجسم حتى في حالة توقف انقسام الكريات البيضاء .

جسور أخرى

الدماغ آلة العقل ، وعن العقل يصدر الشعور الذي هو شعور شيء ما كالخوف أو الحزن أو



المسرة ، ولكي يصل العقل إلى الجسم لابد له من جسور أولها **الغدة الإدرينالية** وتفرز مجموعة من **الهرمونات** تسمى Corticosteroids ويتم إفرازها مباشرة في تيار الدم كاستجابة لحالات الخطر أو المنبهات الحادة كالقلق أو الغضب حيث يقوم **الهيبوتلاموس (المهاد)** ـ وهو جزء من الدماغ ـ بتوجيه رسائل **كيماوية** للغدة الإدرينالية لحثها على إفراز الهرمونات المذكورة فتعمل على تخفيف التوتر أو التهيج في الأنسجة المصابة ، وتمد الجسم بالطاقة في لحظة وجيزة فيتكيف مع الموقف الطارئ الذي يصادف الكائن الحي ويطلق أحياناً على هذه الهرمونات (**هرمونات الغضب**) وتقوم هذه الهرمونات بخفض إنتاج الأجسام المضادة وتقلل من حجم العقد اللمفاوية التي تنتج اللمفاويات ، كما تقلل عدد ونشاط هذه اللمفاويات المنتشرة في تيار الدم ، وإن ارتفاع مستوى هذه الهرمونات يضعف من قدرة الخلايا المناعية على مقاومة المرض .

وكشفت دراسة طبية في **نيويورك** بأن **التوتر النفسي يقلل من استجابة اللمفاويات في الفئران حتى بعد إزالة الغدة الإدرينالية وبالتالي فليست هي الجسر الوحيد الذي يربط الحالة النفسية بجهاز المناعة** . فالمعاناة النفسية قادرة على إحداث تغيرات في معدلات الهرمونات العديدة في الجسم كالموصلات العصبية وهرمونات التأقلم بما فيها **هرمونات النمو والأنسولين والهرمون النخامي ، وهرمون الذكورة ، والبرولاكتين ، والإنكفالين** ، ولكافة هذه الهرمونات تأثير على جهاز المناعة ، وأكثر من هذا توجد مستقبلات Receptors على سطوح الخلايا المناعية تستطيع بواسطتها التعرف على أنواع الهرمونات ، والرسائل التي تحملها ، فعندما تلتصق آثارها **الكيماوية** بالمستقبلات تتم سلسلة من الإجراءات تعدل من استجابة خلايا المناعة مما يؤكد وبشكل حاسم تأثر المناعة الجسمية بالأحوال النفسية عبر هذه الرسائل التي تعنيها الهرمونات .

وإضافة إلى ما ورد فإن التوترات النفسية تدفع الجسم لإفراز مواد كيماوية أخرى تسمى (النيروبيتايدس) ومنها الاندروفين الذي يخفف من الألم وتبعث شعوراً بالارتياح ويطلق عليه « **مورفين الجسم** » ، وهو يصدر عن الدماغ ويكون جسراً مباشراً يؤثر الفكر من خلاله في جهاز المناعة لاسيما النوع المسمى Beta sensorphine الذي يحبط نشاط اللمفاويات . وقد اكتشف **مشيل رف من جامعة ميرلاند** أن لهذه النيروبيتايدس دوراً متنوعاً وفعالاً حين تتفاعل مع جهاز المناعة فهي تشد نوعاً من **الكريات البيضاء** Macrophages إلى مكان الجرح أو النسيج المصاب حيث تشرع هذه الكريات المقاتلة في التهام البكتيريا أو الأجسام الغريبة بجانب تنشيط خلايا مناعية أخرى فتعود الخلايا المناعية لإفراز النيروبيتايد وهو الذي سبق أن شُدت إليه في أول الأمر مما دفع الباحثين إلى الاعتقاد بأن الخلايا المقاتلة هذه تقوم بدور الخلايا العصبية المتجولة ذات القدرة على الاتصال بالدماغ في أية لحظة .

ويؤثر الدماغ كذلك من خلال الخلايا العصبية التي تنتشر في مكونات جهاز المناعة كالغدة التيموسية والطحال والعقد اللمفاوية ونخاع العظام وتربطها مع الجهاز العصبي المركزي .

والسؤال الآن : **ماالذي يجعل القلق النفسي عنصر كف أو إحباط للجهاز المناعي ؟**

إحدى الإجابات ترد الأمر إلى حين كان الإنسان في الغابة عرضة لأنياب نمر مفترس على سبيل المثال ومن الأفضل له في تلك اللحظة من وجهة حياتية أن يوقف جهازه المناعي لفترة قصيرة ، وهو أمر يساعد على حماية أنسجة الجسم السليمة من فتك الجهاز المناعي بها والتهامها إلى أن ينجلي الخطر المحدق وهو (النمر) ويبدأ الالتهاب في الظهور عندها يعاود جهاز المناعة ممارسة مهماته بفعالية أشد وأقوى في محاربة الميكروبات التي تسربت إلى الجسم .

أما قلق الإنسان العصري ، وإن كان لا يتضمن تهديداً حياتياً إلا ما ندر ـ فإنه قلق طويل الأمد ملتصق بحياتنا ، الأمر الذي يضعف جهازنا المناعي لفترة طويلة أيضاً ، ويجعلنا أكثر عرضة للإصابة بالالتهابات والأورام الخبيثة .

ثلاث قضايا .. تحت البحث

من هنا نجد أن الباحثين منهمكون في ثلاث قضايا جوهرية ذات بعد علمي واجتماعي :

- **أولاها** : ماذا يمكن أن نقدم للناس في حالة فشل جهازهم المناعي ؟
- **وثانيتها** : هل يمكن للتوجيه والإعداد النفسي أن يقفا على قدم المساواة مع العلاج البدني في التعامل مع المريض ؟
- **وثالثتها** : هل لجهاز المناعة نفس التأثير والفاعلية المتبادلة على الدماغ وعلى الفكر بعدما تبين من بعض التجارب أنه يغير من كهربائية الدماغ ويعمل على إفراز مواد **كيماوية** شبيهة بالأندروفينات ؟

وهل لجهاز المناعة علاقة بالأمراض العقلية لاسيما عندما تهاجم أجسامه المضادة الخلايا العصبية نفسها ، خاصة بعدما تردد في بعض الأوساط العلمية أن له دوراً في **مرض الشيزوفرينيا ؟**

وأخيراً ما الفوائد المرتجاة لسلامة أجسامنا من خلال النظرة الإيجابية تجاه الحياة وخطوبها ومن خلال الأمل والحب والفضيلة ؟

تدخين اللفائف.. المشكلة والحل

بقلم: د. عبد المنعم شحاته محمود



يعدّ التدخين مشكلة صحية واقتصادية وتربوية بالغة الخطورة ، على المستوى العربي أو الدولي . فتدخين اللفائف مشكلة صحية لأن :

(١) البحوث الطبية الحديثة تؤكد وجود علاقة قوية جداً بين تدخين **اللفائف** وبين أمراض يصعب علاجها **كالسرطان وأمراض القلب** .... الخ ، والتي تتصدر قائمة الأمراض المسببة للوفاة . وتأتي هذه العلاقة نتيجة تدخين أقل عدد من **اللفائف ،** حيث هناك أضرار صحية ـ **كالتهابات البلعوم واللثة والعين والغشاء المخاطي للأنف** .. الخ ، تترتب على **تدخين دخينتين فقط**[١] . .

(٢) تكشف البحوث عن علاقة بين تدخين **اللفائف** وبين تعاطي أنواع أخرى من المخدرات ، فمقابل ٩١,٦٪ من متعاطي **الحشيش** المزمنين يدخنون السجائر نجد ٣٢,٤٪ من المناظرين لهم من غير المتعاطين يدخنون[٢] ، وفي مقابل ٥٠٪ من المدخنين من بين طلاب المدارس الثانوية بأنواعها (عامة ، فنية ، ومعلمين) بالقاهرة الكبرى يتعاطون الحشيش ، نجد ٦٪ فقط من غير المدخنين المناظرين لهم يتعاطون الحشيش ، كما يتعاطى ٧١٪ من هؤلاء **الطلاب المدخنين الجعة (البيرة) ، في مقابل ٢٠٪ من الطلاب غير المدخنين يتعاطون الجعة**[٣] **. مما** يشير إلى تزايد تعاطي المخدرات بتزايد معدلات التدخين ، حيث **يعد التدخين بوابة تعاطي المخدرات** .. وغني عن التعريف الأضرار الصحية الخطيرة المترتبة على تعاطي تلك المخدرات .

(٣) النقطة الهامة هي أن التدخين يعد أحد أنماط الاعتماد على المخدرات إذ تتوافر فيه شروط الاعتماد على المخدرات التي أوضحتها منظمة الصحة العالمية عام ١٩٨٠م[٤] وهذه الشروط هي :

أ ـ وعي ذاتي برغبة مندفعة للتعاطي (فأغلب المدخنين يدخنون بدافع قهري) .

ب ـ رغبة في الامتناع عن التعاطي (فأكثر من ٩٠٪ يبدون الرغبة في الامتناع عن التدخين) .

ج ـ مؤشر لتكيف عصبي ، حيث يتم التعاطي بهدف تجنب أعراض مؤلمة **(الصداع ، التوتر ، عدم القدرة على التركيز** ....الخ ، في حالة التدخين) .

د ـ يحظى التعاطي بأولوية تفوق أولوية ضروب سلوك أخرى ضرورية للحياة (فالمدخن **يعطي الحصول على اللفائف أهمية تفوق أهمية** حصوله على أي شيء آخر مهما كان ضرورياً له) .

مشكلة اقتصادية

ويعد التدخين مشكلة اقتصادية ، حيث أن العناية الطبية بالاضرار الصحية المترتبة **عليه تكلف في العام الواحد «كندا»** حوالي ١,٥ بليون دولار ، **والولايات المتحدة** حوالي ٢٧ بليون دولار ، بالاضافة الى فقدان ٨١ مليون يوم عمل كل عام[٥] وتكلف **«مصر»** حوالي ١١٣ مليون جنيه بالاضافة إلى ٥٢,٥ مليون جنيه نتيجة الموت المبكِّر الناتج عن أمراض تسبب فيها التدخين ، ٥,٥ مليون جنيه نتيجة التغيب عن العمل بسبب هذه الأمراض[٦] .

وهناك تقديرات بأن التدخين يستهلك اكثر من ١٥٪ من دخل الأسرة المصرية .

مشكلة تربوية

كما يعد التدخين مشكلة تربوية ، حيث تكشف البحوث عن دور مهم لتدخين أحد أفراد الأسرة ـ خصوصاً الأب ـ في تهيئة الطفل لبدء التدخين . **فالأب المدخن يساعد أطفاله على التكيف الحسي مع خصائص الدخينات بحيث لا تؤذيهم كثيراً محاولاتهم الأولى لبدء التدخين** ، كما يجعلهم يتوقعون تأنيباً أقل من الأباء إذا اكتشفت هذه المحاولات ، بالإضافة إلى مساهمة تدخين الأب في تكوين صورة إيجابية عن المدخن ، وتكوين اتجاهات محبذة للتدخين تشجع على البدء فيه[٧] .

الحلول

هذه بعض جوانب مشكلة التدخين التي تكشف عن درجة مرتفعة من الخطورة تدفع **إلى تكريس الجهود لمكافحته ، وتدعو إلى** التفكير في تحديد أنسب الوسائل لهذه المكافحة ، **ولعل المسلمة التي تقول «الوقاية خير من العلاج» تبدو أكثر ملاءمة لمشكلة التدخين ، حيث تكشف البحوث عن صعوبة في** الامتناع عن التدخين بعد البدء فيه ، فحالة واحدة فقط تنجح من بين كل أربع حالات توقف عن التدخين ، حتى لو تم هذا التوقف بمساعدة البرامج المتخصصة المعدة خصيصاً لمساعدة المدخنين على الامتناع فنسب نجاح هذه البرامج لا تتجاوز ٢٠٪[٨] ، وهو ما يبرز أهمية التوجه نحو **النشء** لوقايتهم من بدء التدخين ، حيث

يمثِّل السن ما بين ١٦ ـ ١٩ سنة فترة التهيؤ للتدخين وتجريبه ، **إذ تكشف البحوث عن أن ٣٠ ٪ تقريباً من الطلاب المصريين يبدؤون التدخين ما بين سن ١٦ و١٨ سنة[٩] وبالتالي يمكن إنقاذ هذه النسبة بتوجيه برامج الوقاية من بدء التدخين إلى طلاب الصف الأول الثانوي ـ أو ما يناظره ـ الذين تكون أعمارهم في العادة ما بين ١٥ و١٦ سنة .**

وحجر الزاوية في برامج الوقاية من بدء التدخين هو تغيير الاتجاهات (أي المعتقدات والتصورات ومدى التفضيل) المحبذة للتدخين بأخرى غير محبذه له ، حيث توضح البحوث أن **الاتجاه نحو التدخين محدد مهم ودافع قوي لبدء التدخين واستمراره وتبريره[١٠] .**

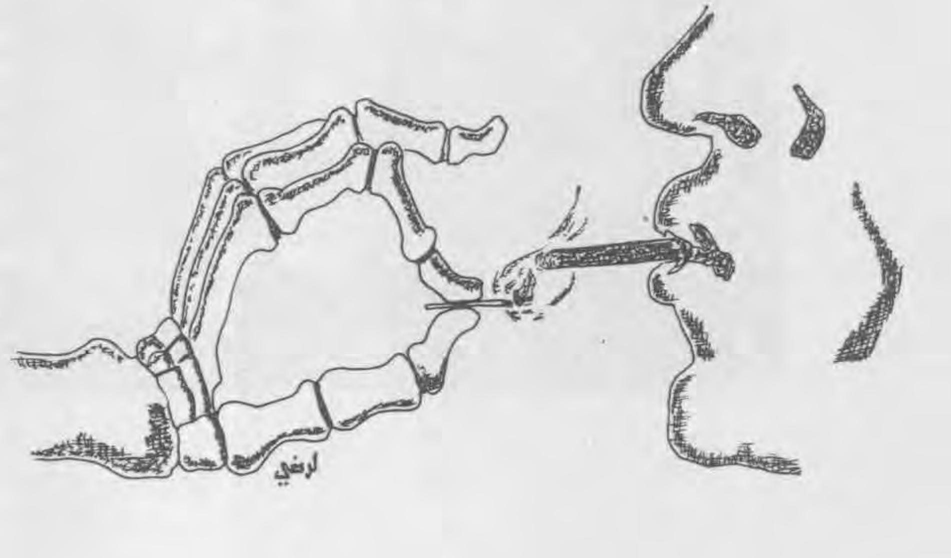
الموقف الديني

وأهم عناصر الاتجاه نحو التدخين هو الاعتقاد بأن الدين لم يحرم التدخين[١١] . إذ يعد الدين الإطار المرجعي الذي يحتكم إليه الناس ، على أساس أن تقويم موضوع أو فعل ما ، أو تحديد مشروعية الإقدام عليه أو الإحجام عنه ، تتم في إطار التقويم الديني ، أي الحكم بأنه حلال أو حرام ، فعلى سبيل المثال ، هناك أدلة على أن عدم معرفة الأفراد بحكم الدين في تعاطي الحشيش ، أو اعتقادهم بأنه ليس حراماً ، يسر تعاطيهم له ، ففي مقابل ١٢,٣٪ من المتعاطين للحشيش ، نجد ٣٥,٨٪ من غير المتعاطين المناظرين لهم يرون أن تعاطي الحشيش حرام[١٢] ، كما أنه في مقابل ٧,٨٪ من غير المدخنين ، يؤكد ٣٣,٣٣٪ من المدخنين من بين طلاب الصف الثالث الثانوي العام أن الدين لم يحرم تدخين السجائر[١] .

وتتضح أهمية معرفة الفرد بالحكم الفقهي للتدخين حينما نجد أن ٧٦٪ من غير المدخنين **الذين ذكروا أن التدخين حلال قد ذكروا أنهم سيدخنون إذا أتيحت لهم الفرصة ، بينما ذكر ٤٧ ٪ من غير المدخنين الذين لم يستطيعوا تحديد ما إذا كان التدخين حلالاً أو حراماً ، أنهم سيمتنعون عن التدخين لأنه ضار بالصحة ، في حين أكد كل من ذكر أن التدخين حرام بأنهم لم يدخنوا مطلقاً[١٤] .**

كما تتضح أهمية معرفة الفرد بالحكم الفقهي للتدخين حينما نجد أن هذه المعرفة تحدث تغييراً في الاتجاه المحبذ للتدخين أكثر مما يحدثه ذكر الأضرار الصحية أو الخسائر الاقتصادية **المترتبة عليه ، فنسبة تغيير الاتجاه نحو التدخين نتيجة معرفة الحكم الفقهي كانت ٥٢,١ ٪ ، بينما كانت ١٨,٥ ٪ نتيجة معرفة أضراره الصحية ، ١١,٨ ٪ نتيجة معرفة الخسائر الاقتصادية المترتبة عليه .**

مما سبق تبين لنا أن التدخين مشكلة شديدة الخطورة وأن أفضل عائد لمكافحتها هو بالتركيز على النشء ، والحيلولة بينهم وبين تجريب تدخين أية دخينة ، مجرد دخينة واحدة ، وأن الاستناد إلى تعريف الناس بحكم الدين في التدخين مفيد جداً في نجاح محاولات مكافحته .



الهوامش

(١) يعرض COX وزملاؤه في كتابهم Drugs and drugs abuse: a referencetext (الذي نشره : مركز بحوث الادمان في «تورنتو» سنة ١٩٨٣م) . **الأضرار الصحية القصيرة والطويلة المدى المترتبة على** تدخين **دخينتين** فقط وكذلك الأضرار المترتبة على التدخين بكثرة (انظر : ص١٧٣ ـ ص٣٨٥) .

(2) Soueif. M., et al (1980) The Egyptian Study of chronic Cannabis Consumers. P. 80.

وهو من منشورات «المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية» بالقاهرة .

(٣) دكتور : زين العابدين درويش (١٩٨٣م) تدخين السجائر بين طلاب الثانوي العام والفني ودور المعلمين . بحث غير منشور قرىء في «المؤتمر الدولي الثامن للاحصاء والحسابات العلمية والبحوث الاجتماعية» جامعة المنيا ، ١ ـ ٣ ابريل .

(4) WHO (1980) International Programe on the Diagnosis and classification of Mental Disorder. Subgroup 4: Alcohol 9 Drugs problems. Washington. 25-29th Agust.

(٥) cox, et al (1983) : مصدر سابق .

(٦) من حديث للدكتور شريف عمر إلى صحيفة الاهرام القاهرية بتاريخ ١٨/٨/١٩٨٧م .

(7) Eiser. J.R. 9 Vander Pligh. J. (1984) Attitudional and Social Factors in Adolescent smoking. Journol of Applied Social psychology. 14: 348-363.

(8) Kamarek. T. 9 lichtenstein. E. (1985) Current Trends in Clinic - Based smoking control. Annual Behavioral Medicine. 7: 19-23.

(٩) الدكتور مصطفى سويف واخرون (١٩٨٧م) المخدرات والشباب في مصر (انظر ص٢٤ ، ص٤٦ ، ص٧١) وهو من منشورات «المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية» بالقاهرة .

(١٠) أقرأ عرضاً لهذه البحوث قدمه : عبدالمنعم شحاته محمود (١٩٨٨م) تغيير الاتجاه نحو التدخين : دراسة تجريبية (رسالة دكتوراة) غير منشورة ، كلية الآداب ـ جامعة القاهرة .

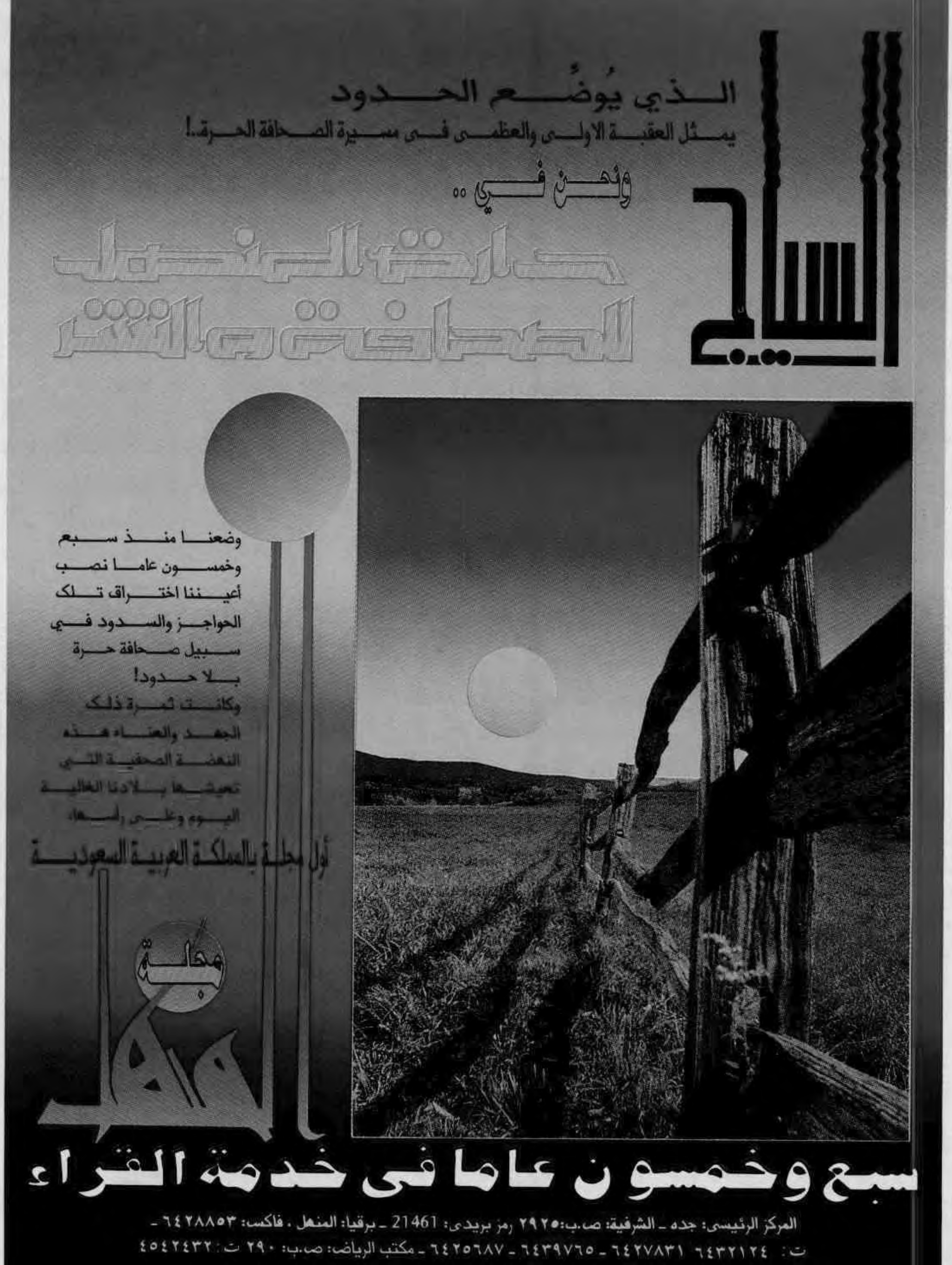
(١١) يعد التدخين حراماً ، لأن النيكوتين» ـ كما ذكر العلماء ـ يحدث فتوراً في العضلات ، كما تصنفه منظمة الصحة العالمية بين المواد المؤثرة في الأعصاب كالحشيش والخمور... الخ ، وقد نهى الرسول الكريم ﷺ عن تناول كل ما هو مسكر ومفتر ، كما أن القرآن الكريم قد نص على أن الحلال من الطعام والشراب هو الطيب ، بينما الحرام منهما هو الخبيث (اقرأ الآيات : ٤ ، ٥ ، ٨٨ من سورة المائدة ، و١٥٧ من سورة الاعراف ، و١٧٢ من سورة البقرة ، و١١٤ من سورة النحل) ولا يخفى على أحد أن السجائر من الخبائث لأنها تحدث أضراراً بكل أجهزة الجسم دون استثناء ، ولا يقتصر ضررها على المدخن فقط بل يمتد إلى من يجالسه ، ويعد **التدخين حراماً بالقياس إلى كثير من الأمور التي يتم تحريمها** لثبوت الضرر المترتب عليها .

(١٢) Soueif. M., etal. (1980) : مصدر سابق ، ص ٤٠ .

(١٣) دكتورة هند سيد طه (١٩٨٤م) بعض المتغيرات النفسية والاجتماعية المرتبطة بتدخين السجائر لدى طلاب الثانوي العام .. رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ، ص ٩٨ .

(١٤) عبدالمنعم شحاته محمود (١٩٨٨م) : مصدر سابق ، ص ٨٤ .

(15) Omer. S. et al. (1984) Prevention of The Smoking Epidemic in A Developing Country - Edypt. Armmed Forces Medical Journal. XXVII: 136-146.

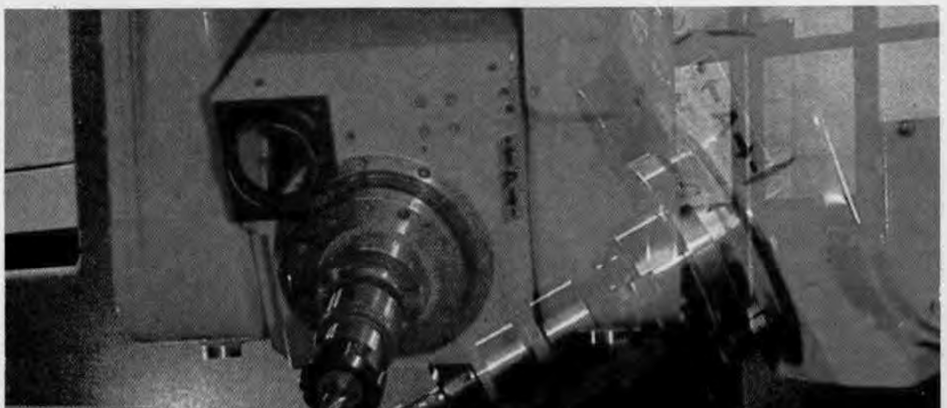

السياج
الذي يُوضَع الحدود
يمثل العقبة الاولى والعظمى فى مسيرة الصحافة الحرة..!
ونحن في..
دار المنهل
للصحافة والنشر
وضعنا منذ سبع
وخمسون عاما نصب
أعيننا اختراق تلك
الحواجز والسدود في
سبيل صحافة حرة
بلا حدود!
وكانت ثمرة ذلك
الجهد والعناء هذه
النهضة الصحفية التي
تعيشها بلادنا الغالية
اليوم وعلى رأسها
أول مجلة بالمملكة العربية السعودية
مجلة المنهل
سبع وخمسو ن عاما فى خدمة القراء
المركز الرئيسى: جده ـ الشرفية: ص.ب:٢٩٢٥ رمز بريدى: 21461 ـ برقيا: المنهل . فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ـ
ت: ٦٤٣٢١٢٤ ٦٤٢٧٨٣١ ـ ٦٤٣٩٧٦٥ ـ ٦٤٢٥٦٨٧ ـ مكتب الرياض: ص.ب: ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

مصانع دون عمال بمخاطر أقل

بقلم المهندس: حسن الشامي

للتقنية (التكنولوجيا) الحديثة تطبيقات عديدة تغلغلت بها في جميع مجالات الحياة. فخروج الإنسان من الأرض.. وسباحته في الفضاء.. وصوله إلى القمر.. وإطلاقه سفناً للكواكب البعيدة.. وإدارته لعدد من محطات الفضاء والأقمار الصناعية.. وتوجيه سفن إصلاح الأقمار الصناعية في الفضاء البعيد بأجهزة التحكم عن البُعد الموجودة على الأرض.. كل ذلك يُعزى إلى الاستفادة من تكنولوجيا العصر وتطبيقاتها المختلفة خصوصاً الحواسيب (Copouters) والأطراف الصناعية (Industrial Robots) التي تستخدم الآن على نطاق واسع في اليابان والولايات المتحدة وأوروبا، وأصبحت يطلق عليها الآن (مصانع المستقبل).. فهي مصانع تعمل بدون عمال تقريباً.. هدفها إنتاج أعلى.. وتحكم أفضل.. ومكننة أكثر.. ومخاطر أقل !!

ولقد ساعد على انتشار الأطراف الصناعية على نطاق واسع، التقدم في صناعة **الحاسبات الألكترونية** واستخدامها في التصميمات الصناعية والهندسية وخصوصاً **(الآلات الذكية)** التي تعتمد على **نظرية تسمى: (الذكاء الصناعي)**، وهذه الحاسبات لا تقوم بتنفيذ ما يوكل إليها من أعمال فقط، بل تتعدى ذلك إلى فهم ما يتم تنفيذه، وابتكار حلول جديدة لمشكلات يُتَوقَّع حدوثها.. **والجديد الآن.. حاسوب الكتروني يعمل بصوت الإنسان ويترجم الكلمات المنطوقة إلى أوامر يقوم بتنفيذها بالسرعة والدقة المطلوبتين ويستخدم أثناء إجراء التجارب العملية في معامل البحوث.**



إحدى مميزات هذا (الروبوت) الصناعي هي الرأس اللولبي. لذلك يكثر استخدامه في صناعة الطائرات.

ثورة الألكترونيات

وكما كان **اكتشاف البخار، واختراع الآلة البخارية في القرن الثامن عشر أساساً للثورة الصناعية الأولى، فإن اختراع واستخدام الحاسبات الدقيقة (Microprocessors) يمثل الثورة الصناعية الثانية.**

وتمتاز هذه الوحدات بأنها مصنوعة على هيئة شظية صغيرة جداً (chip) من بلّورات السيلكون (Silicon) لا يزيد حجمُها عن (قلامة ظفر) وبينما **يصنع الحاسوب الألكتروني (Computer)** من العديد من الأجزاء المنفصلة (Components) - صمامات مفرغة أو دوائر شبه الموصلات أو الترانسيستور - تصل بينها مجموعة من الدوائر الكهربائية المعقدة، نجد في وحدات التشغيل الدقيقة كل الدوائر والموصِّلات وجميع عناصر

معالجة البيانات مدمجة مباشرة على دعائم من **السليكون** لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة تسمى **الدوائر المتكاملة (Integrated Circuits)** ، يمكن لها أن تتعامل مع البيانات وتنفذ التعليمات بدقة وسرعة مثل أي حاسوب الكتروني كبير .

ومنذ بدأ الإعلان عن قيام مصنع دون عمال ، وإدارته آلياً بواسطة الحاسب الالكتروني والأطراف الصناعية ، ظل العاملون في الصناعة على قدر من الحذر من هذا الموضوع ، حيث لا يريدون أن يخاطروا برؤية مصانعهم في حالة شلل تام إذا ما حدث خلل فجائي ، إلا أنه وعلى العكس من ذلك ـ فإن وحدات التشغيل الدقيقة تسمح بالتسيير الآلي للإنتاج . والآن فإن وحدات التشغيل الدقيقة تغزو المجال الصناعي على نطاق واسع .

طفرة كبيرة

والأطراف الصناعية تمثل طفرة (boost) كبيرة بكل المقاييس ، فرغم أن المصانع التي تعمل بدون بشر (Un-manned) ليست حديثة العهد في الصناعة على مستوى العالم ، إلا أن الخبرة المكتسبة في هذا المجال تنمو بسرعة مذهلة .

كما أن صانعي العدد والأدوات وموردي الماكينات ، في **اليابان والولايات المتحدة وأوروبا** ، مازالوا يسعون للاحقة الجديد في هذه **التكنولوجيا . حيث توجد المصانع الممكننة بالكامل والتي تستفيد من تكنولوجيا الأطراف** الصناعية في كافة مراحل التصنيع والتشغيل والمناولة والنقل الأتوماتيكي من عنابر الإنتاج إلى المخازن ، وبعد ذلك إلى العملاء .. وذلك بهدف توفير الوقت والجهد ، والتغلب على مخاطر الظروف البيئية السيئة في المصانع .(١)

محاذير شتى

والأطراف الصناعية **(الروبوت)** ، أصبحت حالياً جزءاً لا يتجزأ من الثورة الصناعية التي **تهدف إلى المكننة الكاملة للمصانع ولا يُتَصور حدوث هذه المكننة الكاملة دون الاعتماد على** الأطراف الصناعية .

إن استخدام الأطراف الصناعية على نطاق واسع في الصناعة يضع أمامنا محاذير شتى من ناحية نظم الأمان في هذا الاستخدام ، حيث تتحرك الأطراف الصناعية في كافة الاتجاهات وعلى مختلف المحاور والمستويات . وهذه المحاذير

مصانع دون عمال بمخاطر أقل

تتعلق بنظم التحكم ، ونظم البرمجة ، ونظم الصيانة ، وطرق التشغيل وأخيراً محاذير تتعلق بالمتطلبات القانونية في الاستخدام (legal requirements) .(٢)

قدرات عجيبة

للأطراف الصناعية قدرات عجيبة حيث إنها تتحرك في أربعة محاور رئيسية هي المحور الرأسي ، والمحور الأفقي ، والدائري ، إلى جانب استخدام **الذراع الماسك الدوار (gripper-rotate)** الذي يدور في اتجاهات عديدة .(٣)

إن الميزة الكبرى لاستخدام الأطراف الصناعية تكمن في قدرتها على التعامل مع ظروف صناعية صعبة وسيئة للغاية ، وفي درجات حرارة عالية جداً ، وتحت ضغوط صناعية كبيرة .(٤)

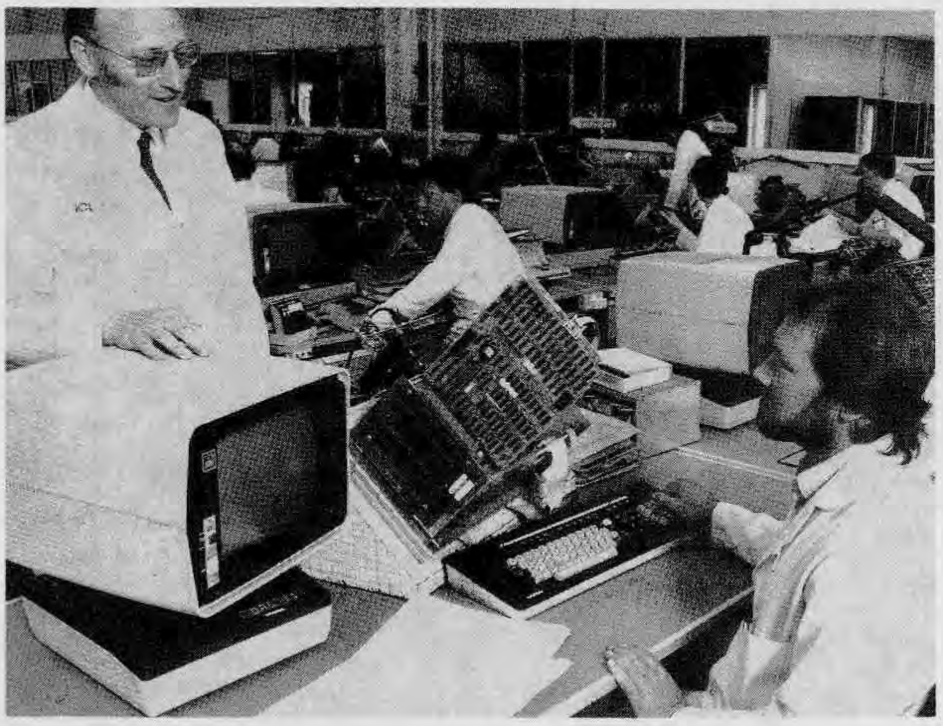
كما أن تطوير نظام المكننة الكاملة لخطوط الانتاج يعتمد أساساً على اختصار طول البرنامج ، مع أداء نفس المهمة ، وتقليل زمن التشغيل .. **كذلك قدرة البرنامج على التلاؤم** والتغير السريع طبقاً لمقتضيات وظروف دورة الانتاج والتشغيل .(٥)

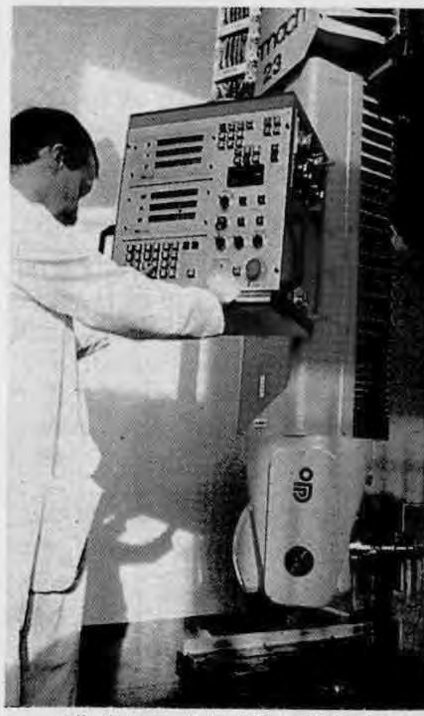
وفي ظل تكنولوجيا الأطراف الصناعية يمكن إنشاء مصنع كامل يعمل دون بشر ، ومزود بعدد كبير من المعدات والآلات ، منها آلات القطع الحادة ذات السرعات عالية ، ومكابس يتم التحكم فيها بواسطة الحاسب الالكتروني ، وأطراف صناعية **(روبوت)** ، وتخزين المواد الخام باستخدام نظم نقل ومناولة حديثة تعتمد على سيور نقل آلية وسكك حديدية وغيرها ، وذلك لنقلها من عنابر الإنتاج بداخل المصنع إلى المخازن خارج أسوار المصنع . **وتتم برمجة الأطراف الصناعية لتشغيل عدة آلات في وقت واحد** .. فمن الممكن عمل برمجة لإنتاج آلات وعدد قطع وتشغيل المعادن ، موزعة على أكثر من مائة طراز مختلف ، وذلك باستخدام أنواع عديدة من الأطراف الصناعية في أعمال القطع واللحام وغيرها من الأغراض الصناعية اللازمة وذلك كله اعتماداً على تشغيل عدد قليل جداً من العمال .(٦)

الحلم أضحى حقيقة !

إن الزيادة الهائلة في الإنتاج تُعزى إلى نظام المكننة الكاملة للمصانع واستخدامها في أعمال الاختبار ، والتخزين ، والفرز ، والتكديس ، والتغليف للمنتجات المختلفة والاعتماد عليها في أعمال تحميل وإنزال الماكينات ، وإدخالها عنابر الانتاج آلياً ، وكذلك نظم تخزين المواد الخام **آليا وتتراوح زيادة كفاءة الانتاج** باستخدام هذه الطريقة بنسبة ١٠٠٪ إلى

إن التقدم في صناعة الحاسبات الالكترونية ، أدى إلى تقدم مماثل في صناعة الأطراف الصناعية !





المرونة والمتانة والدقة في هذا (الروبوت) الصناعي .

١٠٠٠٪ ، وذلك حسب نوعية المعدات المستخدمة ، كما **يقلل ذلك ما يوازي ٢٠٪ من التوالف** ، وقد تصل نسبة الفاقد في الانتاج إلى حوالي ٣٪ فقط ، وهي أقل نسبة ممكنة ، بل إنه يمكن إعادة فرز وتصنيف هذا الفاقد ونقله وتخزينه آلياً وإعادة استخدامه والاستفادة منه على أكمل وجه . إن تكنولوجيا الأطراف الصناعية **جعلت حلم المصانع الآلية حقيقة لا جدال فيها** !(٧)

وحالياً ، فإن مجموعة جديدة من نظم الميكنة والتصنيع متاحة من عدة شركات في العالم ، وهي تساعد رجال الصناعة لتحسين إنتاجيتهم . إن خطوط الانتاج المميكنة الجديدة تتكون من تشكيلة منوعة من الأطراف الصناعية والحاسبات الألكترونية والعدد والأدوات الحديثة .

وبينما يمكن بيع عدد من هذه الوحدات بمفردها ، فإن كثيراً من الشركات الصناعية تفضل استخدام خطوط انتاج مميكنة متكاملة ، تتميّز بالمرونة والقدرة على الملاءمة والتكيف مع ظروف التشغيل ، وتلبي الاحتياجات المتجددة للعملاء .(٨)

ما الــــروبـوت ؟

إن الروبوت آلة تقوم بعمل الإنسان ، وتستطيع أداء مهامه العضلية تحت أقسى الظروف البيئية (حرارة عالية وضغوط مرتفعة) **دونما عاطفة أو إحساس ، وتعمل بالاشعاعات أو الموجات الصوتية .**

ولقد ظهر علم **(الروبوت)** نتيجة **(للخيال العلمي ـ Science Ficition)** ، **حيث لم تعرف كلمة (الروبوت) إلا عندما أطلقها لأول مرة الأديب التشيكي (كاريل كابيك Karel Capek) عام ١٩٢١م في إحدى مسرحياته والمسماة (Rossum's Universal Robots)** ، **والتي مُثلت في باريس بفرنسا ... في هذه المسرحية كان العبيد يسمون (روبوتنيك ـ ROBOTNIC) من كلمة**



استخدام إنسان آلي للتنقيب عن البترول واستخراجه من أعماق المحيطات .

(روبوتا ROBOTA) ، **وهي كلمة تشيكية أو روسية تعني (العمل) أو (العبد) القائم بالعمل الشاق** . وفي السبعينات استطاع **(اسحاق اسيموف Isaac Asimov)** إرساء فكرة جديدة عن إمكان وجود **(روبوت مفيد Good Robot)** ، حيث شاع بعد ذلك استخدام هذه الكلمة (ROBOTICS) . **وتعتبر الساعة المائية التي اخترعها (تسيبيوس) بالأسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد ، أحد أنواع (الروبوت)** .

ولقد زاد اعتماد الإنسان على الآلة في إنجاز أعماله .. حيث بدأت تستأثر الآلة بمهام الإنسان العضلية ، وازداد الأمل في قدرة الآلة على تنفيذ مهام ذهنية ، وهوما يبشربه استخدام الروبوت . وتتعدد الأبحاث لتطوير الروبوت باستمرار ، **ففي اليابان انتشرت صناعة الروبوت الأكثر تعقيداً والمزود بعيون تليفزيونية ، وتعتمد على الذكاء الصناعي . وتتعدد أنواع الروبوت حالياً ، فهناك روبوت اتخاذ القرارات ، وروبوت للبحث العلمي والتجارب (مثل الروبوت الفار الذي سوف يحل محل الفأر التقليدي في مختبرات التجارب) . وأهم هذه الأنواع هو (الروبوت الصناعي)** .

الروبوت الصناعي

و (الروبوت الصناعي) حسب التعريف المعتمد من المنظمة المختصة بصناعة الأطراف الصناعية (Robotics Industries Association) كالآتي :

«الطرف الصناعي (الروبوت) هو آلة مبرمجة عديدة الوظائف مصممة لتحريك الخامات ، والأجزاء ، والأدوات ، والأجهزة ذات الطبيعة الخاصة ، من خلال تحركات مبرمجة ، متغيرة ، لتحقيق مهام متعددة» .(٩)

ويتشابه بناء (الروبوت الصناعي) مع أجزاء جسم الإنسان فهو يشتمل على :

(١) البناء الميكانيكي (فيما يشبه **الجسم**) .

(٢) المحرك الذي يحول الطاقة بأنواعها إلى حركة (فيما يشبه **القلب**) .

(٣) أجهزة لنقل الحركة (فيما يشبه **العضلات**) .

(٤) الحساسات (فيما يشبه **الحواس**) .

(٥) الحاسب الألكتروني (فيما يشبه **المخ**) .

مصانع دون عمال بمخاطر أقل

برمجة الروبوت

وتتم برمجة الروبوت من خلال مراعاة عدة عناصر هي : متطلبات البرمجة ، وحرفية البرمجة ، ثم لغات البرمجة للروبوت .

وللغات البرمجة ثلاثة أجيال حتى الآن :

●● **لغات الجيل الأول للبرمجة** : هدفها بذل مجهود أقل لتنفيذ المهام .

●● **لغات الجيل الثاني** : هدفها بذل مجهود أكبر للتغلب على المصاعب البيئية الخاصة (مثل الحرارة والضغط) .

●● **أما لغات الجيل الثالث فهي** : تعمل من خلال نظام مكننة متكاملة ، وتتميّز بتعدد الوظائف وتكاملها داخل النظام نفسه .

والمأمول في المستقبل هو أن يقوم **(الروبوت)** نفسه بتعديل البرنامج وفقاً لمقتضيات التشغيل المختلفة .

لغات قديمة أم لغات جديدة ؟!

★★ **وللغات الجيل الأول مشكلات وعيوب هي** : عدم القدرة على توصيف إجراءات العمليات الرياضية المعقدة ، وعدم القدرة على استخدام الحاسبات المعقدة ، والقدرة المحدودة على الاتصال مع حاسبات أخرى ، كما أنه ليس لها القدرة على التوسع المستقبلي ، ومن أمثلتها **لغة (VAL)** .

★★ **ولغات الجيل الثاني تمتاز بالآتي** : التحكم في الحركة ، واستخدام حساسات أكثر تعقيداً ، والقدرة على التواصل مع حاسبات أخرى ويعيبها الذكاء المحدود .. ومن أمثلتها **لغات : (AML, RAIL, MCL & VALII)** .

★★ **ولغات الجيل الثالث تمتاز بالآتي** : تشبه إلى حد كبير لغات الحاسبات الألكترونية ذات المستوى العالي ، ويمكن استخدامها في تنفيذ مهام **(الذكاء الصناعي)** .. ومن أمثلتها لغات (LAMA, AUTOPASS & RAPT) .

أي إن **اللغات الجديدة يمكن تعديلها** حسب الحاجة لتناسب مجالات الاستخدام الجديدة ، بينما **اللغات القديمة** تعد أكثر كمالاً ، وتخدم مجموعة مستفيدين ، ولها برامج تدعيم جاهزة .. **وأشهر لغات البرمجة من الجيل الثالث والتي تنتشر على نطاق تجاري** : (WAVE, VAL, TEACH, MCL & EMILY) .

نوعيات عديدة

وهنـاك نوعيـات عديـدة من الأطراف الصناعية تعمل في ظروف الحرارة العالية والضغوط الكبيرة ، والاهتزازات الشديدة ، كما يمكنها أن تنفذ عمليات انتاجية مختارة .. فمثلاً طورت نظم عمليات اللحام بالقوس الكهربائي اعتماداً على **الرؤية** (Vision) ، مما يجعلنا نقول إنه يرى (Seeing) مكان وصلة اللحام (Weld Joint) ، وكذلك اختيار جودة عمليات اللحام أثناء تنفيذ عملية التصنيع ذاتها .

ويمكن أن تصنف الأطراف الصناعية في النوعيات التالية :

(١) أطراف صناعية تقوم بأعمال المناولة والنقل الداخلي للأجزاء أثناء دوران الماكينات أو تطبيقات مشابهة مع معدات صناعية أخرى .

(٢) أطراف صناعية لتنفيذ العمليات الصناعية المتكررة ، وهذه الأطراف يمكن استخدامها لتنفيذ أعمال التحميل والتنزيل والنقل لمستلزمات الإنتاج في الخطوط الإنتاجية المكننة بالكامل ، **وتطبيقات أخرى متصلة** بعمليات السباكة الآلية ، وماكينات اسطمبات الحقن ، وأعمال الحدادة .

(٣) أطراف صناعية لعمليات البرمجة الأتوماتيكية المرنة ، وتستخدم في التحميل والتنزيل لعمليات قطع المعادن وأدوات التشكيل لها .

(٤) أطراف صناعية لعمليات التجميع تعطي إمكانات واسعة ومرنة في خطوط التجميع والاختبار لدورة انتاج الأجزاء المختلفة .

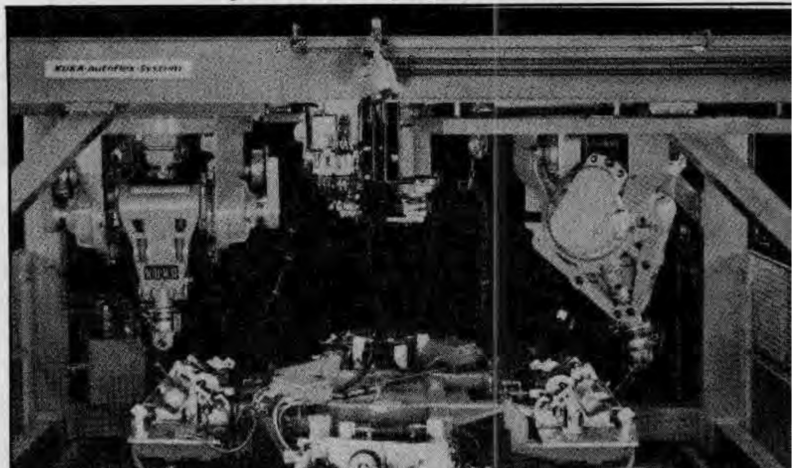
(٥) أطراف صناعية تعمل في مجالات الثقب الخاصة (مثل المثقاب المكوكي) ، وفي هذه الحالة يتم تشغيل الأطراف الصناعية بواسطة **نظام تحكم هيدروليكي** حيث يستخدم الماسك الدّوار في عمليات الثقب المختلفة ، كما يتم نقل الأجزاء بواسطة سيور نقل كهربائية ، وعند الانتهاء من تصنيع الأجزاء يتم تفريغها على سيور تنقلها حيث تتم اختبارات الجودة على المنتج النهائي .

(٦) أطراف صناعية مختلفة لعمليات اللحام والثني والتخريم ونقل الأجزاء ، ويمكن لها أن تعمل منفصلة أو كأجزاء في خطوط انتاج متكاملة .[11]

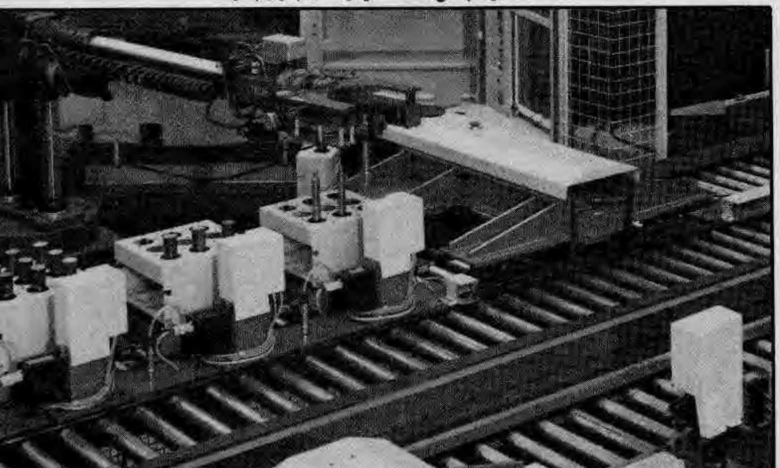
وهذه النوعيات المختلفة من الأطراف الصناعية لها تطبيقات عديدة ومنوعة في مجالات الصناعة المختلفة .

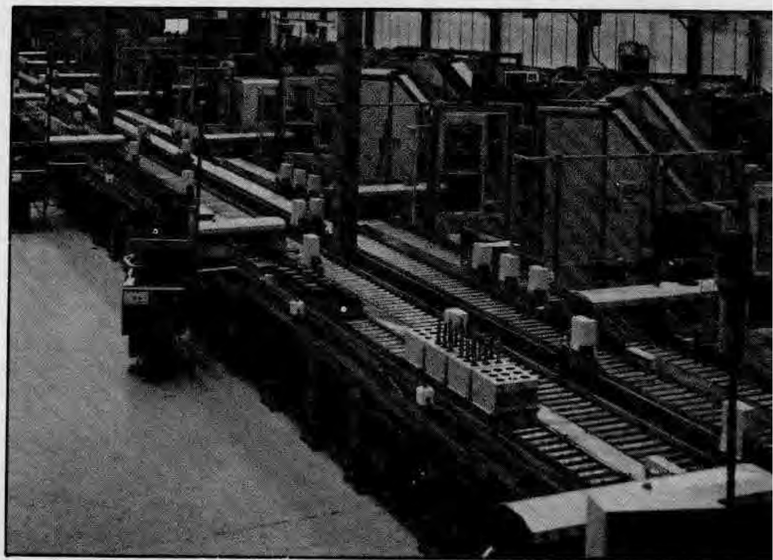
●● **أولاً : اكتشاف واستخراج البترول** :

الأطراف الصناعية تجدها في كل مكان داخل المصنع !

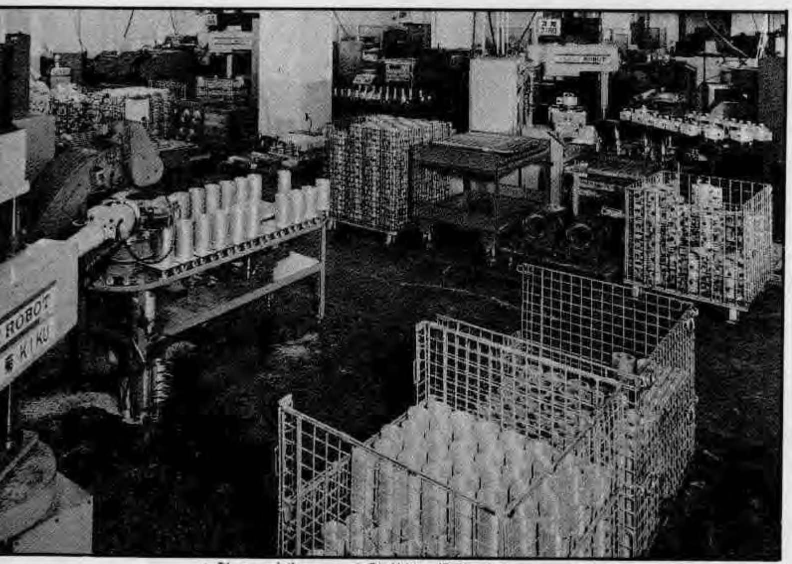


خطوط إنتاج مكننة اليا وتعمل بدون بشر !





مصانع المستقبل .. إنتاجية أعلى .. مخاطر أقل !



عمليات النقل والمناولة أصبحت أكثر سهولة !

يرمي العلماء حالياً إلى تطوير انظم آلية يمكنها القيام بأعمال اكتشاف البترول واستخراجه دون تدخل الإنسان . ومن مهام هذه الأجهزة الجديدة قدرتها على **إعطاء صورة واضحة للمواقع التي يحتمل وجود بترول فيها بدقة بالغة ونفقات أقل من تكاليف المجسات والأجهزة الخاصة بالتنقيب عن البترول دون الحاجة إلى تعريض حياة العمال للمخاطر** ، خاصة الغطاسين الذين يضطرون للقيام بإصلاح الأجهزة الموجودة تحت سطح الماء ، حيث إن هذه الأجهزة ستقوم بالإشراف على انتاج حقول البترول تحت سطح البحر بصفة خاصة .

كما تهدف الأبحاث إلى تطوير وحدات روبوت متميّزة تتمتع بالاكتفاء الذاتي لقياس وضخ البترول والغازات الذي يصل ارتفاعه لدى ضخه إلى ثلاثين ميلاً من أقرب رصيد بترولي ، كما تكون هذه الوحدات قادرة بدرجة كبيرة على الصمود أمام الضغوط الهائلة ودرجات الحرارة العالية .

كما يشمل هذا النظام أجهزة آلية للصيانة مجهزة بعجلات تعمل بنظام التحكم عن بُعد ، ومزودة أيضاً بآلات حديثة لإصلاح قطع الغيار والأجهزة الأخرى تحت سطح البحر ، وتكون **أجهزة (الروبوت) متصلة بسفينة بواسطة كَبْل غير مرئي** .

ويعتمد هذا الروبوت في الحصول على المعلومات اللازمة على صور تليفزيونية مزدوجة الأبعاد ، تقوم ببثها على شاشة تابعة لغرفة التحكم عن بُعد موجودة فوق سطح الأرض .

ويأمل العلماء ان يؤدي تطوير أجهزة الروبوت هذه إلى اكتشاف آبار للبترول في مناطق العالم التي لم تكن معروفة من قبل ، وعلى أعماق سحيقة تحت سطح المحيطات وفي المياه المتجمدة .

●● **ثانياً : صناعة الطائرات** : وفي هذه الصناعة احتفظوا للروبوت الصناعي بقدرة الذراع المزودة بخمسة محاور للدوران ، والقادرة على العمل الشاق ، والمشكلة التي كانت تواجههم هي ما الذي يجمع مرونة الروبوت وليونته إلى قساوة الروبوت الصناعي وقوته ودقته ؟!

لقد كان الإنجاز مدهشاً ، فالبنية الأساسية مركبة من ثلاثة محاور ومزودة برأس مزدوج الدوران وفائق السرعة .

لم يعد الأمر عائداً إلى وظيفة تكميلية يقوم بها (الروبوت الصناعي) ، بل تعداها إلى عمليات معقدة في صناعة الطائرات والسيارات ، وأهم ما يتميّز به هو **(الرأس اللولبي)** ، وهو العنصر المحوري الذي بُنيت عليه ، هذا الرأس المندمج تماماً يضم ثلاثة محاور وساعداً كهربائياً بقوة (٧ كيلو وات) ، ذا سرعة متغيّرة يمكنها الوصول إلى (٢٠) ألف دورة في الدقيقة ، أو محركاً كهربائياً بقوة (١١) كيلو وات ، ووصلت سرعته إلى (٢٠) متراً في الدقيقة ، ويمكن ربطه مع أنظمة كمبيوتر وأنظمة مراقبة .

وأفضل استعمال لهذه الماكينات ذات السرعة القصوى ، هو المواد الخفيفة الوزن (مثل **الألومنيوم والخشب الراتيجي والألياف والجرافيت**) ، كما جرت تحسينات أخيرة لملاءمة الاستعمال على الصلب . ويستخدم هذا الروبوت في تنفيذ جميع عمليات التجميع (التثقيب وتوسيع ثقوب المسامير المفردة والمزدوجة) على أسطح الطائرات المصنوعة من **التيتان (Titane) وألياف الكربون** .

ومثل هذه العمليات كانت تُنفذ يدوياً من قبل ، ولكنها تحمل مخاطر كثيرة ، خاصة إذا علمنا أن أحد أسطح الطائرات يحتوي على ما لا يقل عن خمسة آلاف مسمار .(١٢) .

●● **ثالثاً : صناعة الحديد والصلب** : دراسات عديدة تتم لضبط نظم الأطراف الصناعية لعمليات **صهر المعادن** وتطبيقاتها ، وعمليات الحفر العميق ، وعمليات شحن الأفران العالية بالمواد الخام اللازمة لصهر المعادن .

إن شحن الأفران العالية بالمواد الخام كانت تتم يدوياً ، أو بواسطة سيور نقل إلا أنه لم يعد كذلك وتم استخدام الأطراف الصناعية لتقليل المجهود البدني ، والتغلب على الظروف البيئية السيئة (كالحرارة العالية والتي تصل إلى (١١٠٠°) في داخل الفرن العالي .

وفي صناعة السيارات يمكن انتاج حوالي (٤٠٠) هيكل سيارة في دورة واحدة بملاحظة فرد واحد .(١٣)

خاتمة

وحتى تصبح المشاركة العربية فعّالة في صُنع التقدم التكنولوجي لصالح البشرية جمعاء ، يجب علينا ـ نحن العرب ـ أن نكون على مستوى التحدي الحضاري الذي يواجهنا ، ويقع العبء الأكبر في هذا على الجامعات ، والمعاهد ، ومراكز البحوث ، والجمعيات العلمية ، والنقابات ، والمصانع ،

والهيئات ، ووسائل الإعلام العربية للقيام بدورها في نشر حقائق التكنولوجيا الحديثة ، وإعداد الشباب وتأهيلهم بما يتناسب وروح العصر ، ويساعدهم على استيعاب هذه التكنولوجيا بالوعي العلمي القادر على التحدي الحضاري .

●●●



شكل توضيحي مبسط لاحد الاطراف الصناعية

انتشار الأطراف الصناعية على مستوى العالم

نوعية الروبوت / البلد	طراز ا	طراز ب	طراز جـ	طراز د	طراز هـ	الإجمالي	الزيادة المتوقعة (بدون نظم المناولة) ١٩٨٥م	١٩٩٠م
اليابان	—	٦٨٩٩	—	٧٣٤٧	٥٣١٨٩	٦٧٤٣٥	١٦٠٠٠	٢٩٠٠٠
الولايات المتحدة	٤٠٠	٢٠٠٠	١٧٠٠	٦٠٠	٤٠٠٠٠	٤٤٧٠٠	٧٧١٥	٣١٣٥٠
فرنسا	١٢٠	٥٠٠	—	—	٣٨٠٠٠	٣٨٦٢٠	١٠٠٠	١٣٠٠
المانيا الغربية	٢٩٠	٨٣٠	٢٠٠	١٠٠	١٠٠٠٠	١١٤٢٠	٥٠٠٠	١٢٠٠٠
سويسرا	١٠	٤٠	—	—	٨٠٠٠	٨٠٥٠	٦٠٠	٥٠٠٠
الاتحاد السوفييتي	—	—	—	—	—	٣٠٠٠ (بدون تفصيلات)	الارقام غيرمتاحة	
السويد	٢٥٠	١٥٠	٢٥٠	٥٠	١٠٠	٨٠٠	٢٣٠٠	٥٠٠٠
ايطاليا	—	—	—	—	٤٠٠	٧٥٣ (احصاء ١٩٨٠م)	الارقام غيرمتاحة	
بريطانيا	٣٥٦	٢٢٣	٥٤	٨٠	—	٥٣٠	٣٠٠٠	٢١٥٠٠
تشيكوسلوفاكيا	٥٠	٥٠	١٠٠	٣٠	٢٠٠	٧١٣	٣٠٠٠	١٢٠٠٠
٨ دول اخرى(*)	٢٩٨	٢٣٢	٢٨٠	٦٢	٥٦٣	١٣٦٥		
الإجمالي العالمي	١٧٧٤	١٠٩٢٤	٢٥٨٤	٨٢٩٩	١٥٠٤٥٢	١٧٧٣٨٦	—	—

طراز (ا) : روبوت مبرمج ـ تحكم سيرفو ـ بنظام تحكم المسار المستمر .
طراز (ب) : روبوت مبرمج ـ تحكم سيرفو ـ بنظام تحكم نقطة ـ إلى ـ نقطة .
طراز (جـ) : روبوت مبرمج ـ تحكم غير سيرفو ـ للاستخدامات العامة .
طراز (د) : روبوت مبرمج ـ تحكم غير سيرفو ـ السباكة الآلية وماكينات الحقن .
طراز (هـ) : اجهزة النقل والمناولة .

الهوامش

(*) ملاحظة : هذه الدول هي (الدنمارك ، فنلندا ، النرويج ـ هولندا ، بولندا ـ يوغوسلافيا ـ استراليا ـ بلجيكا) .

المصدر

Robot Institute of America/ Society of Mfg. Engineers- IAMI- 7/ 1982- P.P.24.

* المصادر والمراجع بترتيب الاستفادة بها في كتابة الموضوع :

(1) James B. Pond- Unmanned manufacturing gets a boost at 4. EMO- IAMI magazine- Italy- Issue 8/ 1981- P.P 3.

(2) Safeguarding Industrial Robots- Machine Tool Trades Association- London- England- IAMI- Issue 8/ 1981.

(3) Phillip L. Avery- Robot Looding Differential Housings- Presented at Robots VI- 1982- U.S.A.

(4-13) Robots Wins Forging Challenge- Tube Investments (TI) Ltd., Chesterfield- IAMI- 1/1981- P.P. 42, 43.

(5) Data Link Reduces Downtimes- Erlangen- Siemens A G- West Germany- 1982- P.P. 35.

(6) Computer- Controlled Blank- Turning Cell- The Drehmas-Chinenwerk in Leipzig- G. D. R. 1982.

(7) Super Boost in Productivity with fully automated factory- CANADIAN MACHINERY AND METAL WORKING magazine- June 1982- P.P.11.

(8-11) Introducing.-. New Robot And Production Systems- Metalexport- Poland- 1982.

(9) Eng. Ahamed M. El ADL- Industrial Robots & Robotics- 29/10-9/11/90- University of Budapest- Hungary- (Trainning Course).

(10) Ron Reeve- A Welding Robot Vision System- Presented at Autofact III- 1981- U.S.A.

(12) الروبوت الصناعي ..مرونة وقوة ودقة في العمل ..مجلة الهندسة ـ المجلد (٥) ـ العدد رقم (٣٠) ـ سبتمبر/ أكتوبر ١٩٨٩م ـ مركز المنشورات الهندسية ـ لارناكا ـ قبرص ـ ص ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ .

* تم الاستعانة بالصور في الموضوع من المصادر الآتية بالإضافة إلى ما سبق ذكره أعلاه :

1. James B. Pond- Robot Industry Enters Anew Era in the '80' S- IAMI magazine- Italy- 7/1982- P.P. 21- 26.

2. Michael Page- SEPA's CNC Systems find Wide Application- IAMI-6/1983- P.P. 31, 32.

3. Michael Page- Robot Vision Used on colchester FMS line- IAMI-6/1983- P.P. 29,30.

4. Jon Hartley- Japanese Shaw Huge Gaines with Unmanned Operation- IAMI- 7/1982- P.P. 9,10.

بعد الستين

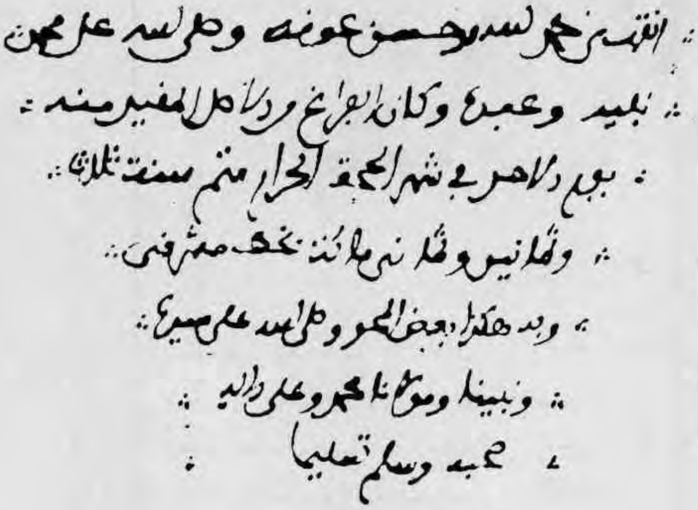
شعر: محمد علي جمعة الشايب

فاضت بصفو رحيقها الأكواب ... وتجمَّعت من حولها الأصحابُ
زفّوا التهاني إذ (أُحِلْتُ) ولم يزل ... يبدو عليّ من الشباب ثيابُ
ستّون عاماً قد خلعتُ رداءَها ... ما كان فيها زلّة أو عابُ
هي لي رصيد مكارمٍ ومفاخرٍ ... فالطُهر في أيامها ينسابُ
العمرُ من مِنح الإله وخيرُنا ... من طال عمراً والفعال صواب
يا من رأى العمر المديد شكاية ... شُغِل الأقاربُ عنه والأترابُ
مهلاً رفيقي هذه الدنيا بها ... أُنْس لمنْ قَدْ صَدَّ عنه صِحابُ
الروْض في أزهاره وطيوره ... والبحر قد غنّى عليه حبابُ
والبيدُ في صمتٍ تذيع روائعاً ... مسطورةً في الرمل فهْي كتابُ
إن ضِقْتَ بالدنيا حقائق مُرّةً ... فَلَكمْ بها شهدٌ لنا ورضابُ
أولمْ تَرَ الأبناء يعلو نجمُهم ... وتحقّقتْ لهمو مُنىً ورِغابُ
أولمْ تَر الأحفاد في أكنافهم ... زَهْراً نَديّا عِطرُه خلّابُ
أولمْ تُتوَّجْ فوق عرش حُزْتَه ... دُرّاته الأبناء والأحبابُ
إن ضِقْتَ بالدنيا فشِعْرك غَنِّهِ ... فهوْ الأنيسُ وليس فيه كِذَابُ
واسبحْ بأجنحةِ الخيالِ على المَدَى ... تشرَبْ كؤوسَ السّعدِ وهْي عِذَابُ
ما نعمةُ الشعراء إنْ لمْ يسعدُوا ... بخيالهمْ إن مسَّهمْ أوصاب
كم شاعرٍ في عزلةٍ قَتّالةٍ ... ضمّته في طُهرِ الخيال كعابُ
لا تَأْسَ أنَّ جاهُ الوظيفة قَدْ خَبَا ... جَاهُ الوظيفة ساحرٌ كذّابُ
مهما نُطق أحمالها فقيودُها ... تُدْمَى بحمَّى وخزها الأعقابُ
من خاضها وضميرُه مستيقظ ... فالليل همّ والنهار عَذابُ
قد نلتُ مِنْ ألقابها ما عِفْتُه ... هي ومْضةٌ أخّاذةٌ وشهابُ
ولربّما أغْرى الضّعافَ زوالُها ... عنّا فعادُوا شامتين وعابوا
ما المجدُ إلا ما يخلّده الفتى ... لا منصبٌ يمضي ولا ألقابُ
يا من رأوا «بيت المسنّ» أنيسَه ... ما أنْسُ بيتٍ كلّه أغرابُ؟!
لا أرتضي «بيت المسنّ» لشاعر ... ما الشِّعر تُغْلَق دونه الأبوابُ
هل يَتْرك الأجْواء والأنْداء والأطيار والأزهار وهْي طِلابُ
زعموه «بيتاً للمسن» وما دَرَوْا ... في ركنه تتجمّع الأوصابُ
يكفيه تذكرة بسنٍّ طاعنٍ ... فالموتُ يدنْو والحياة سرابُ
أو كلّما في الغرب لاحتْ بِدْعةٌ ... أضحى لها مِنْ قومنا إعجابُ؟!
في ديننا تلقى السعادة أسرةٌ ... فلها عُرىً موثوقةٌ وصِلابُ
هذي مبادىء ديننا وضّاءة ... نسمو بها بين الورى ونُهابُ
لا نشتكي من غربةٍ في ظلّها ... ويكاد يؤنِسُ في حماها الغابُ



ابن الوردي

وصف أمريكا قبل اكتشافها بأكثر من مئة عام



مقطع من نهاية كتاب «خريدة العجائب ..» ، ويعود تاريخ نسخه ـ كما هو واضح بخط الناسخ ـ إلى عام ٨٨٣هـ .

بقلم : إحسان جعفر

ابن الوردي ، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر (٦٩١ ـ ٧٤٩هـ / ١٢٩٢ ـ ١٣٤٩م) ، الشاعر المشهور ، صاحب اللامية المتناقلة ، وصاحب المقامات المشفوعة باسمه ، ومؤلف التاريخ المعروف بتتمة المختصر في أخبار البشر ، وغير ذلك من مصنفات في الفقه والنحو .. له كتاب مهم في الجغرافيا الوصفية ، لم يلتفت إليه الدارسون في العصر الحديث ، وفي هذا الكتاب المؤلف في حلب سنة (٧١٥هـ ـ ١٣٣٥م) . يذكر ابن الوردي أنه يوجد وراء الجزر الخالدات (أي كناريا) جزائر وصفها وصفاً يكاد ينطبق على أمريكا .

وقد عاش ابن الوردي قبل **كولومبس** بأكثر من مائة سنة . ويلوح لنا أن كولومبس قد استلهم هذا الكتاب ! خاصة إذا علمنا أنه كان قد انتشرت منه نسخ خطية كثيرة في أوروبا منذ تأليفه ، ووُجدت تسع نسخ خطية منه في **المكتبة الوطنية بباريس** وحدها ، وبهذا الصدد يقول **ملطبرون** في جغرافيته التي ترجمها **رفاعة الطهطاوي** سنة ١٢٥٤هـ : «ألّف ابن الوردي كتاباً في الجغرافيا .. أطنب فيه بالكلام على إفريقيا وبلاد العرب والشام ، لكنه أوجز فيما يتعلق بأوروبا والهند وشمال آسيا ، وفي كتبخانة باريس من هذا الكتاب تسع نسخ منسوخة بالقلم ، وهذا الكتاب مشتمل على خرطة عامة لسائر الأرض لم يتعرض لها **غينيس** في تلخيصه لهذا الكتاب ، وهي موافقة في أغلب الأماكن لخرطة **سانودو** الموجودة في **بوغارس** ، وهذا يدل على أن أوائل الجغرافيين وراسمي الخرطات من النصارى كانوا متطفلين على كتب العربية وناسجين على منوالها . وقد طبع غينيس تلخيصات من كتاب ابن الوردي ، انتخبها من كتبخانة باريس ، وقبله **أوريولوس** المدرس بمدينة أبسال طبع بهذه المدينة قطعة من كتاب هذا الجغرافي ، ثم ظهر عالم بمدينة بإقليم صقانيا ، واشتغل بطبع جميع الكتب»(١) .

فجغرافية ابن الوردي ، إذاً كانت معروفة في أوروبا منذ وقت مبكّر ، وليس بمستبعد ـ إنْ لم يكن بالتأكيد ـ أن يكون كولومبس قد اطلع عليها ، ودرس المصوّرات (الخرائط) الملحقة بها ، إذ مما هو ثابت أنه درس قبل إقدامه على رحلته كتباً كثيرة تصف السفن العربية والآلات المستعملة في الملاحة عند العرب ، واطلع على أوصافهم للبلدان والبحار والجزر ، وعلى مصوراتهم ، بلْ يقال إنه وقف على كتاب جغرافي عربي ، واستعمله بنصه العربي مباشرة بدون ترجمة ، ولعله استعان عليه ببعض المدجّنين ممن كانوا تحت النفوذ الإسباني : وما لنا نذهب بعيداً ، **فكولومبس نفسه اعترف بأن العرب في مصنفات بعض علمائهم هم الذين أوعزوا إليه بوجود قارة جديدة وراء المحيط** ، إذ أورد ذلك المؤرخ الفرنسي **رونان** في كتابه «ابن رشد ومذهبه» وقال : إن كولومبس ترك رسالة بعد وفاته يقرّ فيها بذلك .

وكان **عبدالقادر المغربي** ، أحد أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق ، أول من تنبّه إلى وصف ابن الوردي للقارة الجديدة ! ، فقد أشار في إحدى محاضراته سنة ١٩٣١م ، إلى ذلك إشارة مقتضبة قائلاً : «ذكر ابن الوردي في جغرافيته أنه يوجد وراء جزر الخالدات جزائر عظيمة ، فيها خلق كثيرون .

وقد وصل إليها أحد النوتية عن غير قصد بسبب مطاردة الرياح ، ثم رجع منها بعد أن يئس من الحياة . وقد وصف ابن الوردي تلك الجزائر وصفاً يكاد ينطبق على وصف بلاد أمريكا . وابن الوردي عاش في القرن الثالث عشر للميلاد ، أي قبل كولومبس بأكثر من مائة سنة»(٢) ، وقد اقتبس هذه الإشارة الأستاذ **عبدالعزيز بن عبدالله** في محاضرة له بعنوان «الوشائج العريقة بين الخليج العربي والمغرب الأقصى» ، نشرها في مجلة اللسان العربي (يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٧٣م) ، ولكن دون أي إضافة أو تعليق ، منوهاً بأهميتها(٣) !.

كتاب العجائب والغرائب

وجغرافية ابن الوردي المقصودة ههنا هي كتابه المسمى «**خريدة العجائب وفريدة الغرائب**» ، والكتاب مطبوع قديماً طبعة سقيمة على ورق أصفر ، أصبحت نسخة نادرة ، وقد عثرتُ عليه مؤخراً ، وفيه يقول ابن الوردي تحت عنوان «فصل في بحر الظلمة وهو البحر المحيط الغربي»[٣] : «ويسمى المظلم لكثرة أهواله وصعوبة متنه ، وفي هذا البحر من الجزائر العامرة **والخراب** ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، وقد وصل الناس منها إلى «**سبع عشرة جزيرة**» ، وبعد أن يتكلم على الجزر الخالدات **(الكناري) وجزيرة «العوس»** ، يشير إلى أن وراءها جزراً عظيمة يذكر منها :

(١) جزيرة السعالي ، ثم يصفها بقوله : «وهي جزيرة عظيمة بها خلق كالنساء ، إلا أن لهم أنياباً طوالا بادية ، وعيونهم كالبرق الخاطف ، **ووجوههم كالأخشاب المحترقة** ، يتكلمون بكلام لا يُفهم ...... ولباسهم ورق الشجر ، ويحاربون الدواب البحرية ويأكلونها» .

(٢) جزيرة حسرات ، «وهي جزيرة **واسعة** فيها جبال عالية وفي سفحها اناس سمر قصار لهم لحى طوال تبلغ ركبهم ، ووجوههم عراض ، ولهم آذان كبار ، وعيشهم على الحشيش» .

(٣) جزيرة العرر ، «وهي جزيرة **طويلة عريضة** كثيرة الأعشاب والنباتات والأشجار والثمار» .

(٤) جزيرة المستشكين ، «وتعرف بجزيرة التنين ، وهي جزيرة عظيمة بها أشجار وأنهار وثمار ، وبها مدينة عظيمة ، وكان بها التنين العظيم ...» .

(٥) جزيرة قلهات ، «وهي جزيرة كبيرة ، وبها خلق مثل الإنسان إلا أن وجوههم وجوه الدواب ، يغوصون في البحر فيخرجون ما يقدرون عليه من الدواب البحرية فيأكلونها» .

(٦) جزيرة الأخوين الساحرين ، «أحدهما شرهام والآخر شيرام ، وكانا بهذه الجزيرة يقطعان الطرق على التجار ، فمُسخا حجرين قائمين في البحر وعمرت الجزيرة بعدهما» .

(٧) جزيرة الطيور ، «يقال إن فيها **جنساً من الطيور في هيئة العقبان ذوات مخالب تصيد دواب البحر** ، وبهذه الجزيرة ثمر يشبه التين أكله ينفع من جميع السموم» .

(٨) جزيرة الصاصيل ، «**طولها خمسة عشر يوماً في عرض عشرة** وكان بها ثلاث مدن مسكونة عامرة ، **وكان التجار يسيرون إليها** ...» .

(٩) جزيرة لاقة ، «وهي جزيرة كبيرة وبها شجر العود كالحطب ، وليس له هناك قيمة ولا رائحة حتى يخرج من تلك الأرض فيكتسب الرائحة ، وكانت عامرة مسكونة ، والآن قد خربت ، فيها حيات كبار وتغلبت على أرضها فخربت بسبب ذلك» .

(١٠) جزيرة ثورية ، «بها أشجار وأنهار ، لكنها **خالية الديار** ، وبهذا البحر دواب عظيمة مختلفة الأشكال هائلة المنظر ، يقال إن السمكة به يمرّ رأسها كالجبل العظيم الشامخ ...» .

وبعد أن وصف هذه الجزر الضخمة ، تحدث ابن الوردي عن ملك وصلت إلى مسامعه أخبار جزيرة الطيور «فوجه إليها مركباً ليُجلب له من ذلك الثمر ويُصاد له من تلك الطيور لأنه كان عالماً بمنافع تلك الطيور ، فانكسرت المركب في البحر ، وهلكت السفينة ومن فيها ...» .







صورة شكل الأرض كما رسمها ابن الوردي في كتابه «خريدة العجائب ...» ، والرسم العلوي وجد في نسخة مكتوبة عام ١٠٩٠هـ ، بينما الرسم الأوسط يعود إلى عام ١٢٧٧هـ ، والرسم السفلي وجد في مخطوطة غير مؤرخة . وقد أشار المؤلف إلى صورة شكل الأرض تلك بقوله : «وقد وضعتُ الدايرة مستعينا بالله على صورة شكل الأرض في الطول والعرض بأقاليمها وجهاتها وبلدانها وصفاتها وعروضها و... وأقطارها وممالكها وقطرها ومسالكها ومفاوزها ومهالكها وعامرها وغامرها وجبالها ورمالها وعجايبها وغرايبها وموضع كل مملكة وإقليم من الأخرى وذكر ما بينهما من المتالف والمعاطف براً وبحراً وذكر الأمم المنقسمة في الجهات والأقطار طُرّا وسد ذي القرنين في سالف الأحقاب على يأجوج ومأجوج كما جاء في نص الكتاب» .



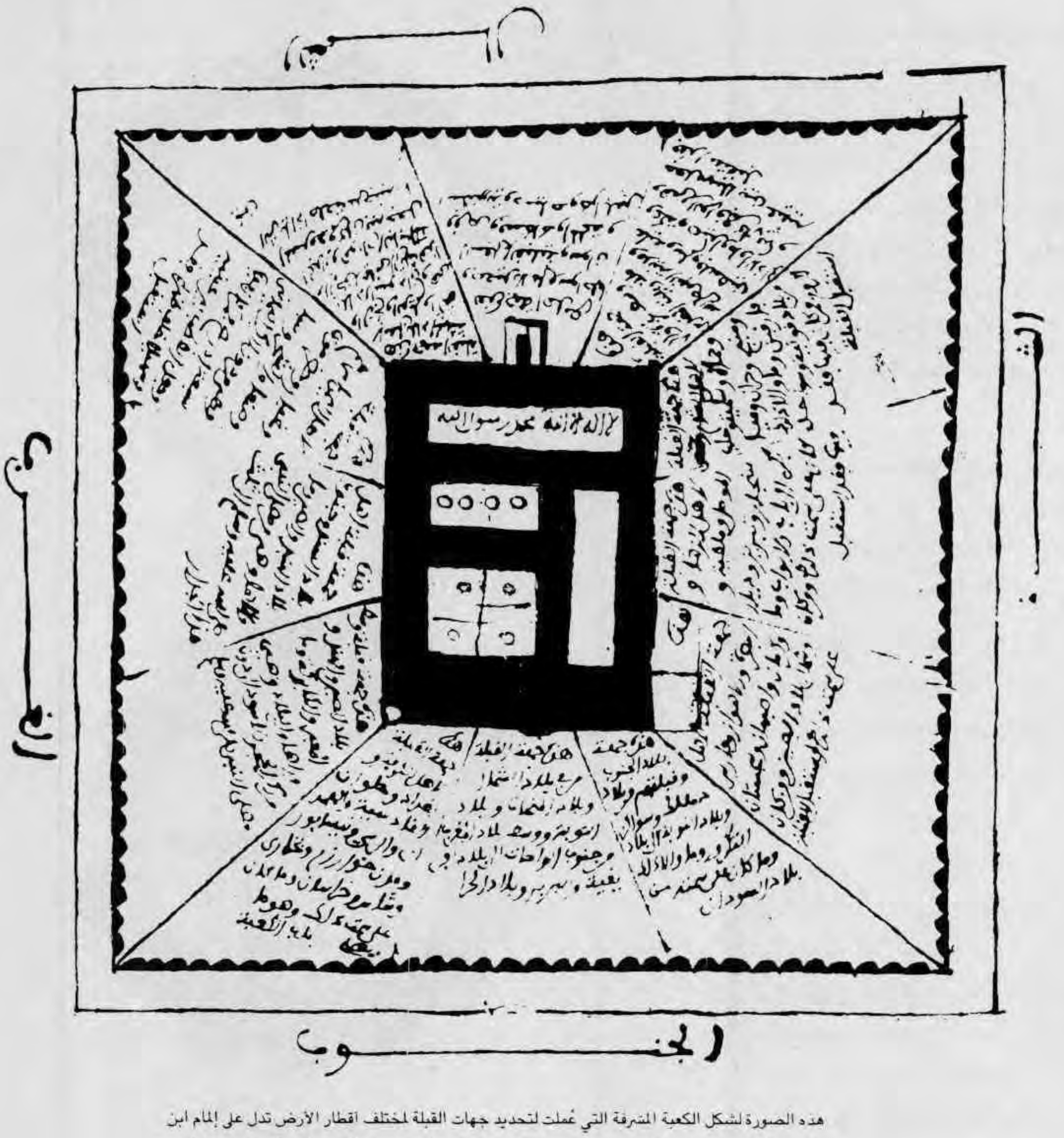
رفاعة رافع الطهطاوي



عبدالقادر المغربي



كولومبس



هذه الصورة لشكل الكعبة المشرفة التي عُملت لتحديد جهات القبلة لمختلف اقطار الأرض تدل على إلمام ابن الوردي الواسع بجغرافية الأرض . وهي موجودة في واحدة من أقدم نسخ الكتاب المتاحة بين أيدينا الآن .

وهذه الأوصاف التي ينقلها ابن الوردي ـ بنظرنا ونظر من أشار إليها ـ ترقى في مجملها إلى مستوى الصحة ، وأستبعدُ منها بعض التهويلات التي أضفاها المؤلف لاسترضاء العامة التي تميل إلى سماع الغرائب والمفاجآت ، والتي حشدها في تضاعيف وصفه لإشباع نهم الجماهير التائقة للأساطير التي تغذي أخيلتها .

ومع هذا فأوصاف ابن الوردي جديرة بالتأمل والمحاكمة ، فهو عندما وصف أهل جزيرة **السعالي** بأن وجوههم **كالأخشاب المحترقة** ، فإنه جاء بالحقيقة ، فهؤلاء هم السكان الأصليون لقارة أمريكا الذين أطلق عليهم كولومبس فيما بعد اسم **الهنود الحمر** لأنه وجدهم ذوي بشرة حمراء ، ولون الخشب المحترق يميل إلى الحمرة الداكنة ، ولا يخفى أن تشبيه وجوههم بالأخشاب ينطوي على صرامة وقسوة تتميّز بها وجوه الهنود الحمر .

وهو عندما قال إن لهم أنياباً طويلة ، فهو يرجع إلى أن الهنود الحمر كانوا يصبغون وجوههم ، ويرسمون حول أفمامهم خطوطاً بيضاء ، تُرى من بعيد كأنها أنياب !. وعندما ذكر أن وجوه أهل جزيرة قلهات كوجوه الدواب : فمرده إلى تلك الأقنعة التي تحاكي وجوه بعض الحيوانات التي كان الهنود الحمر يضعونها لتخويف الغرباء !.

محاولات عربية للوصول إلى أمريكا

وكأني بابن الوردي ، في وصفه لجزيرة الطيور ، يتحدث عن **العقاب الأمريكي** الذي اشتهرت به الدنيا الجديدة ، واتخذه الأمريكان فيما بعد طائراً قومياً ، وهو لا يوجد في غير أمريكا ، وهو دائماً قريب من السواحل يتربص بالسمك ، فطعامه فراخ الماء وأرانب المستنقعات فضلاً عن السمك الذي يصيده أو يلتقطه ميتاً على السواحل ! (انظر ما كتبه د. أحمد زكي عن العقاب الأمريكي في كتابه في سبيل موسوعة علمية) .

والحقيقة كما أكدت **مجلة «نيوزويك» الأمريكية** في عددها الصادر في نيسان (أبريل) ١٩٦٠م ، أن أمريكا كانت معروفة للعرب ، وأن الوثائق التي عثر عليها تثبت أن العرب وصلوا ـ حسب قول المجلة ـ قبل سنة ١١٠٠م ، إلى عدة مواضع على الساحل الأمريكي ، ولا غرابة في ذلك ، فالتاريخ يحفظ لنا عدة محاولات عربية للوصول إلى أمريكا منها :

١ ـ **محاولة العرب الفينيقيين** السحيقة في القدم ، حيث يذكر أنهم وصلوا إلى البرازيل .

٢ ـ محاولة خشخاش القرطبي ، التي ذكرها **المسعودي** في مروجه .

٣ ـ محاولة الفتية المغررين ، التي ذكرها **الإدريسي** .

٤ ـ محاولة سلطان مالي الإسلامية ، المذكورة في كتاب حاضر العالم الإسلامي .

وأضيف أن نظرية وجود عالم جديد كانت تسيطر على تفكير بعض علماء العرب ، فقطكان **ابن عربي** يرى (أن وراء المحيط الأطلنطيقي أمماً من بني آدم وعمراناً) ، وقد عاش قبل كولومبس بثلاثة قرون ، وتحدث **أبو الثناء الأصفهاني** قبل كولومبس بأكثر من مائة وخمسين سنة (عن احتمال وجود أرض وراء الجزر الخالدات) . وفي أساطير العرب القديمة يذكرون أن **ذا القرنين** لما أشرف على **جبل قاف** ـ الذي يقولون إنه في آخر الدنيا القديمة ـ خاطب الجبل قائلاً : أخبرني بشيء عن عظمة الله تعالى . قال قاف : إن ورائي أرضاً مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة عام بين جبال ثلج يحطم بعضها بعضاً[٤] .

شهادات للعرب

ومعرفة العرب لأمريكا ـ على كل حال ، ومهما قيل بشأنها ـ ليست ضرباً من الظن أو التمحل ، فلقد أكد **المؤرخ (كوندي)** في تلميحاته التاريخية أن الأسطول العربي أبحر في القرن العاشر الميلادي ، من **ميناء (لشبونة)** مستكشفاً جزر (أسورس) وبعض جزر (الأنتيل) ، فكان أول من مزق الحجب عن المناطق المجهولة في المحيط الأطلسي .

وقال **هدويك فتزلر الألماني** : «إن العرب قاموا برحلات بحرية متعددة قبل البرتغاليين ، لا لاكتشاف سواحل إفريقيا الغربية فقط ، بل للولوج في البحر غرباً أيضاً» .

ولقد ذكر بعض الباحثين أن الانتشار العربي في إفريقيا بلغ الغاية القصوى في القرن التاسع الميلادي ، وامتد جنوباً في غرب القارة إلى **(منديجو)** ، ومنها انتقل إلى **(مشوكان)** على خليج المكسيك ، وأن آثار العرب في لغات أمريكا ترد كلها إلى ذلك المكان وإلى (مديجو) ، وقال بعضهم : **إن حضارة الأزتك (= الأزد) ، والماية ، هي حضارة عربية . ومنهم من ذكر أن مستعمرات عربية وجدت في أمريكا بين سنتي ١١٥٠ ـ ١٢٠٠م ، أي قبل أن يولد كولومبس في جنوة بنحو ثلاثة قرون .**

هذا وتحدث **عبدالمنعم الغلامي** في كتابه **«مآثر العرب والإسلام في القرون الوسطى»** ، المطبوع في الموصل سنة ١٩٤٠م ، عن وجود بعض القبائل العربية في بعض المناطق الجبلية المنيعة من بلاد **المكسيك** ، وقال :

«إن وجود هذه القبائل يجعلنا نعتقد بصحة الروايات التاريخية القائلة بمعرفة العرب لأمريكا قبل أن يعرفها الغرب ، وإن كان لوجود هذه القبائل في هذه البلاد أسبابٌ واحتمالات أخرى» [٥] .

ونقل عن **جريدة (الهدى) العربية التي كانت تصدر في الولايات المتحدة** قولها : إن تجاراً أتراكاً متجولين في **مقاطعة (سيمسو جوفل) في المكسيك** عثروا في أثناء تجوالهم على قبيلة تتكلم العربية ، تقطن منطقة جبلية منيعة ، ولا تزال هذه القبيلة في عزلة عن العالم ، ولم تتصل بمن حولها ، وهي محافظة على عاداتها الشرقية . وقد قال بعض أفرادها للتجار المشار إليهم إنهم يقطنون تلك الأصقاع منذ مئات السنين .

وكانت **صحيفة «الغربال» العربية التي كانت تصدر في مكسيكو** قد نشرت تحقيقاً ممتعاً عن اكتشاف أحد اللبنانيين المسمى **(طنوس الشنتيري)** لقبيلة عربية في منطقة «سيمو جوفل» الجبلية بالمكسيك ، وأشارت إلى أن **الشنتيري** تحدث مع أفرادها بلهجة عربية ، وفهم منهم أنهم من **عرب «سجلماسة» بالمغرب** ، وأنهم لا يسمحون لأحد بدخول منطقتهم وأن لديهم أموالاً وتحفاً وآثاراً كثيرة يودون لو استطاعوا إيصالها إلى **مكة المكرمة** .

وجاء في **مجلة «الشرق» البرازيلية** أن الدكتور «برزينو مادوريا دو بينيو» أحد كبار المسؤولين البرازيليين ، وضع تقريراً رفعه إلى حكومته أشار فيه إلى وجود مسلمين برازيليين يقطنون مجاهل **ولاية «باهيا» البرازيلية** منذ زمن بعيد ، ويعرفون باسم **«الوفائيين»** أو قبيلة الوفاء ، وعددهم كبير ، لأنهم يزيدون على نصف الزنوج الموجودين في تلك الولاية ، ويقول الدكتور البرازيلي : إن هؤلاء المسلمين دخلوا إلى البرازيل منذ قرون عديدة قادمين إليها من إفريقيا .

ومن طالع كتاب «إفريقيا واكتشاف أمريكا» لمؤلفه «ليو وبتر» يتضح له معرفة العرب لأمريكا قبل كولومبس بقرنين على أقل تقدير ، حيث برهن المؤلف على وجود كلمات عربية في لغات الهنود الحمر يرجع أقدمها إلى سنة ١٢٩٠م ، وبهذا يكون العرب قد اكتشفوا أمريكا وقطنوها قبل غيرهم بأزمان طويلة ، ولكن صلتهم بالشرق كانت قد انقطعت .

* **الفيصل** : ثلاث نسخ أصلية لمخطوطة «خريدة العجائب وفريدة الغرائب» لابن الوردي محفوظة في مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض وتحمل الأرقام ٦١٠٩/ ٤٥٦٣/ ٢٢٤٥ ، وتواريخ نسخها على التوالي : ٩٩٨هـ/ ١٠١٦هـ/ ١٢٧٧هـ ، كما توجد في مكتبة المركز سبع عشرة نسخة مصورة لهذا الكتاب لا يتسع المجال هنا لذكر أرقام حفظها .

الهوامش

(١) ملطبرون ، الجغرافية العمومية ، ترجمة رفاعة الطهطاوي ، مصر ١٢٥٤هـ ، ص ١٤٤ .

(٢) محاضرات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ٢ : ٢٣٣ ، ويلوح لنا أن عبد القادر المغربي استق معلوماته بهذا الصدد من مجلة «المعلومات التركية» ، حيث جاء فيها أن أبا الوفاء المؤرخ العربي يقول : إن (ابن الوردي) الذي جاء قبل كولومبس بمائة وثلاثين سنة ألف كتاباً عظيماً اسمه «خريدة العجائب» بيّن في أحد فصوله أن العرب عرفوا أميريكا قبل كولومبس بثلاثة عصور» .

(٣) ابن الوردي ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، مصر ، د . ت : ٨٢ . والخريدة هذه ترجم عدة مستشرقين فقرات منها ، أو أوردوا بعض الفقرات مع ترجمة لها ، وقد طبعت موسوعة بذكر البلدان والأقطار من خريدة العجائب باعتناء الأستاذ هيلاندر ومعها ترجمة لاتينية في لوند (أسوج) ١٢٨٤ ، ص ١٣ و ٣٧ . وطبع منه الخمسة أقسام الأولى مع ترجمة لاتينية باعتناء تورنبرغ جزء ٢ في أوبسلا ٩/ ١٨٣٥ . كما ترجم فقرات منه ده كيني ، ومهرن ، وغيرهم . وقد نشرت الخريدة في القاهرة في الأعوام : ١٢٧٦ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٨ ، (طبع حجر) ، وطبع حروف : ١٣٠٠ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٦ ، (ص ١٥٧ المط الشرفية) ، (ص ٢٢٣) . ويتهم محمد بن شنب في «دائرة المعارف الإسلامية» ٥/ ٤١٥ ، ابن الوردي بنقل مادة خريدته عن كتاب «جامع الفنون وسلوة المحزون» لنجم الدين أحمد بن حمدان بن شبيب الحراني الحنبلي ، الذي عاش في مصر حوالي عام ٧٣٢هـ ، (١٣٣٢) .

(٤) علاء الدين السكتواري ، محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر ، بولاق مصر ، ١٣٠٠هـ : ٦١ ، نقلاً عن البدور السافرة للغزالي .

(٥) عبد المنعم الغلامي ، مآثر العرب والإسلام في القرون الوسطى ، مطبعة أم الربيعين ، الموصل ، ١٣٥٩هـ ـ ١٩٤٠م : ١٥٩ .

●●●



أثر اللغة العربية في شبه القارة الهندية

بقلم: سلطان سعد القحطاني

بدا الاتصال بين الحضارة الهندية والبلاد العربية ، قبل الإسلام بحكم التجارة ، وبالأخص جنوب وشرق الجزيرة العربية ، حتى إن بعض الألفاظ والكلمات تعود في الأصل إلى الهندية ، وقد تأثر كل منهما بالآخر ، فلم يكن الأمر غريباً إذا وجدنا كلمات معربة عن الهندية .

وعندما نزل **القرآن** ، وأصبح الدين الإسلامي ديناً لجميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، تحمس العلماء لنشره في شبه القارة . وكان السبيل الوحيد لفهمه فهماً صحيحاً هو تعلم اللغة التي شرَّفها الله به ، فتهافت العلماء بصورة ملحوظة على العاصمة الإسلامية **بغداد** لأن سبل الراحة في طلب العلم وفرت لهم ـ هناك ـ ثم حصلت الهجرة المعاكسة لكثير من العلماء إلى الهند لأسباب منها : الهروب من الغزو التتري الغاشم سنة ٦٥٦هـ ، وانتشار اللهجات العامية في **عصر الدويلات اواخر العصر العباسي** ، وخوف العلماء على ضياع اللغة قبل أن ينشروا الإسلام في بلادهم بصورته الصحيحة ، البعيدة عن الخرافات والأباطيل .

في بداية القرن الخامس الهجري ظهرت دولة **الغزنويين في الهند** ، التي اهتمت اهتماماً كبيراً باللغة العربية ، ونشر الثقافة الإسلامية ، حيث قام **السلطان محمود الغزنوي** بوضع المصطلحات اللغوية العربية في فهرس يوضح معانيها ، ومازال البعض منها متداخلاً في بعض لغات الهند **كالأردية** مثلاً . وهو محرف بعض الشيء في اللفظ وليس في المعنى .

وكانت اللغة العربية تمثل أساس التعليم ، **تليها الفارسية** ، لما يراه العلماء من قدسية لها وفخر بها ، ويذكر **أحمد أمين** في كتابه : **«ظهر الإسلام»** أن **البيروني** يعبِّر عن مكانة اللغة العربية بقوله :

«والهجو بالعربية أحب إليَّ من المدح بالفارسية ، وسيعرف مصداق قولي من تأمَّل كتاب علم نقل إلى الفارسية ، كيف ذهب رونقه وكسف باله ، واسود وجهه ، وزال الانتفاع به . لا تصلح هذه اللغة الا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية» .

وانتشرت المدارس في عرض البلاد وطولها في القرن الحادي عشر الميلادي ، ورأى الحكام والسلاطين أن عليهم واجب نشر الإسلام بلغته ، وكان من منارات العلم . **دهلي «دلهي» وملتان ، وأجمير ، وجالندر ، وجنبور ، وزنكبور ، وكلبركه ، وغيرها .**

وقد شاهد ابن جبير في رحلته ، الأطفال وهم يدرسون القرآن ، ويتعلمون الخط من خلال الشعر والأمثال العربية ..

في العلوم الدينية

وبرز علماء كثيرون في الدين واللغة والأدب ، وشعراء نظموا بالعربية والفارسية . وسنقصر الحديث ـ لضيق المقام هنا ـ على بعض من أولئك ، ومؤلفاته .

(١) ابن التاج ، المتوفي ٧٣٦هـ ومن مؤلفاته :

- **«خلاصة جواهر القرآن في بيان معاني الفرقان»** ، وهو أول محاولة من علماء الهند لتفسير القرآن الكريم .
- **«خلاصة الأحكام بشرائط الإيمان والإسلام»** .
- **«الحج والمناسك»** .
- **نسبة خرقة التصوف»** .
- **ذكر الذكر الأكبر»** .

(٢) سراج الهند ، المتوفي ١٣٧١م تعلَّم في دهلي ،

ثم سافر إلى **الحجاز** ومنها إلى **القاهرة** ، **حيث تقلد منصب قاضي القضاه في مصر** لفترة طويلة وهو **حنفي المذهب** . ومن مؤلفاته :

- **«زبدة الأحكام في اختلاف الأئمة الأعلام»** .
- **«شرح المغني لجلال الدين بن الخباز»** .
- **شرح كتاب بدائع النظام في أصول الفقه** واسماه «كشف معاني البديع في بيان مشكلات المعاني» .
- **«التوضيح»** . وهو شرح لصحيح البخاري .
- **«شرح العقيدة الطحاوية» . لابن جعفر الطحاوي** .

(٣) سيد محمد كيسودراز الحسيني الذي قام بنشر الإسلام في **الدكن** عام ١٣٩٨م ، وكان يجيد العربية والفارسية والدكنية «الأردو» .

ومن مؤلفاته ، وشروحه وتفاسيره ، نذكر :

- **«المعارف شرح العوارف»** للشيخ **شهاب الدين السهروردي** .
- **«شرح آداب المريدين»** كتبه بالعربية والفارسية .
- **«شرح الرسائل القشيرية»** .
- **«شرح رسالة ابن عربي»** .
- **شرح الفقه الأكبر»** .

وغير هؤلاء من العلماء الذين لم نستطع الحصول على مؤلفاتهم ، لظروف قال عنها أحد العلماء في باكستان «يعود فقد الآثار العربية سواء كانت من العلماء الذين تعلموا العربية أم من **العرب الذين جاؤوا إلى الهند - إلى الاستعمار الإنجليزي** الذي صادر كل الكنوز الأدبية والعلمية إلى جامعات **لندن** ، ولكن الصحوة عادت من جديد لاسترداد اللغة العربية التي نحتاجها أكثر من غيرنا ، حيث بدأنا بإرسال البعثات إلى البلاد العربية ، وتعليم اللغة في معاهدنا وجامعاتنا .

في الأدب والشعر

أما في الأدب والشعر فما نكاد نذكر الأدب العربي في الهند إلا وتتداعى بنا المعاني إلى الأديب والشاعر الكبير الذي هاجر إلى الهند وعاش فيها زمناً ليس بالطويل ، وترك آثاره - هناك - للدارسين ومحبي الأدب العربي .

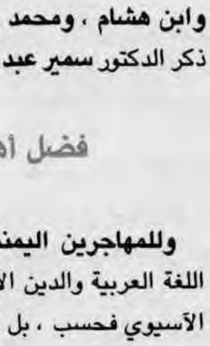
ذلك هو الشيخ **بدر محمد بن أبي بكر القرشي المخزومي الاسكندري [الهندي]** المعروف **بابن الدماميني** ، ولد **بالاسكندرية** عام ١٣٦٢م ، وتلقى تعليمه بها ثم **بالقاهرة** ، **ومكه** . وكان عالماً جليلاً من علماء اللغة العربية والعلوم الإسلامية اشتغل بالتدريس في **جامعة الأزهر** ، ثم عاد إلى الاسكندرية ليشتغل بالتجارة ، ثم عاد إلى القاهرة ، وتولى بها منصباً قضائياً ، تركه واتجه إلى **الصعيد** ومنها إلى **زبيد في اليمن** ، حيث كنوز العلماء هناك منذ **عمرو بن سعد يكرب الزبيدي** الشاعر الجاهلي ، ومنها اتجه ابن الدماميني إلى الهند فوجد الترحاب - هناك - في **«كجرات»** عام ١٤١٧م وكانت مركزاً علمياً آنذاك ، وذاعت **شهرته العلمية والأدبية لكثرة** تآليفه وتدريسه ونال سمعة عالية لدى أمراء **«كجرات» و«الدكن»** وتوفي عام ١٤٢٤م في مدينة **«كلبركه» بحيدر آباد بالدكن** . وكان شاعراً مجيداً وعالماً ضليعاً بالنحو والفقه والمعاجم ، كما ذكره صاحب كتاب الضوء اللامع .

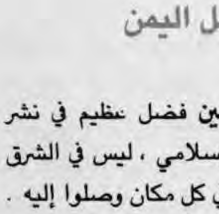
قام بشرح ثلاثة كتب نحوية . **لابن مالك ، وابن هشام ، ومحمد بن عثمان البلخي** ، كما ذكر الدكتور **سمير عبدالحميد إبراهيم** .

فضل أهل اليمن

وللمهاجرين اليمنيين فضل عظيم في نشر اللغة العربية والدين الإسلامي ، ليس في الشرق الآسيوي فحسب ، بل في كل مكان وصلوا إليه . **والهجرة في أساسها طلبٌ للرزق ، إما عن طريق** التجارة ، وإما للبحث عن عمل ، ولكن أخلاق المسلم الحق ، وكرم وصدق العربي جلب الكثير من الناس إلى الإسلام ، وتعلم اللغة العربية .

ووضع اليمنيون المهاجرون إلى شرق إفريقيا لغة يتكلمها إلى اليوم سكان شرق القارة الإفريقية **«السواحيلية»** المعروفة ، كما نشروا اللغة والدين في شرق آسيا وشبه القارة الهندية .


البيروني


احمد امين

وكان اعتزازهم بلغتهم قوياً ، مما جلب إليها الكثير لتعلمها ، حتى بعد أن اندمجوا في تلك المجتمعات وتأثروا بها وأثروا فيها مع الحفاظ على هويتهم وبرز من أولئك المهاجرين ، **الشيخ جمال الدين محمد بن عمر الحضرمي** المعروف بـ **«بحرُق»** ولد سنة ١٤٦٤م ، وهاجر إلى الهند ١٥٢٤م ، ووصل إلى بلاط السلطان **مظفر والي «كجرات»** ، وقتله رجال البلاط في نفس العام ١٥٢٤م بالسم حقداً عليه ، وغيرةً منه

وقد ترك كتباً في التاريخ ، والسيرة النبوية ، والعقائد ، وعلم الكلام ، والفقه ، والأدب ، والموسيقى ، والنحو ، والمعاني ، والتفسير ، والحديث ، ورسائل أدبية كتبها إلى والي اليمن عامر بن عبدالوهاب ، بالإضافة إلى قصائد رائعة . وتوفي بعد أن خلف واحدا وعشرين مؤلفاً .

يقول عنه الدكتور **سمير ابراهيم** : **«والعجيب أن المراجع لا تكاد تذكر هذا الشيخ الجليل»** .

وتقول : الأعجب من ذلك كله أن أغلب ما ذكرنا في هذا البحث من كتب للعلماء في شبه القارة الهندية ، سواء كانت في الهند أم في باكستان - تكاد تكون معدومة في المكتبات العامة ، أو مكتبات الجامعات ، إلا ما ندر في **جامعة البنجاب - بلاهور ، أو جامعة «عليكرة» في الهند** ، **ولكنه إذا قيس بحجم المؤلفات فإنه قليل جداً** ، وهناك البعض من الأفراد يحتفظون بنسخ قديمة لديهم أو لدى عائلات المؤلفين وأحفادهم . فإذا أراد الباحث كتاباً فإنه يجد مشقةً ، **وقد لا يوفق** .

ولكن هناك من العلماء - الآن - من يقوم بإحياء **هذا التراث الأدبي والديني** أمثال الدكتور **ظهور أحمد اظهر ، والشيخ خليل الحامدي** مدير **معهد الإمام المودودي وغيرهما** .

المصادر والمراجع

(1) Jaffery: Foriegn Uocbulary of the guran. 1938.

(٢) احمد امين «ظهر الإسلام» : ص ٢٨٩ .

(٣) رحلة ابن جبير ص٢٧٢ .

(٤) زبيد احمد - نقلاً عن اللغة العربية .

(٥) المرجع السابق في باكستان ص٢٧٠ .

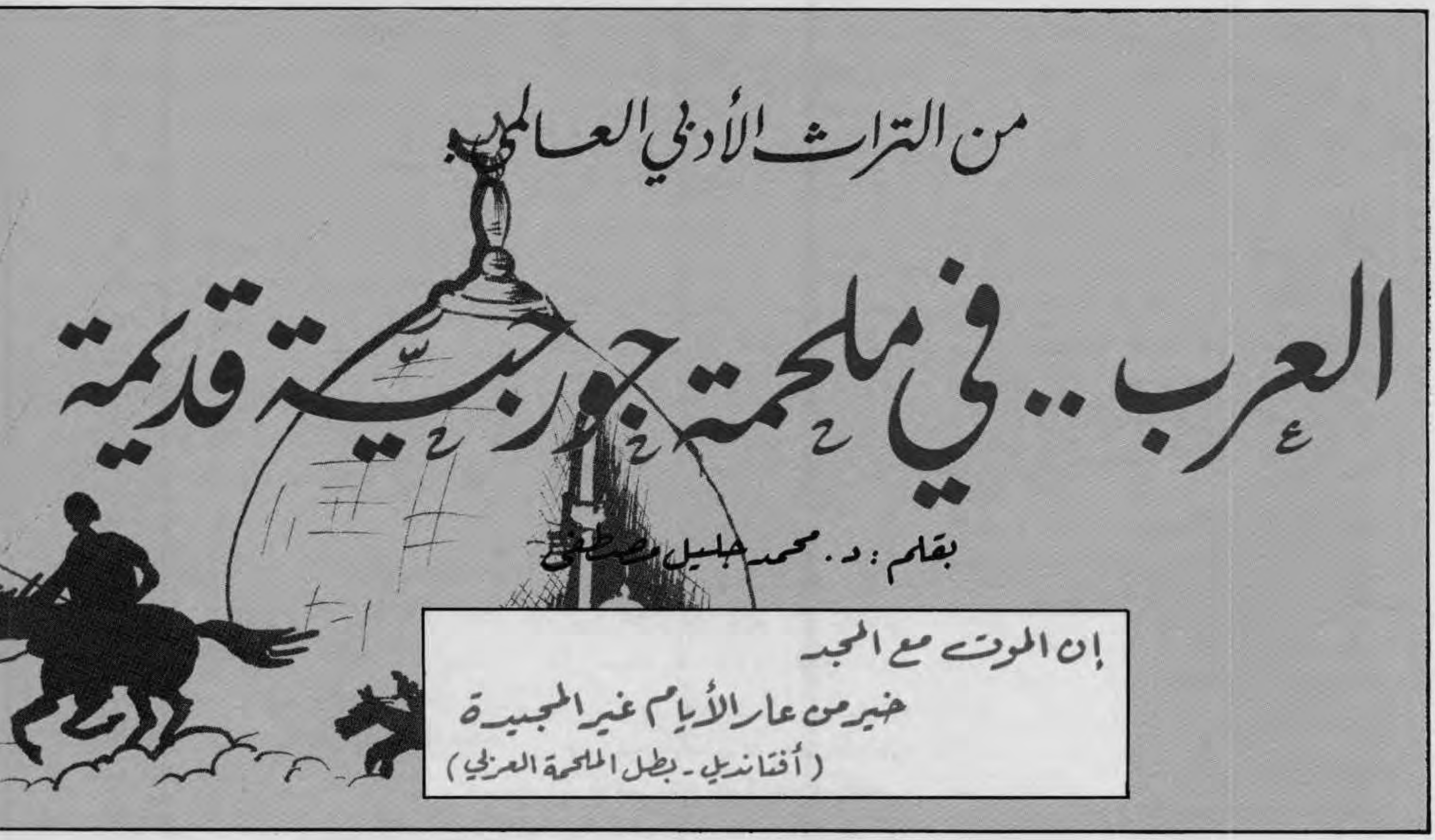
(٦) الدكتور سمير عبدالحميد - العربية في باكستان ص٢٥ - دار المعارف - مصر ١٩٨٢ .

(٧) الشيخ خليل الحامدي مدير معهد اللغة العربية .

(٨) اهمية اللغة العربية في المجتمعات الإسلامية - عبدالمؤمن املاجه يوسف ص٣ - لاهور باكستان .

من التراث الأدبي العالمي

العرب .. في ملحمة جورجية قديمة



بقلم : د. محمد جليل مصطفى

> إن الموت مع المجد
> خير من عار الأيام غير المجيدة
> (أفتانديل - بطل الملحمة العربي)

إن جمهورية (جورجيا) وعاصمتها (تفليس) ، هي اليوم إحدى جمهوريات الاتحاد السوفييتي ، وكانت في القرون الوسطى جزءًا من الإمبراطورية العربية الإسلامية المترامية الأطراف . والتأثير العربي واضح في مبانيها وآثارها وعمرانها ، وثقافتها ، وأخلاق أهلها وعاداتهم . وبالمثل ، فإن الشعب الجورجي بدوره شعب شرقي ، يشارك الشعب العربي في كثير من التقاليد والعادات والمُثُل المشتركة ، منها مثلاً لا حصراً حبّ الحرية وتمجيدها ، والكرامة الإنسانية والإعتزاز بها ، ونشدان الجمال الروحي قبل البدني ، والشرف والعقل والثقافة والعلم قبل المال والجاه والمنصب ، واحترام الإخلاص والوفاء في الحب والصداقة والرفقة والوجود العائلي والاجتماعي ، والتضحية والإيثار ، ونكران الذات ، وافتداء الوطن والشرف والكرامة بالأرواح وبالغالي والنفيس .

الشاعر

إن أشهر ملحمة جورجية قديمة هي ملحمة «**البطل في جلد النمر**» لشاعر جورجيا البارز - ومجدها الأدبي - «**شوتا روستافيلي**» .

و«**شوتا روستافيلي**» هو واحد من المفكرين الإنسانيين المنورين في عصرهم المتحمسين لوحدة البلاد ، ووجودها الوطني المستقل ، بعيداً عن تدخّلات الأعداء .

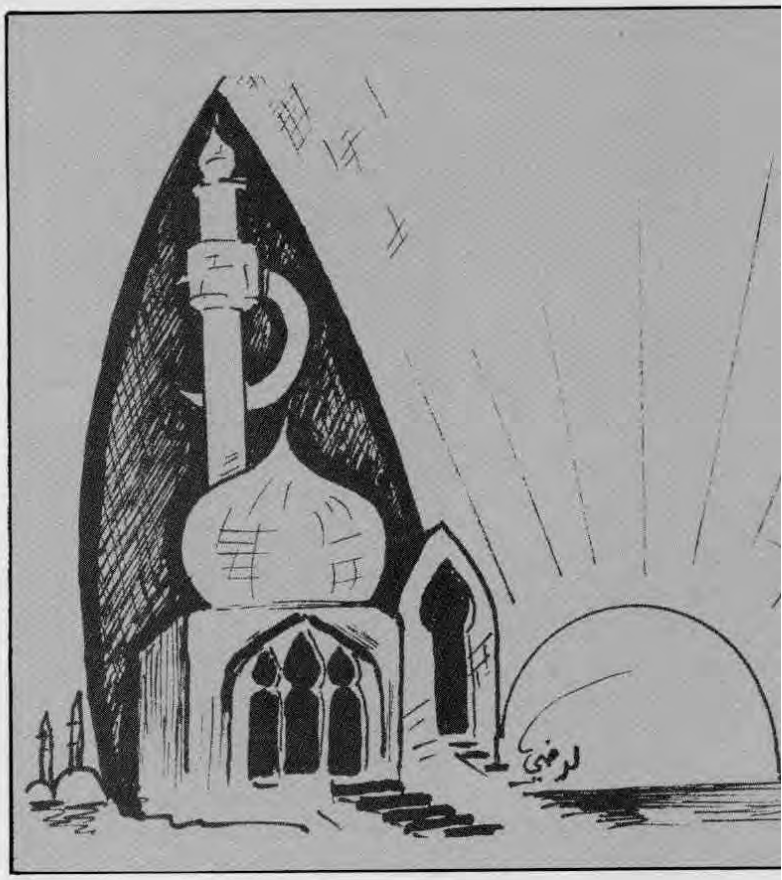
وقد نشأ «**روستافيلي**» في القرن الثاني عشر ، في أسرة فقيرة وكان عصامياً ، استطاع أن يشق طريقه بنفسه ، ليصل بلاط (**تامار**) **ملكة جورجيا** آنذاك ويغدو أحد رجال دولتها . ولأنه كان يؤثر الشعر ، والكرامة والشرف على أي شيء آخر ، وقع له ما يقع للفنانين الحقيقيين في مثل هذه الحالات فهجر البلاط الجورجي ، ليقضي حياته بين ظهرانينا نحن العرب مترهباً في (**دير الصليب**) **في فلسطين** ، وبعيداً عن دسائس رجال البلاط ودهاقنة الإقطاع[1] .

محور الملحمة

يتخيل «**روستافيلي**» ، في ملحمته ، ملكاً للعرب يسميه (**روستيفان**) ينصب ابنته (**تيناتين**) على العرش ، وهو على قيد الحياة . ولهذا الملك قائد عام ، هو شاب شجاع اسمه (**افتانديل**) . وثمة مملكة أخرى تقابل مملكة العرب ، وهي مملكة الهند تحت حكم ملكها الجورجي (**بارسادان**) الذي كان قائده العام يدعى (**تاريل**) . ومثلما كان ملك العرب بلا ولد ، كذلك كان ملك الهند الجورجي ، فليس له سوى ابنته (**نستان**) .

ويقع (افتانديل) في حب (تيناتين) مثلما يقع (تاريل) ، بالمقابل في حب (نستان) . ويتم لقاء بين (افتانديل) و(تاريل) يسفر عن صداقة متينة باتت أمثولة للأجيال . ونفهم من تضاعيف الملحمة إن (افتانديل) يحب مليكته (تيناتين) مثلما يحب (تاريل) (نستان) .

وتمتد القصة إلى خطف (نستان) معشوقة (تاريل) بدسيسة من أخت الملك - عمة نستان فيمتحن (تاريل) امتحاناً كبيراً ويعاني معاناة بالغة لكنه يكشف عن ضعف عاطفي مقابل صلابة (افتانديل) القائد العربي . لكن **الإخوان والأصدقاء إنما يتكشفون في المحن والشدائد . وهكذا يهب** (افتانديل) العربي لمساعدة صديقه الجورجي (تاريل) ، فيبحث عنه في كل مكان ، إلا أن هذا قد اختفى ، هائماً على وجهه ، في الفيافي والوهاد ، **كقيس المجنون** . وهناك يكون قد بارز الأسود والنمور فتغلب عليها ودانت له ، لكن



(تاريل) يظل رمزاً لقيم الصداقة حتى في عالم الطبيعة الرحب ، بعيداً عن دسائس البشر ومكائدهم .

لقد رأى (تاريل) أسداً يداعب نمرة ، لكنه انقض عليها فجأة ، فيتألم (تاريل) لذلك : إذ كيف للصديق أن يعامل صديقه كذلك ، وكيف ينقلب اللهو إلى غدر ؟ فيقتل (تاريل) الأسد ويتقدم لملاطفة النمرة ، لكنها ـ هي الأخرى ـ تنهش جلده فيضطر للتخلص منها ـ هي الغادرة ـ وارتداء جلدها . ومن هنا جاءت تسميته (وتسمية الملحمة باعتباره بطلها) الفارس أو (البطل في جلد النمر) .

وتطّرد الحكاية .. فيمضي (افتانديل) للبحث عن (نستان) هذه المرة ، لكي يلاقي الحبيبين . وبعد كثير من المغامرات والرحلات الطويلة والمعاناة تنتهي القصة بزواج (تاريل) من (نستان) ، بعد التغلب على **مملكة (الكاجيت)** أي **(الجن)** وبزواج (افتانديل) من حبيبته الملكة (تيناتين) ، حيث يقيم ملك العرب الكريم وليمة العرس الباذخة التي يحضرها الملوك والأمراء جميعاً ويبتهج الشعب بها أي ابتهاج .

مقارنات

هذه هي في أعرض الخطوط (إذا صح التعبير وجاز) العناصر الأساسية لمضمون **ملحمة «البطل في جلد النمر»** . وهي تذكر بملحمة **(جلجامش)** وصديقه **(انكيدو)** ، فثمة كثير من أوجه الشبه بين (انكيدو) و(تاريل) وبني (افتانديل) و(جلجامش) .

ومن ناحية أخرى فإن هذه الملحمة تذكر بملحمة **(شاه نامه) للفردوسي** ، إلا إنها تظل جورجية أصيلة ، بالرغم من تأثرات مؤلفها (روستافيلي) بالفردوسي . كما تذكر ، في الجوهر بأشعار **المعري** و**(رسالة غفرانه)** ، وبأشعار **جلال الدين مولوي** ، **وبكثير من شعر الشرق ، الذي يمجد العقل والحكمة وقيم الحرية ، والبطولة ، والوفاء والإخلاص والصداقة الحقيقة ، والحب الأصيل والذود عن الوطن** .

إننا نسمع (روستافيلي) يكرر على لسان بطله العربي افتانديل .

إن الموت مع المجد خير من عار الأيام غير المجيدة

وهو هنا يذكر **بالمتنبي** شاعر البطولة العربية حيث يقول :

عش عزيزاً أو مُتْ وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
فرؤوس الرماح أذهَبُ للغيظ وأشفى لغلّ صدر الحقود
لا كما قد حييت غير حميد وإذا متّ متّ غير فقيد
فاطلب العزّ في لظىً وذَرِ الذلّ ولو كان في جنان الخلود

الحب .. عند روستافيلي

وليست الشجاعة وحدها بكافية . إذ لابد من الرأي معها . فللرأي المقام الأول ، وللشجاعة المحلّ الثاني ، كما يقول المتنبي . وهكذا يفعل (روستافيلي الجورجي) في ملحمته هذه حيث يجعل بطله العربي (افتانديل) يستثمر كل الأسلحة : القوة حيث تنفع القوة ، والدهاء حيث يجب الدهاء .

إن موقف روستافيلي تجاه الحب مرتبط بموقفه تجاه المرأة . والحب عند روستافيلي عذري كحب مدرسة بني عذرة عند العرب (جميل بثينة ، وكثير عزة ، وقيس ليلى) . والحب عند (روستافيلي) أيضاً **هو كالبطولة** لازمة الحياة الأساسية . ويفهم الشاعر الجورجي (روستافيلي) مجنون العشق عند العرب على نحو أصيل متعاطف ويقدمه لقارئه أو سامع ملحمته إنساناً مستعداً للتضحية بحياته من أجل المعشوق :

«يُدعى مجنون العشق ، عند العرب ، ذلك المحب الذي ينشد الكمال ويسعى إليه أبداً مجنوناً به مختلط اللبّ ذلك ان نشدان القمم الشامخة يُضني البدن ويجعل المرء ذواباً ، ذاهلاً عن كل شيء» .

ولعلنا هنا مدعوون لأن نتذكر قتيل الحب العربي **عروة بن حزام** الذي كان يقول في جنون عشقه :

بذلت لعرّاف اليمامة حكمةً وعرّاف نجدٍ، إن هما شَفَياني
فما تَرَكا من سلوةٍ يعرفانها ولا رقيةٍ إلا بها رقياني
فقالا : **شفاك الله، والله ما لنا بما ضمنت منك الضلوع يدان**

وبالطبع فالحب الحقيقي الأصيل قضية كبيرة حقاً (وليس قضية صغيرة تافهة كما يعكس ذلك المحبّون التافهون الذين يغيِّرون الحبيب مثلما يغيِّرون القفازات ، أو كما تغير الأفعى جلدها !) . ومن شأن القضايا الكبيرة أن تضني الروح والبدن على حدٍ سواء . وكما يقول المتنبي :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبتْ في مرادها الأجسام

إن أصول العشق ، وتقاليد الحب والصداقة واحدة لدى العرب والجورجيين . فإن لوعة مجنون العشق الجورجي توازي لوعة مجنون العشق العربي .وكذلك القول عن المعاناة لدى الحبيبة العربية والجورجية .

تقول (نستان) الجورجية في رسالتها إلى حبيبها (تاريل) :

«آه لا تفكر ، ياحبيبي أن أحداً غيرك ينالني !

العرب.. في ملحمة جورجية قديمة

إن لم تكن أنت بجنبي ، **فكل شيء في هذه الأرض غريب عليَّ**
خيرٌ لي أن اقطع بسكين ، قلبي الغاطس في لجة التلاشي .
أو أن ينالني جنّيٌ شرِّير» .

وبالمقابل (وقبل ذلك) ، كان المجنون **قيس ليلى** الشاعر العربي العذري المشهور قد قال فيما قال في معاناته في العشق[٢] .

كأن فؤادي في مخالب طائر اذا ذكرتُ ليلى يشد بها قبضا
كأن فجاج الأرض حلقة خاتم علىَّ فما تزداد طولاً ولا عرضا

ويشيد (روستافيلي) بمُثُل الصداقة والوفاء بالعهد والشهامة العربية فيجعل ملكه بلاد العرب (تيناتين) تحمل حبيبها الفارس العربي (أفتانديل) على المضي للبحث عن صديقة الجورجي ، العاشق الهائم في البرية (تاريل)[٣] :

«لا تهن الكلمة التي منحتها لصديقك..
عُدْ إلى الهائم وانجِزْ وعدَك..
إهده الأمل.. وامنحه طريقاً إلى الحبيبة»..

ولا تلبث معاناتها أن تلتحم بمعاناة الآخرين ، فالحب واحد ، معاناته واحدة وقضيته واحدة مشتركة :

«ولكن آهٍ لي.. فحين تمضي أنت يا شمسي
يستحيل النور عندي إلى ظلمة»..

رقم الملحمة

وقد مجّد شاعرنا الجورجي (روستافيلي) فضلاً عن كل ما تقدم **قيم الحرية والتكافل والمشاركة الإنسانية لدى العرب (والمسلمين عموماً)** . ومثل هذه المشاركة هي لون من التكافل الاجتماعي (البدائي) الذي كان في صميمه تعاطفاً مع المظلومين والفقراء وهو امتداد لمنطق حكم الإسلام العربي ومُثُله الإنسانية الجليلة .

فها هو (أفتانديل) العربي يوصي بتوزيع ثرواته ، في حال وفاته ، بين الفقراء وحل مشكلات المظلومين والمعذبين في الأرض (بالشكل الذي تسمح به أعراف ذلك العصر طبعاً) :

«ثرواتي لا يحصيها أحد..
وزّعها بين من لا يملكون المأوى
وأعتق العبيد»

«.. واخفض جناح الرحمة للفقراء فسيذكرني بالحمد والثناء
كل من سيملك سقفاً فوق رأسه» .

صورة العربي

هكذا قدم شاعرنا الجورجي (شوتا روستافيلي) العرب وبمثل هذا الإشراق والروعة كانت صورة العربي في الأدب الجورجي القديم .

والحق فإن صورة العربي كانت مشرقة عموماً مثلما كانت الموضوعة العربية غنية حافلة ليس في الأدب الجورجي فحسب بل وفي عديد من الآداب العالمية (كالأدب الأرمني ، والأذربيجاني ، والطاجيكي ، والروسي ، والأوكراني ، والهندي ، والصيني ، والياباني) ، وكذلك في كثير من الآداب الأوروبية أيضاً (ولعلنا متحدثون عن ذلك في مناسبات قادمة لقراء مجلة «الفيصل» الغراء بإذن الله) .

وإن دلّ هذا على شيء فإنه يدل على عمق معطيات الحضارة العربية وأصالتها وأصالة أدبها وثقافتها وأصالة **قيمها التي تتغلغل في الأرواح والنفوس في شعوب الشرق والغرب على حدٍ سواء .**

الهوامش

(١) اشتهر روستافيلي بشعره الملحمي ، وبشعره الحكمي ، حتى إن حكمه باتت مضرب الأمثال في جورجيا وما يليها . وقد اصدرت أكاديمية العلوم الجورجية في تفليس كتاباً في حكم روستافيلي ومأثوراته التي كان الكثير منها قريباً جداً من حِكَمنا العربية بسبب الخصائص المشتركة المميزة لروحية وسيكولوجية الأمتين العربية والجورجية والمناخ الشرقي المشترك .

(من لا ينشد لنفسه صديقاً فهو عدو نفسه) ، (ليس ثمة شرف يفوق بذل المهجة في سبيل الصديق) ، (إن تقل الحق لن تعسر عليك الحكمة حتى في ديار الغربة) ، (إن التحمت قوانا لن تنفصم اخوّتنا)... إلخ .

وقد احتفلت الاونسكو قبل فترة قريبة بميلاد روستافيلي وترجمت ملحمته إلى اكثر من (٥٠) لغة من لغات شعوب العالم في **أوروبا و آسيا و افريقيا** .

(٢) تروي كتب العشق العربية صوراً رائعة في الحب العذري ، الذي كان قوامه النظر والحديث فقد قيل إن بثينة دخلت مجلس عبدالملك بن مروان فبادرها بالقول : والله يا بثينة ما ارى فيك شيئاً مما كان يقول جميل فاجابت : انه كان يرنو إليَّ بعينين ليستا في راسك ! قال وكيف صادفَتِهِ في عفته ، فقالت : كما وَصَف نفسه ، فقال :

لا والذي تسجد الجباه له ما لي بمادون ثوبها خبر
ولا بغيها ولا هممت به ما كان لي إلا الحديث والنظر

ويقول الشاعر العربي في وحدانية المحبوب والتكريس للحب المخلص الحقيقي :

احب حبيباً واحداً لست ابتغي مدى الدهر عنه ما حييت بديلا
فإن ظفرت كفي به فهو بغيتي وإن فات ما ابغي سواه خليلا

اما ابن الرومي فيفسر الحب بأنه التحام الروح بالروح :

اعانقها والنفس بعد مشوقة إليها وهل بعد العناق تدان
والثم فاها كي تزول صبابتي فيزداد ما القى من الهيمان
كأن فؤادي ليس يشفى غليله سوى أن يرى الروحين تمتزجان

(٣) يُجل الشعب الجورجي (والشعوب الشرقية عموماً) الصداقة والصديق ، ويرتفع الصديق إلى مصاف الأخ وقد يفوقه . وتجيز تقاليد بعض القرى الجورجية للصديق الزواج من أرملة صديقه (مثلما تجيز عندنا التقاليد في بعض المناطق ، الزواج من ارملة الأخ حفاظاً عليها وعلى اطفالها ، وصوناً للأسرة من التشتت والإنفصام) . وفي بعض الأمثال الجورجية مقولات رائعات منها أمثال وردت في ملحمة روستافيلي نفسه ، حيث يقول : (لا يهجر الصديق صديقه رغم كل المحن والشدائد) ، (لكشف الصداقة لدينا ثلاث طرائق معتمدة : عدم تمني مفارقة الصديق ، وان يكون الصديقان دائماً معاً ، والإهداء من أعماق القلب وليس مداراة ومجاملة ، والإسراع في عون الصديق في ساعة الشدة) . وقد اكدّت الحكمة العربية قيمة الصداقة ورفعتها إلى أسمى الدرجات حتى قالت : المرء بصديقه ، ولا تَسَلْ عن المرء بل سَلْ عن صديقه ، ورُبّ اخ لك لم تلده امك ، وان من لا اخاً له كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح ، والصديق عند الضيق ، وعند الشدائد تُعرف الإخوان ، وغير ذلك كثير . بل إن الحكمة والأخلاقيات العربية تعتبر الصداقة أو اختيار الصديق ونوعيته باباً لمعرفة الإنسان نفسه وكشف دخائله .

أهم المصادر والمراجع

(١) ديوان روستافيلي .
(٢) مجلة (جورجيا الأدبية) أعداد مختلفة .
(٣) حكم ومأثورات روستافيلي (من إصدار معهد روستافيلي للآداب ، أكاديمية العلوم الجورجية) .
(٤) دواوين (المتنبي ، وابن الرومي والمجنون ، وجميل بثينة ، وكثير عزّة) .
(٥) دراسة مقارنة في الأمثال ، لكاتب السطور، ١٩٧٨م .
(٦) مخطوطة كاتب السطور المعدّة للنشر (في شعر الحب عند العرب) .

لا ..
للمُتَسَوِّلين!



إذا كنت مواطنًا فأنت تُشَوِّه الوجه الحضاريّ لبلدك. وإذا كنت قادمًا فهذه البلاد ترحب بك عاملاً نافعًا لا مُتَسَوِّلاً.

مَع تحيات

سابك

الشركة السعودية للصناعات الأساسية

والشركات التابعة لها

سابك للخدمات التسويقية · سافكو · الرازى · ابن سينا · بتروكيميا · سماد · حديد · صلب · غاز · ينبت · صدف · كيميا · ن حيان · سابك للتسويق

الواقعية معالم في الطريق

إعداد : قسم الترجمة

سارت أعمال الكاتب المسرحي الفرنسي إميل أوجيه Emile Augier (١٨٢٠ ـ ١٨٨٩م) على درب معاصره الكسندر دوماس الابن في توجهها نحو نوع من الواقعية الاخلاقية أي العمل الفني الذي يرصد الواقع ولكن من وجهة نظر أخلاقية تعليمية ومن منطلق هدف إصلاحي يرمي إليه الكاتب . وهي وجهة نظر يرفضها الواقعيون الأصوليون ـ إذا جاز التعبير ـ لأنهم يرون أن وظيفة الكاتب الواقعي هي تصوير الواقع كما هو . والمجتمع في نظرهم مملوء بالشرور ، وبالتالي فعلى الكاتب الواقعي أن ينقل هذا الواقع إلى خشبة المسرح دون اي تعديل أو تعليق أخلاقي وهو ما يعتبر في نظرهم تصويراً مثالياً غير واقعي .

مسرحيات أوجيه

بدأ إميل أوجيه حياته الأدبية سنة **١٨٤٤م** بكتابة المسرحيات الشعرية ولكنه في غضون سنة ١٨٥٠م اتجه للكتابة للمسرح النثري واجتذبته قضايا عصره الاجتماعية . وكان أول عمل له في هذا الاتجاه مسرحية « **ربيب السيدة بيرير** » **The Son in Law of M. Poirier** التي كتبها **سنة ١٨٥٤م** . وكانت هذه المسرحية وما تلاها قد جعلته في مقدمة الثائرين على إفراط الرومانسية ، وتعتبر هذه المسرحية نوعاً من **ملهاة السلوك Comedy of Manners** في القرن التاسع عشر ، فقد سجلت الصراع الدائر بين الطبقة الارستقراطية والطبقة الوسطى النامية الثراء بطريقة تنتهي فيها المسرحية إلى حل عاطفي حيث تتصالح الزوجة مع زوجها الذي ينتمي لطبقة النبلاء وفي نفس الوقت ترضي والدها البرجوازي الغني .

وفي سنة ١٨٥٥م قدم مسرحية « **زواج الاولمب** » **Olympe's Marriage** التي اعتبرها النقاد رداً على مسرحية **غادة الكاميليا لدوماس الابن** ، فقد صور **إميل اوجيه** حياة امرأة ساقطة كما هي في الواقع دون أية نظرة أخلاقية أو تعاطفية فجاءت على العكس من الكاميليا التي ينتهي الجمهور بالتعاطف معها ، والحقيقة أن مسرحية **أوجيه** أقرب في تصويرها إلى مسرحية « **نصف العالم** » **لدوماس الابن** منها إلى « **غادة الكاميليا** » ، فقد اهتم **أوجيه** بتصوير العواقب الوخيمة التي يسببها زواج امرأة ذات ماض مشين من رجل نبيل أو ثري . وفي مسرحية « **الشباب** » **Youth** التي كتبها سنة ١٨٥٨م صور جوانب الفساد في حياة المدن الكبرى وتفكك العائلة بسبب خيانة الزوجة . وفي مسرحية « **الوقحون** » **"The Impertinent"** (١٨٦١م) يهاجم انحراف الصحافة والقوة الهائلة التي يتمتع بها الصحفيون ورؤساء الصحف وطريقة استغلالهم غير السليم لهذه القوة . وقد أنهى **أوجيه** حياته بكتابة أقرب أعماله إلى الواقعية وهي مسرحية « **السيدة كافرلت** » **Madame Caverlet** (١٨٧٦) التي حاول من خلالها معالجة المشكلات الاجتماعية المتعلقة بالطلاق .

أثره ومكانته

وعلى أية حال يرى الواقعيون أن مسرحيات **أميل اوجيه** أقل عيوباً من مسرحيات **دوماس الابن** فقد حاول أن يكون موضوعياً نوعاً ما في تصوير الأطراف والطبقات كافة **كل من وجهة نظر** الشخصية نفسها ، ومن ناحية البناء المسرحي حاول **أوجيه** إخفاء ملامح « **المسرحية المتقنة الصنع** » التي استفاد منها كما حاول أن لا يجعل رؤيته الأخلاقية وأهدافه التعليمية واضحة وضوحها في أعمال **دوماس الابن** بل ألبسها قناعاً من الاعتدال . ومن هنا يحتل **اميل اوجيه** مكاناً وسطاً بين مسرحيات **يوجين سكريب** المتقنة الصنع ومسرحيات **أبسن** التي تمثل النضج الواقعي . المهم أن أعمال كل من **الكسندر دوماس الابن واميل اوجيه** كانت الارهاصات الأولى للواقعية في فرنسا وإن لم يرض عنها الواقعيون كل الرضا بسبب التزامها الأخلاقي القسري . وقد سجل لهما تاريخ المسرح الحديث بأنهما لم يكونا من الكُتّاب المبدعين والمنتشرين في **فرنسا وحدها ، بل تجاوزاها إلى البلاد الأوروبية كافة .**

توماس روبرتسون

أما في بريطانيا فإن الارهاصات الأولى للواقعية بدأت مع أعمال **توماس وليم روبرتسون Thomas William Robertson** (١٨٢٩ ـ ١٨٧١م) الذي يعتبر رائد الاتجاه الواقعي في الملاهي (الكوميديا) الاجتماعية التي أخرجها وأنتجها أو التي كتبها . ففي الفترة ما بين **١٨٦٥ إلى ١٨٧٠م** تفرغ **روبرتسون** لكتابة مسرحيات أسست شهرته كمؤلف واقعي يتعرض لقضايا عصره الاجتماعية فكتب مسرحيات مثل :

المجتمع Society (١٨٦٥م) و« **لنا** » **Ours** (١٨٦٦م) و« **الفئة المنغلقة** » **Caste** (١٨٦٧م) **ومسرحية Play** (١٨٦٨م) **ومدرسة School** (١٨٦٩م) .

وهكذا تدل عناوين مسرحيات روبرتسون على موضوعاتها ، **وكان تَمَرُّسُ الكاتب بالإخراج والانتاج المسرحي قد أعانه على اعطاء صور مقنعة لمشاهدة المسرحية ، فيسهل التعرف على شخصياته كنماذج حية في المجتمع . وبالمثل ابدع روبرتسون في معالجة عُقد مسرحياته واستطاع أن يجعل الحوار سهلاً وقريباً من لغة الحوار في الحياة اليومية ، وكمخرج مسرحي أرسى روبرتسون قواعد العمل**





توماس وليم روبرتسون



هنريك إبسن

الجماعي في التمثيل والإهتمام بالدقة والتفاصيل الواقعية فيما يتبع المشهد المسرحي من تصوير كامل للبيئة التي يدور فيها الحدث لدرجة أنه يصعب فهم مسرحياته بدونها . لذلك فإن وصف المشهد المسرحي في مسرحياته يحتل مساحة كبيرة قبل البدء في الحوار . وهكذا أصبح تجديد روبرتسون في طرق الإخراج المسرحي واتجاهه به نحو الواقعية لا يقل أهمية عن إنتاجه المسرحي بل يعتبره بعض النقاد أكثر تأثيراً في المسرح الانجليزي في زمنه من مسرحياته نفسها .

الواقعيون الأوائل

ولقد ظلت خطوة **روبرتسون** نحو الواقعية في المسرح الانجليزي يتيمة لمدة لا تقل عن عشرين عاماً من بعده حتى يأتي من يواصل هذا الاتجاه . ومن هذا نخلص إلى أن جهود كل من **الكسندر دوماس الابن** ، **واميل أوجيه وتوماس وليم روبرتسون** كانت بمثابة الارهاصات لظهور الواقعية في المسرح الأوروبي ووضع حجر الأساس لها في المرحلة الانتقالية التي يحددها النقاد الغربيون بالفترة من ١٨٥٠م إلى ١٨٧٠م .

ومهما يكن النقد الذي يُوجه لانتاج كُتَّاب هذه الفترة فإنهم هم الذين مهدوا الطريق لكبار أدباء الواقعية الذين جاءوا من بعدهم في سبعينيات القرن التاسع عشر وفي مقدمتهم **هنريك إبسن** .

المصادر

(1) Savin, Maynard, Thomas William Robertson His Plays and His Stragecraft Providence, R.I., 1950.

(2) Smith, Hugh, A Main Currents In Modern French Drama, New York, 1925.

(3) Watson, Ernest, Sheridon to Robertson; A study of the 19th Century London stage Cambridge, Mass., 1926.

(4) Weinberg, Bernard, French Realism: 1830-1870, Chicago, 1937.



الجزيرة تكفيك



تثري مساءك

المسائية

تصدران يوميا عن، مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف ٤٠٢٥٥٥٥ ، تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.




العلوم البحرية عند العرب
تحقيق وتحليل
كتاب الفوائد
في
أصول علم البحر والقواعد

العلوم البحرية عند العرب

تقديم : وجيه الشربجي

تجاه الجهود المنظمة الهادفة إلى التعتيم على حضارة العرب ، لا بد من تسليط الأضواء على التراث الفكري العربي ، والغوص في أعماقه ووضع أوثق مصادره في متناول المثقفين من مختلف الجنسيات وبخاصة تراثنا العلمي الذي يشتمل على كنوز ضخمة في شتى فروع المعرفة .

ومطالبتنا بالتمسك في إحياء التراث ، ليس معناه أن ننسلخ عن الحاضر ونصبح سجناء للماضي ، بل نحاول استخدام الماضي لصالح الحاضر والمستقبل .

في هذا الإطار ... نقدم للقارىء العربي موسوعة نفيسة ، تبحث في العلوم البحرية عند العرب . صاغها عالم عربي ، عرف عنه بأنه الربان الذي أرشد **فاسكودي غاما** إلى «**كلكتا**» في الهند عام ١٤٩٨م ، وإن الاطلاع على ما جاء فيها من معلومات ثمينة وتجارب ميدانية ، يؤدي إلى مزيد من الاعتراف بثروة السلف الفكرية ، واعتبارها **جزءاً** «عظيماً» من الثروة الثقافية العالمية عبر العصور .

إن كتاب «**الفوائد في أصول علم البحر والقواعد**» المخطوط النادر من تأليف العلامة **شهاب الدين أحمد بن ماجد النجدي** قام بتحقيقه الباحثان **ابراهيم خوري وعزة حسن** . وطبعه **مجمع اللغة العربية** بدمشق عام ١٩٧١م تمشياً مع خطته في أحياء التراث والبحث عن مكامنه وتوثيقه؛ وقد أشار المحققان في مقدمة الكتاب إلى الأهمية العلمية لمصنفات ابن ماجد ، فهي مرجع فريد للعلوم البحرية في **القرون الوسطى** فيما يتعلق **بالمحيط الهندي والبحر الاحمر والخليج العربي** .. وسجل حافل بالمعارف البحرية والجغرافية والحضارية عن سواحل افريقية الشرقية وشبه الجزيرة العربية وجنوب آسيا وجنوبها الشرقي .

يستمد المخطوط قيمته التراثية لكون عمره تجاوز خمسة قرون ، فقد انتهى ابن ماجد من كتابته في عام ٨٩٥ للهجرة ، وقام (**غابربيل فران**) بنشره في **باريس** مصوراً عام ١٩٢٣م ، والمعروف حتى يومنا هذا ، إن للمخطوط **ست نسخ فقط** ، كتب بعضها بخط جميل مشرق ، **الأولى** : موجودة في **باريس** ، **والثانية** في **دمشق** ، **والثالثة** في **بغداد** ، أما **الرابعة** ففي **الاتحاد السوفييتي** ، **والخامسة والسادسة** في **البحرين** .

وقد أوضح الباحثان في منهج التحقيق ، انهما اعتمدا في تحقيق كتاب الفوائد على نسخة البحرين الأولى ونسخة **المكتبة الوطنية في باريس** . **ونسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق** ، **وتوخيا** تقديم نص صحيح كما وضعه المؤلف وعدم اثقال النص بالحواشي وإيراد العبارات المقحمة في الأصل المعتمد ، وابراز التباين بين النسخ ، والحقا بآخر الكتاب خمسة فهارس تشتمل على أسماء الأماكن والجزر والبلدان والمناطق الجغرافية والكواكب والاشخاص والكتب الواردة في المخطوط .

يقع كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد في نحو خمسمائة وثلاثين صفحة مطبوعة ، ويتألف من مقدمة عامة وضعها الأستاذ إبراهيم خوري وترجمه لحياة المؤلف ، ومنهج التحقيق والمراجع التي تم الاسترشاد بها ، إضافة إلى العديد من الفهارس التي وثقت الكتاب .

العلوم البحرية عند العرب



أما المخطوط نفسه فقد اشتمل على مقدمة المؤلف ابن ماجد والعديد من الفوائد التي تتعلق بعلم البحر والفلك والجزر والأسفار .

عرض ابن ماجد في المقدمة الغرض من تأليفه هذا الكتاب فقال في شرح ذلك بعد أن ذكر أهمية هذا العلم :

فرتبنا هذا الكتاب ليترقى الإنسان به ، إن أمكنه معرفة الدائرة والأطوال والعروض ، ومعرفة جهات **الكعبة** ومعرفة الأرياح الأربع . وهي الشمال والدبور والجنوب والصبا . وهذه الأرياح الأربع هي الشهيرة في الدنيا ، وأما في اصطلاح الناس فهي كثيرة ، كل بلد لهم اصطلاح .

فإن قدر الإنسان أن يفعل شيئاً بغير معرفة البحر وحسابه فليفعل ، وإذا عجز عن قبلة المدن والجزر اللواتي في البحر المحيط فليفعل بعلمنا هذا .

فاجتهد فيه فإنه علم نفيس ، ولا يتم إلا تمام العمر ، ومن لا يدركه كله لا يتركه كله ، وينبغي لعارف هذا العلم أن يسهر الليل ويجتهد فيه غاية الاجتهاد . ويسأل عن أهله ومن حزبه حتى يحصل مراده ، لأنه علم عقلي لا نقلي ، فكثرة السؤال فيه ترقية ... فيعلم ما لا يعلمه أحد غيره ، فتتم به رئاسته ، لأنه **من ادّعى الرئاسة بغير كمال أسبابها وأدواتها** وهيئتها فقد أخطأ ...» انتهى .

وتحدث المؤلف في الفوائد عن : أصل فنون علم البحر وأسباب ركوب البحر والمنازل وتركيب المركب والعسكر .. ودورة البحر في جميع الدنيا .

فقد جاء في الفائدة العاشرة وصفٌ علمي وجغرافي للجزر الكبار مثل **جزيرة العرب** ، **وجزيرة جاوة** ، **وجزيرة القمر** ، **وسيلان** ، والبحرين ، **وزنجبار** ، والعور ، وقد اشتملت الفائدة الحادية عشرة على مواسم السفر والخروج من بر العرب وبر الهند والسند والخروج من بندر **جدة** .

وفيما يلي فقرة يبين فيها ابن ماجد صيانة السفن والصفات التي يجب أن يتحلى بها قائد السفينة المثالي . وإذا أمعنا النظر فيما أشار إليه نجد أن بعض المعارف الدقيقة الواردة في النص تنطبق على الشروط المطلوب توافرها حالياً في **القبطان** في وقتنا الحاضر لينجح في مهمته ، فهو يشرح بموضوعية طريقة قيادة السفينة وأسلوب معاملة البحارة والمسافرين والجنود من الناحية الاجتماعية والنفسية والمهنية فقال :

تأمل في السفينة وهي فوق الأرض ، واكتب جميع خللها ، قليل في زماننا من يفعل ذلك في الناس ، وانما القول على أهل الكمال . واعلم وفقك الله إذا ركبت فيها فانصب عوداً ، وفيه خرقة كتان أو حرير أو قطن لتعرف منه مضرب الريح من أي خن ، وجلس الحقة لأن شيئاً من المراكب يكون في نجارته خلل ، فيعدل بك عن مجراك . فاستدرك الأمر بأوله وتأمل الحاقه بالليل . وحطه في مكان يوافق المكان الذي حكمت عليه بالحقة في النهار حتى لا يكون بالنهار مجرى ، وبالليل مجرى ، وبطول الطريق ، فحكم جميع ذلك أول سفرك وتفقد جميع الركاب والعسكر ، واسمع جميع اقوالهم ، وخذ مليحها واترك قبيحها ، وكن حازماً قوياً في كلامك وأقوالك وأفعالك لين الطبيعة ، ولا تصحب من لا يعطيك في ما يعنيك . فلا تجد لك في الشدائد والمصائب شريكاً وكن شجاعاً حازماً ذا **بأس** ، قليل الغفلة كثير الهمة كثير الصبر والاحتمال في كل الأشياء تقياً ، لا تظلم أحداً لأحد ، وتأمل جميع آلات السفينة خصوصاً في السكان في كل حين وساعة ، ولا تر خللا في السفينة وتهمله . إلى وقت آخر ، واختصر الشحنة والحذر كل الحذر إذا استشارك عدوك في السفينة ، فإنه لم يستشرك إلا عند فساد الأمر مقصوده أن يشركك في الشر والتعب والامتحان .

وينبغي أن يعرف المعلم الطوفان واشاراته ، فما عندنا فيها أصح للمطر من حرارة الماء وتغير الرياح ، وأما الطوفان الخطر فله ثلاثة منادل **كطوفان أربعين النيروز** ، تقطع الغيم كجلود البقر والبرق) انتهى .

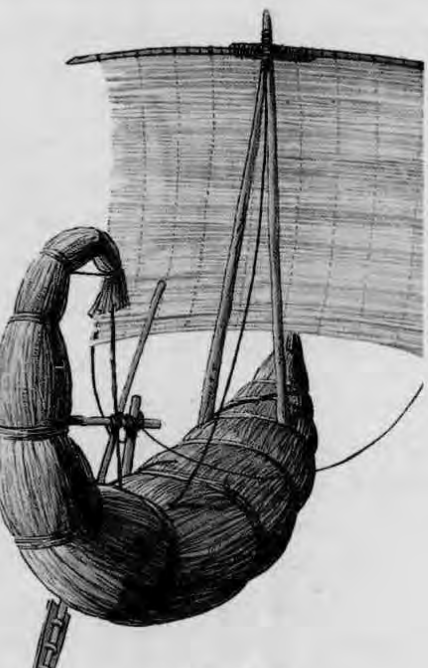
أما في وصفه للجزر والمدن الساحلية فإننا نلاحظ أنه توقى البحث العلمي الصرف ، وابتعد عن الوصف السياحي السطحي ، فقد ذكر ما في الجزيرة من سواحل وجبال ومدن وأغوار . إضافة إلى شرح واف لحياتها الاقتصادية والبشرية ، وما تحتوي من معادن ومهن .

فهو يقول في وصف **جزيرة سيلان** الجزيرة السادسة: وهي سيلان على شمالي خط الاستواء ، وعلى جنوبي بر **السوليان** آخر بر الهند من الجنوب والمشارق ، ولها عدة سلاطين ، وهي جزيرة قريبة الاستدارة يدورها الماشي في البر برجله ، مسيرة عشرة أيام أو أقل أو أكثر .

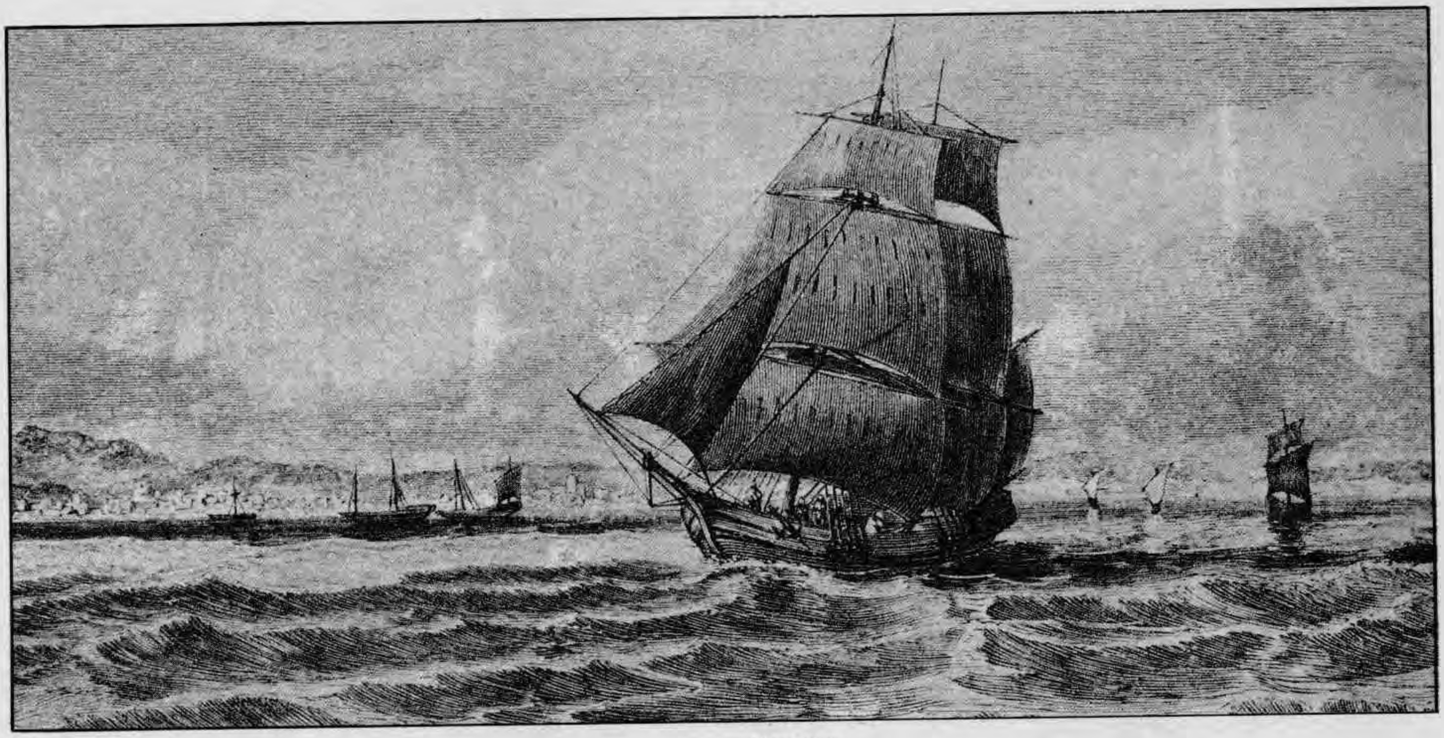
وبينها «**دير قائل**» فيه معدن لؤلؤ . يعمر في بعض السنين ويخرب في بعض السنين ، ومعدن الأفيال والقرفة والياقوت النفيس ...

وعلى جنوبي تلك الجزيرة على مسيرة أربعة أيام في البحر أو أقل أو أكثر **جزر الذهب** ، وتسمى بالعجمية «**تيرم**» ، وقيل إن جزر الذهب يضربهن الموج بغير ساحل .

ثم يصف جزيرة شمطري (الجزيرة الثالثة جزيرة شمطري ، وهي الجزيرة التي يمر بها خط الاستواء ، قال من لا علم له يمر على شماليها وقلنا على جنوبيها .. فإن نسبت **وادي سرنديب** لهذه الجزيرة صح ، لأن العروض تؤخذ من القطب لا تؤخذ من نجم **الجدي** . الذي هو **السميا** ، وبالعجمية **الجاه** .. وشمطرى لها عدة سلاطين وهي معدن الأفيال



قارب مصري مصنوع من نبات البردي .. مجداف واحد وشراع محمول على ساقين



سفن وبواخر

البيض والكافور والزباد الخالص المباع بوزن الذهب وشماليها عليه الفراقد ثمان إلا ربعاً . وعلى جنوبيها الفراقد أربع ضيقة ...) انتهى .

أحمد بن ماجد بن محمد السعدي شهاب الدين ، ولد في **نجد؛** أما تاريخ ولادته فمجهول والمتفق عليه أنه بعد عام (٩٠٤هـ - ١٤٩٨م) كان بين الأحياء ، لقب (**بالسائح ماجد**) . واشتهر في عصره بأنه **معلم البحر الأول** .

من صفاته ، أنه كان ثقة غزير العلم كثير الضبط ، **متواضعاً كثير الصمت ، وقد جاء في الاعلام للزركلي أنه كان من كبار ربابنة العرب** في البحر الأحمر ، وخليج البربر ، والمحيط الهندي ، وخليج بنغالة ، وبحر الصين ، ومن علماء فن الملاحة . وتاريخه عند العرب .

فقد ذكر (**برتن**) الانجليزي أن بحارة عدن سنة ١٨٥٤م كانوا إذا أرادوا السفر **قرؤوا** الفاتحة (للشيخ ماجد) **مخترع الإبرة المغناطيسية** والمراد بالشيخ ماجد صاحب الترجمة هذه .

وقد أجمع الذين ترجموا لابن ماجد أن له مصنفات كثيرة نذكر منها :

حاوية الاختصار في أصول علم البحار .

المراسي على ساحل الهند الغربية .

القافية في قياس النجوم التي يستعملها أهل البحر .

أرجوزة تبحث في شؤون البحر .

السبعية فيها سبعة علوم من علوم البحر تمر الفراسة والاشارات .

كتاب المول . يستعرض السواحل في المحيط الهندي .

وأخيراً يبقى كتاب «**الفوائد في أصول البحر والقواعد**» من أبرز كتب التراث التي تناولت العلوم البحرية عند العرب . وأن الجهود الخيرة التي بذلها المحققان لإخراج المخطوط من ظلمات الخزائن إلى عالم القراء الواسع ومحاولات بعض المؤسسات الثقافية العربية بعث تراثنا الفكري المخطوط من جديد من خلال ثوب لغوي أصيل ، تمهيداً لاعادة توظيفه في احتياجات العصر . إن هذه الخطوات الجادة سواء كانت على مستوى الفرد أو الجماعة . بات تصعيدها ضرورة ملحة . لتأكيد أصالة الهوية العربية في مواجهة التحدي الثقافي والعلمي والعالمي .



ساو جابرييل : الباخرة التي دار بها (فاسكو دي جاما) حول راس الرجاء الصالح ، ثم واصل بها إلى ساحل الهند عام ١٤٩٧م

أغنية حبٍ.. للوطن العربي

شعر: محمد منذر لطفي



عشقتُ أرضَكَ.. تاريخاً وإنسانا ... وهمتُ بالبحر.. أنساماً وشطآنا

ورحتُ أهوىٰ سماءً فيكَ رائعةً ... طاف الجمال بها.. فارتدَّ نشوانا

يا أنتَ.. يا ملء عين الدهر ياوطني ... سقيتَني الحب ألواناً.. وألوانا

أهواكَ في رقَّة الأنسام.. في فَنَنٍ ... شادٍ يُسلسل أطياباً وألحانا

مُضمَّخ بأريج الزهر.. مُؤْتلقٍ ... ضاء النَّدى فيه أزهاراً وأغصانا

أهواكَ في واحةٍ خضراءَ وارفةٍ ... في نبعها.. في رياض النخل تلقانا

أهواكَ في موكب الراعي.. وعالمه ... في بُحَّة النَّاي غنَّانا فأشجانا

في ضحكة البدر، في عُرس النجوم، وفي ... ليل تضوَّعَ عِطراً من حكايانا

أهوى جبالَكَ ما تنفكُّ شامخةً ... تبغي السحاب زَرافاتٍ ووحدانا

كأنها.. وصروفُ الدهر تطلبها ... عزَّتْ عليه ذُؤاباتٍ وأردانا

تُعلِّم الجيل أنَّ المجد يصنعهُ ... من عانق النجم.. لا من نام إذعانا

ياموطن الحسن ما أبدعتُ أُغنيةً ... إلا وأمستْ على الأيام بُستانا

غنَّيتُ فيكَ الهوىٰ والمجد يحملني ... شوقُ المُحب الذي مازال ظمآنا

غنيتُ وجه «فلسطينٍ» يُسامرنا ... ويحمل العتْب.. يأتي القوم غضبانا

يقولُ: أين الأُباةُ الصيد.. أين همو؟ ... وأين من نَهدوا للثأر عِقبانا؟

وأين من صنعوا التاريخ وامتشقوا ... للفتح سيفاً.. وللتحرير بركانا؟

وأين من ركزوا في النجم رايتهم ... ومن أضاؤوا الدُنىٰ عدلاً وإحسان؟

أجبتُهُ.. ورياحُ الشوق تغمرني ... مهلاً.. فإنَّ لنا في القدس عنوانا

كان الثرى عربياً في ملاعبها ... وسوف يبقى الثرى فيها كما كانا

ياموطن المجد ما جفَّتْ حكايانا ... هانَ الغُزاةُ، وشعب العُرْبِ ما هانا

سلْ سامر الدهر عنا.. عن ملاحمنا ... هل كان يعرفُ معنىٰ المجد لولانا؟

فنحن أكرمُ شعبٍ ضمَّه وطنٌ ... شعبٌ.. لغير الإله الحقِّ ما لانا

• لأن المسألة أسرع مما تظنون/ تخيلوا .. أيها البجع/ أن الأرض في الماء غاصت/ صمتت .. بردت/ ماتبقى لكم/ من الأرض .. الظلال • ..

جوتا شوتنج

• سوف أدافع عنكم/ من خلال عظام أرغوني • ..

بريجيت شويجر

• كوكب من الحرارة الملتهبة/ على مصير الناس يحلق/ حول أولئك الذين من قبل ماتوا/ واللاحقين بهم/ في المدافن والحفر/ ...... / ثم يحاصر المدينة • ..

هاينز تشيكوسكي

• كل ما تبقى لي/ أن آخذ/ هذا أو ذاك/ الغصن الصغير/ زخرفات أواخر الخريف • ..

مرجريت هانسمان

• الطيور .. بالأسف .. الطيور/ تُسوِّد الليل/ دمي/ ياإلهي/ جميع الطيور/ قد مُزِقت إرباً .

توماس برنارد

• إليكم القول/ فيضان ذهبي سوف يأتي/ فيضان سوف يأتي/ فيضان ذهبي/ يُغرق البلدان الحالكة .

كرستيان أيد هاينتز

الشُعَراءُ الألمانُ المُعاصِرون

بقلم : أندرياس كيلب • ترجمة : محمد فكري أنور

في بداية عام ١٩٨٨م ، حدث لغط رقيق في ألمانيا الاتحادية ، عندما اشترك الشاعر الألماني المعاصر « فزانز جوزيف زيرنن » ـ المولود في النمسا ـ وصديقه الشاعر « فردناند شماتز » في نظم عدة قصائد تفتقر إلى المذاق المتميز ، وتغرق في الإحساس بالألم ، وذات نصوص تعتمد على تداعيات سطحية . وبتوقيع « زيرنن » ، أرسلت تلك القصائد إلى ناشر معروف قام بإصدارها في طبعة أنيقة .

وعندما صدر ديوان الشعر ذاك ، أفضى الشاعران بقصة قصائدهما إلى مجلة « دير شبيجل » ، فانكشف لقراء الناشر المعروف حجم الورطة التي أوقعه فيها الشاعران عندما نشر لهما قصائد خاوية من المضمون ولا تساوي قيمتها الشعرية تكاليف الورق الذي طبعت عليه .

بيد أن الحقيقة التي كشفت عنها هذه الواقعة ، أن تلك القصائد ليست أفضل ـ كما أنها ليست أردأ ـ من كثير من القصائد التي تجود بها قريحة الشعراء في الوقت الحاضر . فهي لا تصلح لأكثر من كونها مصدراً لبلسم شعري يفوح منه عبق أمسيات الخريف الحزينة .. كما أن شاعرية بعضها لم تزد على ما تتمتع به فقرات التسلية المعروفة التي تنشرها أية صحيفة صادرة في مدينة « فرانكفورت » . ومن ثم فهذا هو مستوى الشعر الذي يطالعه القراء اليوم .. وتلك فضيحة .

هذا المسلك الشائن الذي سلكه « **فرانك جوزيف زيرنن** » يجب أن يظل ملتصقاً بذاكرتنا دون أن يتعرض للنسيان السريع ، إنه يوضح المستوى المتدني الذي وصله الشعر الألماني **في ثمانينيات القرن العشرين للميلاد** . فهو هناك .. في المكان ، وفي اللامكان معاً .. معزول تماماً عن الـ « هنا » ، وعن اللحظة الآنية !!

لقد أثبت زيرنن أنه ليس أسهل عليه من أن « يبتكر » و « يبيع » إنتاجاً شعرياً « على آخر صيحة » . فلا بأس أن يلجأ الشاعر إلى استعمال قوالب زائفة ، وانتحال شخصية مزيفة ، أو أن يكتب أنشودة رعوية ، مفرغة من الأفكار ، بأسلوب شعري منظوم ، ثم يُغرق « السوق » بهذا الإنتاج المفتقر إلى الشكل والمضمون معاً . لكن الإشكال أن القصائد المضطربة موضوعياً أصبحت في غير حاجة إلى سيرة ذاتية « حقيقية » لشعرائها ، وأن تلك القصائد التي تفتقد إلى الصوت الذاتي للشاعر يمكن أن تُلحَّن وأن يغنيها المطربون .

الشرطيـة .. والدلاليـة

أصبح جزء كبير من الإنتاج السنوي للشعر في غنى عن استعمال أيٍّ من الصيغتين الشرطية ، أو الدلالية ، بل يندرج تحت تصنيف لغوي جديد هو « **استعمال الإسم المستعار** » . أما خصائصه ، فذبول دائم للجهد الفكري واللغوي ، المصحوب بنمو متزايد في اللجوء إلى استغلال التدوير السريع لاسطوانة

الشعراء الألمان المعاصرون

الآلة الكاتبة ، بغية الوثوب إلى نهاية القصيدة .

ومما يثير الدهشة ، أن ذلك النتاج الشعري ، الذي يمتطي صهوة الأشباح ، يجد قراءً يتعاملون معه .

إنهم يتنقلون بنا بسرعة من فكرة إلى أخرى ، وما علينا سوى أن نحلّق .. ولكن باندفاع نحو تلك البركة الآسنة من وحل الكلمات . أما على هوامش المعاني الشعرية ، فثمة أكوام من الكلمات الميتة التي يُساء استخدامها كتعبير عن الموت .

أما الفارق الآخر في تلك الشكلية الزائفة ، فيتضح في الاستخدام التهكمي للقافية .. وهو ما يظهر ببساطة في « **إعادة تسخير** » .. أو « **إعادة استخدام** » **الألفاظ** المقفاة .. العتيقة .. المستهلكة . وهكذا يبدو التهكم كأنه نابع من ذات الشاعر .. لكنه في العادة موجه ضد القصيدة .. ومن ثم تتلاشى الألفاظ أمام عيني القارئ ، وكأنها مكتوبة بالحبر السري .

يقول « **مايكل براون** » Michael Braun لمندوب صحيفة « **بونكتزايت** » Punktzeit المسائية : « **إن الشعر في ألمانيا الاتحادية يبدو كما لو كان قادماً من مرحلة « مابعد التاريخ » .. لقد مضى زمن الميول والدوافع العظيمة . القرارات البالغة الأهمية قد اتخذت ، وانتهى الأمر . ولا غرو أننا نعيش هذا العقد من الإحياءات** » . وبعد عدة صفحات من نفس الصحيفة ، نقرأ سطور « **هانزتيل** » Hanz thill وقد ذهب بعيداً إلى القول بأنه « حتى القائلين بما بعد الحداثة (وأين هم ؟) أصبحوا الآن جزءاً من الماضي ، ثم أضاف : « لقد كانوا آخر الرواد في الأدب الألماني » .

ما بعد الحداثة

إن « ما بعد الحداثة » و « ما بعد التاريخ » هما المفهومان السائدان في عالم الشعر هذه الأيام .

ومن ثم يفترض أن يعبر مصطلحا « **تحديد المواقف** » و « **الطليعيين** » عن حقبة زمنية أصبحت في حكم الماضي . بيد أن القصائد التي نظمها كل من « **رولف هوفس** » و « **أوسكار باستشر** » و « **جورجن بيكر** » و « **هانز ماجنوس إنزنبرجر** » و « **فولكر براون** » و « **سارا كيرش** » والتي نشرت في « **مختارات بونكتزايت** » .. تلك القصائد التي طرحت أمامي « مواقف مبدئية » يُفترض أن زمانها قد ذهب بغير رجعة . فهي تناقش قضايا نقد الحضارة .. والتأمل في الطبيعة .. والتحليل اللغوي (أو الإعراب) .. وكتابة السيرة الذاتية .. وفلسفة التاريخ .. ورسم الطبيعة . فهل هكذا كان شعر الأمس ؟

قد لا يتجه المرء إلى معاودة التفكير في « **مابعد الحداثة** » ، لدى محاولته التحدث عن شعر الثمانينيات . وقد يكون كل شئ متوقفاً عند الحالة التي بدأ عليها ، بعد أن وضعت الحرب أوزارها .. بعد تمرد الطلاب .. بعد **تشيرنوبل** . وهذه ليست مأساة في حد ذاتها ، بل مجرد حالة تؤدي إلى اليأس .

إن مصطلح « أي شئ يمضي » يعني - في مجال الفن - أن كل شئ يمضي ولكن بطريقة خاطئة . بيد أن شيئاً ما قد « يمضي » .. يشق طريقه نحو محيط الدائرة ، متعلقاً بتلابيب « المواقف المبدئية » التي لا يمكن بدونها إنتاج أي شعر عظيم .

إننا لا نزال بحاجة إلى القصيدة .. ذلك الشكل الأساسي للخاصية اللغوية ، الذي لا يُخبئ وراءه الصراخ والصمت . أيضا لا تزال لدينا قصائد تشق طريقها من خلال الترديد الممجوج لمواد الأخبار واللقاءات الصحافية .

يقول « **نيكولاس بورن** » Nicolas Born في قصيدة رائعة له بعنوان « **المُبْعَد** » : « هنا تكمن المحصلة النهائية للكلمات القوية .. الخالية من الحياة » ، وهي من أعظم قصائد عقد **السبعينيات** .

على هذا الأساس فقط يستطيع المرء استخدام اللغة ذات المفردات القوية ، لقهر تلك الألفاظ اللاكلمات وتلك الخطابية الواهنة المعبرة عن الرعب . ومثل هذه المفردات لا تكتب الحياة إلا من الشعر ، وليس من أي مكان آخر . فاللغة هنا توجه نفسها ضد أولئك الذين يبددون إمكاناتها ، ومن ثم يستطيع الموضوع أن يغيِّر مجرى التاريخ .. وهنا يبدأ ظهور نوع جديد من كتابة التاريخ هو : « أنا .. ثم النتائج » .



★ هاينز تشيكوسكى ★

هاينز تشيكوسكي

تتحدث القصيدة الرئيسية في ديوان « هاينز تشيكوسكي » Heinz Czechowski عن الدمار الذي ألحقته عاصفة نارية بمدينة **درزدن**. يقول: « كوكب من الحرارة الملتهبة/ على مصير الناس يحلق/ حول أولئك الذين من قبل ماتوا/ واللاحقين بهم/ في المدافن والحفر/ ...../ ثم يحاصر المدينة » .. إن شاعرية الأنا ، تندرج تحتها قائمة بالأسماء ، وأعداد المفقودين ، كما تخبر عن الموتى .. وليس بالإمكان الحصول على أكثر من هذا .

وولد **تشيكوسكي** عام ١٩٣٥م في ألمانيا الاتحادية . وهو يكتب عن السقوط والانهيار ويتعجل وقوعهما . وفيما بين ذلك ، يريح نفسه بالقليل من السخرية ، والقليل من التهكم . فهو يقول : « أفضل السخريات/ فعلاً كُتبت/ المستقبل لا يزال هناك .. وراءنا » وهكذا لا تتعذر الإيحاءات الشكلية الرائعة على موهبة هذا الشاعر .

لقد عبَّر عن هذه المشاعر كلها بهدوء ، ودون غضب في أغلب الأحوال ، ولكن بقدر من الأسى الدفين الذي تغلب عليه أحياناً مسحة التهكم ، ولكن بلطف في معظم قصائده التي تظهر فيها قوافٍ « كلاسيكية » ، وأشكال

غنائية ، **وأبيجرامات** (وهي القصائد التي تختتم بفكرة رائعة أو ساخرة) ، وفي أحيان أخرى تكتنفها سطور نثرية قصيرة .

إن قصائد تشيكوسكي تنضح بالألم الروحاني . ولذلك يشعر قارئُها أنه يكابد الخشوع والبهجة اللذين يغمران قصائده . أجل .. فليس في قصائده صياح ، أو خشونة ، أو وعيد ، بل تطورات هادئة ، وموسيقى جنائزية ، وأقوال مأثورة .



* كريستيان أيدهاينتز *

كرستيان أيد هاينتز

يقول هاينتز : « إليكم أقول/ فيضان ذهبي سوف يأتي/ فيضان سوف يأتي/ فيضان ذهبي/ يُغرق البلدان الحالكة/ يغسل البلدان/ بلدان الفضة المسودَّة/ يجرف الأفكار المضنية/ الأفكار البالية/ ثم تستنشق الأرض حرارة » .

وفي عام ١٩٨٠م قال عن مدينة فيينا :

« في فيينا/ لكل شئ بريق/ الذرَّة .. القلب .. الروح .. الأفكار/ هاوية هي إلى الأرض .. غير مهم أصلها/ العاصمة والمركز الغذائي/ لجمهورية الجدال/ في فيينا سوف تظهر » .

وُلد **كرستيان أيد هاينتز** Christian Ide Hintze عام ١٩٣٥م في **فيينا** ، وتصعلك في شوارعها خمس سنين كان خلالها يوزع قصاصات ورق كتب عليها قصائده ، معرضاً نفسه للإساءة ، أو الترحيب ، أو الدخول في مجادلات لا داعي لها . وفي نهاية الأمر أدار ظهره إلى شوارع المدينة ، ملقياً بنفسه في بحر العزلة ، وفيه أبحر لخمس سنوات أخرى ، عاد بعدها يحمل ديوانه : « **الفيضان الذهبي** » .

والواقع أن هذا الديوان يضم عدداً من أضعف القصائد وأقواها ، مما ظهر في هذا الخريف الشعري السائد الآن .

إن الإرباك والوحل ، اللذين تحملهما مياه « الفيضان الذهبي » ، يُثقلان كاهل هذا الشاعر الناجح . وبذلك لا يجد المرء مفراً من القراءة والمكابدة لهذا النمو الشعري كي يستطيع فهم عدة سطور كتلك التي تقول :

« عند الاقتراب ، تتحول المكابدة لكي تصبح هي القصيدة التي تعبر عنها » .

وفي موقع آخر يقول :

« هكذا تنعتق عاصفة الأنفاس » .

وهكذا لا يكتب « هاينتز » مقاطع شعرية ، بل أعمدة من الكلمات التي تشق طريقها إلى القارئ . إن جيشه العرمرم من الكلمات يخترق الدرب نحو نهاية معلومة تناشد ربة الشعر . إنه يقول :

« الصوت القادم من الوسط .. من بين الغرباء/يحفز الشعر/أنتن يامن أدين لكن بآلام ميلادي/أشفقن على العالم إذ يخلو من الشعر/ هبنني القوة كي أبدع/اسمحن لي أن آمل فقط في ما تبلغه يداي/فلتعطين لي إحساس العظماء/ خذن الألم عن يافوخي/ وعن السموات ترتطم بحلقي/والنجوم كي تسبح في صدري » .

ولعل أروع ما في شعر « هاينتز » هو ذلك القدر من الغضب والانفعال اللذين يجعل منهما بداية منعشة جداً لقصائده . فهو يقول:

« العالم لا يغوص في روحي » .

ثم هاهو ذا شخص آخر يستخدم تعبيرات « ممنوعة » وكلمات « مستحيلة » في وصف شاعرنا فيقول :

« لو أن نتفة من « آيد » ألقيت بين الجماهير لتكاثرت وتكاثرت إلى مالا نهاية » .

وهكذا يصبح « الفيضان الذهبي » مصدراً جديداً للأمل .

الشاعرات

عرف الشعر الألماني المعاصر ثلاث شاعرات هن :

(١) مرجريت هانسمان Margarete Hannsmann (ولدت عام ١٩٢١م) .

(٢) جوتًا شوتنج Jutte Schutting (ولدت عام ١٩٣٧م) .

(٣) بريجيت شويجر Brigitte Schwaiger (ولدت عام ١٩٤٩م) .

والأخيرة اختير لها ديوان « **كيف جاء الملح إلى البحر** » كأحسن كتاب حقق رقماً قياسياً في التوزيع . والشاعرات الثلاث تجولن كثيراً في دول **اليونان وإيطاليا وإسبانيا** ، وحلقن بالقصائد في كل مكان ، كما أنهن على دراية بالإنتاج الشعري لكل من **هولدرلن** ، **هتشل** ، **تراكل** ، **سيزان** ، **كيتس** ، **سبينوزا** ، **بودلير** ، **وبنيامين** . بيد أن الثلاث تختلف إحداهن عن الأخرى في جوانب كثيرة يصعب معها وضعهن تحت تصنيف واحد . وإذا كان بينهن تشابه ، فقد يكون في إحساس ثلاثتهن بالإخفاق .



★ مرجريت هانسمان ★

مرجريت هانسمان

تقف « مرجريت هانسمان » في الموقف التالي للشاعر « بيتر هتشل » . فهي تقول :

« كل ما تبقى لي/أن آخذ/هذا أو ذاك/ الغصن الصغير/زخرفات أواخر الخريف . » .

لكنها عندما وصلت مدينة « **روما** » ازدادت عنفواناً ، متأثرة في ذلك بما تتمتع به المدينة من تراث . تقول :

« عندما كنت قساً/عندما كنت سيئة/ إلى القيصر حملوني/أتأرجح في محفَّة/عندما طرت ، كالعبد مجلوداً بالسوط/ .... /نمت

الشعراء الألمان المعاصرون

بعمق/ كأنني زوجة إغريقي تحرّر/ عرف كيف ينحت من الرخام تماثيل» .

وتتضح خلفيتها التاريخية في بعض السطور كتلك التي تقول فيها :

«بعد ذلك .. لا تعبير أو غضبًا يُفيد / يتلمس المرء طريقه/ بين أطلال الاضمحلال/ روما كانت بيزنطة/ لكن الشعبين هاجرا » .



★ جوتا شوتنج ★

جوتّا شوتنـج

أما جوتا شوتنج فتختفي وراء الشاعر « **هولدرلن** » ، كما تخلط أنماطها الشعرية بأنماط كل من « **ريلكه** » **و** « **موريك** » . ومن ثم يتوفر لديها زخم من الرؤى غير العادية . فهي تقول :

« لأن المسألة أسرع مما تظنون/تخيلوا .. أيها البجع/أن الأرض في الماء غاصت/ صمتت .. بردت/ ما تبقى لكم/من الأرض .. الظلال » .

إن هذه الشاعرة تتصف بحب وشوق جارفين للأشياء الصغيرة فهي تقول :

« وأسفاه .. أيها البجع/للوطن تجمعتم عائدين ، في أمسيات الصيف .. مع السحاب » .

هكذا يبدو صوت « جوتّا شوتنج » وكأنه شعر يصدر عن طفلة قفزت إلى مرحلة الشيخوخة فجأة .



★ بريجيت شويجر ★

بريجيت شويجر

توصف « بريجيت شويجر » بأنها لا تقف وراء شاعر آخر . إنها ، ببساطة ، تقدم نفسها إلى القارئ وكأنها صماء .. لا تسمع صوت اللغة .. لا تدرك ما في الكلمات من بهجة وجمال .. تقول :

« سوف أدافع عنكم/من خلال عظام أرغوني » . وتقول :

« في أكاديمية حب الرجال/تكبحون جماح اشتياقي/لأن أكون رجلا .. نقياً .. جديراً بكم » .

وعن هذه القصائد قال « **هرمان هسّه** » ـ وهو خبير بالشعر :

« **قد يحس المرء حنيناً إلى كتابة هذه القصائد .. لكنه ينفر من قراءتها . فهي قصائد متواضعة .. ذاتية .. سيئة لدرجة مفزعة . ولئن كان ما قرأت من أشعار مرجريت هانسمان ، وجوتّا شوتنـج ، وبريجيت شويجر هو ما يوصف بالجمال النسائي في الشعر ، فإنني لا أميل مطلقاً إلى الاعتقاد بوجود هذا الجمال** » .

إنه فناء ، وانحلال ، وتفسخ شكل القصيدة .. نحن أمام تجربة تقدم تعبيراً شعرياً .. بيد أننا نواجه أطلالاً للتعبيرية ، وموات الغابات ، والوداع ، وزخـرفات أواخر الخـريف .. وكلها مطبوعة في مجلد فاخر رمادي اللون . وفجأة .. ومن هناك .. من وراء السلف والخلف والعوالم المعاصرة ، نسمع أغنية تقول :

« عندما يطلب الرب لحمي/ وهذا الموات البارد في الشتاء/ليل ومعاناة/تتحجر وتتجمد/ تتحول براعم للرياح النقية/مرضُ الأغاني/ مرضُ هذا الشعر/يصبح قطرات ندى على التلال الخضراء/إلّهي/عندما تأذن بموتي/ أصبح أقرب كثيراً/منك/تبتليني بشدة » .

تُرى .. متى كُتبت هذه القصيدة ؟ .. كتبها « **توماس برنارد** » **في خمسينيات القرن العشرين** .. فكانت ـ وقتها ـ ضرباً من الابتهال صيغ في واحد وعشرين أغنية . وهكذا لم تكن قصائده تلك عملاً كبيراً ، بل مجرد نواح .. وداع لمتوفّى .. عمل مبكر يبدو منتمياً إلى زمن سحيق ، فمنذ ثلاثين عاماً وُصفت قصائده تلك بالغموض والتفكك . أما في الوقت الراهن ، وبرغم تقويمها السابق ، فهي تشع بريقاً إذ تقف بين قصائد لكثير من الشعراء الذين يطاردون في أواخر الخريف . يقول برنارد في احدى قصائده :

« الطيور .. يالَلأسف .. الطيور/تُسوِّد الليل/ دمي/ياإلّهي/جميع الطيور/قد مُزقت إرباً/ الصراخ الذي يحرق/اللسان أصفر/ متمزق/ واأسفاه على الدم/السكاكين/ الرب/إنني أرتشف لحمي/ السكاكين/ الموت طويل/أحمري/ أخضري/ أشواكي تخترق/ تتمزق/ واحسرتاه/ تتمزق/ واحسرتاه/ تتمزق/ واحسرتاه/ واحسرتاه/ واحسرتاه/ يالأسفي » .

عن « النشرة الثقافية » : أخبار وآراء من جمهورية ألمانيا الاتحادية ـ العدد : ١٩٨٨/٢م

مسرحية

صديقة من كرمان

من الأعمال التي تنشر لأول مرة .. تأليف: علي أحمد باكثير

- ١ -

(في منزل الشيخ شاه بن شجاع الدين الكرماني بكرمان)

شاه : إني أعلم ياحميراء يا ابنتي العزيزة أنك لا تفكرين في الزواج الآن .

حميراء : لا الآن يا أبي ولا بعد الآن .

شاه : أنت مشغولة عن ذلك بعبادة ربك .

حميراء : أنت الذي ربيتني على ذلك .

شاه : أجل أجل يابنيتي الحبيبة .

حميراء : فهل بدا لك اليوم غير ذلك يا أبي ؟

شاه : نعم ياحميراء على كره مني .

حميراء : ماذا جرى ياأبتاه .

شاه : الملك فيروز شاه ابن عمك يريد أن يخطبك مني وأنا أعلم يقيناً أنك لن ترضي به زوجاً لك .

حميراء : ومن لك بذلك الزوج ياأبي ؟ لعلها فهذا الزوج لاوجود له في هذه الدنيا !. الصبر مايؤهلني للقيام بحقوق الزوج عليّ .

شاه : أعلم ذلك ياحميراء ولكن ماذا نصنع الآن . وهو آت عندي ليخطبك مني بعد ثلاثة أيام .

حميراء : هل بعث إليك ياأبي بذلك ؟

شاه : لا يابنتي ولكن بلغني من أحد المحبين لي في القصر .

حميراء : فماذا أنت فاعل ياأبي ؟

شاه : يخيل إليّ ياحميراء أن المخرج الوحيد لنا من ذلك هو أن نسرع فنختار لك زوجاً صالحاً لايتحكم فيك ولايشغلك عن عبادتك .

حميراء : ومن لك بذلك الزوج ياأبي ؟ فالزوج لاوجود له في هذه الدنيا !.

شاه : بلى أنا كفيل لك به ياحميراء إن رضيت .

حميراء : لم لا تصارحه بالحقيقة أني لاأصلح للزواج .

شاه : كلا لن يقتنع بذلك أبدا ياحميراء وسيظن بنا الظنون .

حميراء : إنه إذن متعنت فأعرض عنه ولا تبال به .

شاه : كلا ليس هو بمتعنت ياحميراء بل له عذره الواضح .

حميراء : أي عذر ياأبي ؟

شاه : لعلك يابنيتي قد شغلت زمناً عن المرآة فنسيت أن لك جمالاً بديعاً لانظير له في بنات ملوك هذا العصر .

حميراء : ياأبت كل والد يرى ابنته كما تراني أنت .

شاه : كلا ياحميراء إن أباك كان أخبر الناس بالجمال وما اختار أمك عبثاً .. لقد كانت - رحمها الله - أجمل نساء عصرها قاطبة .

حميراء : وأين أنا ياأبي من أمي يرحمها الله ؟

شاه : لاأقول إنك أجمل منها أو مثلها ولكنك أقرب الناس شبهاً بها ومافاتتك إلا بقليل .

حميراء : ياأبت افعل ماتراه . ستجدني إن شاء الله من الصابرين .



- ٢ -

(الشيخ شاه يستقبل فيروز شاه ملك كرمان في منزله)

شاه : مرحباً بالملك المعظم فيروز شاه . أهلاً بك ياابن أخي . شرفت بيتنا الصغير بزيارتك .

فيروز : أيها العم الجليل . إني إذ أزور بيتك إنما أزور بيت صلاح وتقوى فأنا الذي أتلقى الشرف وأستمد الخير والبركة .

شاه : بوركت ياابن أخي .. بوركت .

فيروز : لقد كان في نيتي من قديم أن أخطب إليك حميراء ابنتك لأصل حبلي بحبلك وتكون ذريتي من ذريتك . ولكن علمي بصغر سنها وبحاجتك إليها بعد وفاة أمها جعلني أؤجل خطبتها حتى اليوم فهل لي ياعمي شاه أن أطمع في شرف الانتساب إليك ؟

شاه : ياابن أخي أنت مني وأنا منك ولولم تصهر إليّ ، وابنة عمك حميراء كانت تتشرف بالزواج منك لولم تكن قد عقد عليها لغيرك ، فلتكن لك أختاً إن فاتها أن تكون لك زوجة .

فيروز : ومتى كان ذلك ياعم ؟

شاه : منذ يومين فقط يابني .

فيروز : ومن يكون ذلك الرجل السعيد ؟ أملك هو أم أمير ؟

شاه : كلا ليس هو بملك ولا بأمير بل هو رجل من سواد الشعب .

فيروز : أهو إمام من أئمة العلم ؟

شاه : لا .

فيروز : فقيه من حملة الشريعة ؟

شاه : لا يابني .

فيروز : سيد من السادات العارفين بالله .

شاه : ولا هذا يابني .

فيروز : هو إذن ليس بأفضل مني فعلام يقدم عليّ ؟

صديقة من كرمان

شاه : معاذ الله يابن أخي إن أحدا لم يقدمه عليك .

فيروز : أولست أنا أولى بابنة عمي وأحق بها منه ؟

شاه : بلى يابن أخي لولم يكن سبق إليها قبلك .

فيروز : منذ يومين فقط .

شاه : نعم .

فيروز : أوقد دخل بها ياعم .

شاه : لا مادخل بها بعد . مازلنا نجهز لها .

فيروز : الحمد لله .

شاه : لكنا عقدنا له عليها فهي امراته بحكم الشرع .

فيروز : ياشيخ شاه لولا احترامي لسنك وما اشتهر في الناس من صلاحك وتقواك لكان لي معك شأن آخر .

شاه : ماذا تعني يافيروز شاه ؟

فيروز : إن ابنتك ماكانت تفكر في الزواج ولا كنت أنت تفكر لها فيه . ولولم يبلغك منذ أيام قلائل أنني سأخطبها منك فأردت أن تتقيني فجعلت تطوف من مسجد إلى مسجد بحثاً عمن تزوجها له قبلي . حتى عثرت على ذلك الغلام الصغير الفقير فعقدت له عليها في الحال دون أن تستشيرها في أمره بل دون أن تعرف عنه شيئاً إلا أنك رأيته يصلي ويحسن الصلاة .

شاه : أجل قد كان مني ذلك يافيروز شاه فماذا تريد ؟

فيروز : اعترفت الآن أنك تعمدت ذلك ؟ .

شاه : نعم أنا حر أختار لابنتي من أشاء .

فيروز : من حقي الآن أن أحاسبك .

شاه : تحاسبني على ماذا ؟

فيروز : على سوء صنيعك معي من حيث أني ابن عمها أولاً ثم من حيث أني ملك هذه البلاد .

شاه : أتهددني يافيروز شاه ؟

فيروز : التهديد قليل في حقك أنت تستحق ماهو أشد من ذلك .

شاه : إفعل مابدالك فإنني لا أخافك .

فيروز : ان غرك ياهذا أنني ابن أخيك فاعلم قبل ذلك أنني أنا الملك .

شاه : ويحك ياهذا لو كنت أخاف الملوك بعد لما زهدت في العرش الذي تجلس عليه الآن .

فيروز : أتدلّ عليّ ياهذا بما كان لك في الماضي من ملك وسلطان . أوتظن أن ذلك يعصمك مني أو يحميك .

شاه : لو كنت تعقل ياهذا لعلمت أن الله وحده هو الذي أحتمي به واعتصم ، وإلا لما خرجت باختياري عن كل ماكان لي من ملك وسلطان .

فيروز : أتراك ندمت اليوم على مافعلت فأخذت تناهضني وتناصبني العداء ؟

شاه : (يلين لهجته قليلاً) سامحك الله يابن أخي والله ماندمت على مافعلت ولا قصدت أن أناهضك أو أناصبك وإني عن ذلك كله لفي شغل شاغل . وإنما رأيت أن ابنتي لاتصلح لملك مثلك . فقد تعلق قلبها بعبادة الله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة فأحببت أن أجنبكما سوء المصير فأسرعت بتزويجها لغيرك حتى لاأضطر إلى رد خطبتك .

فيروز : دعني من معاذيرك . لآمرن قاضي القضاة غداً أن يجد لنا مخرجاً فيبطل عقد نكاحها من ذلك الغلام ثم يزوجها لي وبذلك يستقيم الأمر وينتهي الإشكال .

شاه : (غاضباً) اسمع يافيروز شاه . ان فعلت ذلك فلا تلومن إلا نفسك . والله لأدعونّ الشعب إلى خلعك ولأعلنن له أني أخطأت إذ خرجت عن ملكي لبلية ظالم مثلك .

فيروز : (في شيء من الخوف) أتظنهم يطيعونك أو يلبون دعوتك ؟

شاه : إن كنت تشك في ذلك فما عليك إلا أن تجرب .

فيروز : (يلين لهجته) حسبك الله ياعمي أما كفاك أنك حرمتني ابنة عمي حتى تريد أن تخلعني من ملكي ؟

شاه : قد شرحت لك يابن أخي حقيقة قصدي فأبيت إلا أن تكذبني وتتهمني بما لم يخطر لي على بال قط فماذا أصنع ؟



فيروز : سامحني ياعمي فما أنا إلا ابنك وثق أنك لن ترى مني بعد اليوم إلا كل مايسرك .

- ٣ -

(بعد مرور أسبوع من حوادث المشهد السابق)

فيروز : معذرة ياعمي إن عدت اليوم إليك قبل أن ينقضي أسبوع واحد على زيارتي السابقة .

شاه : مرحباً بك يابن أخي في كل حين . البيت بيتك .

فيروز : ماكنت لأشغلك عن وردك وعبادتك لولا مابلغني مما كان بين العروسين من خلاف فأزعجني أيما إزعاج .

شاه : كلا لاتنزعج كثيرا فما هو إلا خلاف هين يسير لايلبث أن ينتهي إلى وفاق إن شاء الله .

فيروز : أرجو ألَّا تعتبره فضولاً مني إذ رأيت من واجبي - ولاسيما بعد الذي كان مني في حقك أن أعرف ماذا حدث .

شاه : بالعكس يابن أخي إنه ليسرني أن تجيء إلينا اليوم لترى بعينك وتسمع بأذنك مصداق ماشرحته لك من قبل فلا يبقى في نفسك مني شيء .

فيروز : أحقاً ياعمي ؟ هذا والله يسرني ويسعدني منك . أخبرني إذا تفضلت ماذا حدث ؟

شاه : كل ماحدث يابني أننا زففناها إليه كما اقترحتْ عليّ في غير جلبة ولاضوضاء ثم انصرفنا من عندهم وعدنا إلى البيت فما شعرنا بعد قليل إلا بحميراء تقرع علينا الباب فتدخل إلى حجرتها تصلي وتبكي .

فيروز : عجباً ألم تسألوها ماخطبها ؟

شاه : بلى سألناها وأخبرتنا بكل شيء .

فيروز : ماذا قالت ؟

شاه : إنا قد أرسلنا في طلبه منذ قليل لنواجه بينه وبينها فسيحضر الآن ونخبئك أنت في مكان فتسمع كل شيء بأذنك .

- ٤ -

شاه : لكن لماذا انتظرت يابدر الدين حتى أرسلنا في طلبك ؟ لماذا لم تجيء على إثرها في الحال .

بدر الدين : لم استطع ياسيدي أن أفعل ذلك . فقد

قام في نفسي أن ابنة شاه الكرماني لما دخلت بيتي فرأت فقري ورقة حالي احتقرتني وقررت ألا ترضى بي بعلاً فلحقت بأهلها قبل أن تقضي عندي ساعة واحدة .

شاه : كلا لقد أخطأت يابدر الدين . إنك أسأت فهم مرادها فقلبته من النقيض إلى النقيض .

بدرالدين : كيف ياسيدي الشيخ ؟

شاه : اشرحي له ياحميراء .

حميراء : ياهذا ليس خروجي من منزلك لفقرك بل لضعف يقينك .

بدرالدين : ماذا أنكرت مني ياحميراء ؟

حميراء : ألم أجد عندك رغيفاً يابساً قد وضعته على رأس جرة ماء ؟

بدرالدين : بلى .

حميراء : وسألتك فقلت لي : هذا رغيف تركته من أمس لنفطر غداً عليه ؟

بدرالدين : أجل وأي شيء في ذلك ؟

حميراء : أرأيت ياأبي ؟ إنه لم يدرك حتى الآن الذنب الذي ارتكبه .

بدرالدين : سبحان الله . أي ذنب ارتكبت .

حميراء : حقاً ليس الذنب ذنبك . الذنب ذنب أبي إذ قال لي : زوجتك ياحميراء بشاب مؤمن تقي فكيف يوصف بالتقوى والإيمان . من بلغ من ضعف يقينه بالله أن يدخر من أمسه رغيفاً لغده ؟

بدرالدين : هذا إذن هو الذي نفرك مني ؟

حميراء : نعم .

بدرالدين : وليس فقري ورقة حالي ؟

حميراء : لا .

بدرالدين : ماأكرمك ياحميراء وأعظمك . سامحيني إذن هذه المرة فوالله لا أعود لمثلها أبداً ماحييت .

حميراء : هيا بنا إذن .

بدرالدين : إلى أين .

حميراء : إلى بيتنا .

بدرالدين : الحمدلله . الحمدلله .

– ٥ –

شاه : سمعت ياابن أخي ؟

فيروز : (بصوت يخالطه البكاء) ـ سمعت ياعماه .

شاه : ويحك ياابن أخي إنك لتبكي .

فيروز : (يشتد نشيجه) لوددت ياعماه لو أخرج من ملكي كله وتكون لي حميراء .

(ســـــتار)

رسالة إلى ولدي

شعر : عدنان حقي

«طه» بُـنَيَّ لـقـدْ بَـعُـدْ ... تَ فَحَـلَّ في قلبي الكَمَـدْ[1]

مُـذ غِبْتَ عـن عيـني أيـا ... «طه» شكت عيني الـرَّمـدْ

أضحىٰ مُقـامُـك بيـنـنـا ... كـالحُـلم في قِصرِ الأمـدْ

واوَحـشـتـا في دارتي[2] ... حـين اغـتربتَ عن الـبـلدْ

قـد ذقتُ بَعْـدَكَ يـا بُنَيَّ من الـنَّـوى[3] مُـرَّ النكـدْ[4]

وأرِقـتُ[5] من شـوقـي إليـكَ وطيـبُ عيشي قـد فسـدْ

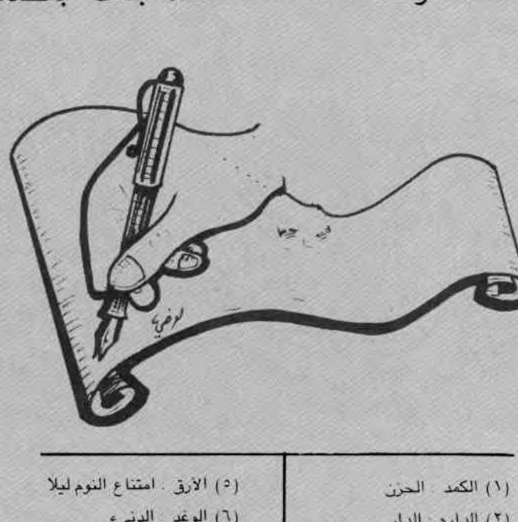
قـد كـنـتَ بـارّاً بي وكـنـت أراكَ لي نِـعـمَ الـوَلـدْ

أرْضيـتَ كُـلَّ الأهـل بـالحُـسنى ولم تـؤذِ أحَـدْ

لم تَـتَّخِـذْ من بـين صَحْـبِـكَ ذا سَـفـالٍ أوْ وَغَـدْ[6]

يـا هـل تُـرى ستعـودُ أمْ ... سـتُـقـيـمُ ثـمَّ[7] إلى الأبَـدْ

فـاذكـر أبـاً مـتـشـوّقـاً ... قـد بـات بعـدك في كبَـدْ[8]



(١) الكمد : الحزن

(٢) الداره : الدار

(٣) النوى : البعد

(٤) النكد : الشدة والضيق

(٥) الأرق : امتناع النوم ليلا

(٦) الوغد : الدنيء

(٧) ثم : هناك

(٨) الكبد : التعب

قصة قصيرة

غداء من صنف واحد

بقلم: سومرست موم ☆ ترجمة: د. صبري أحمد نصره

وقعت عيناي عليها في أحد المسارح . وفي أثناء الاستراحة.. ذهبت ـ استجابة لإيماءة منها ـ وجلست الى جوارها . لقد انقضى زمن طويل منذ أن تم لقاؤنا ، ولو أن أحد الأشخاص لم يناد‌ها باسمها ، لكان من العسير على ذاكرتي أن تبلغه .

تحدثت اليّ في بهجة قائلة :

ـ سنوات طويلة منذ كان لقاؤنا.. كم يمضي الزمن !.. كلانا لم يعد في روق الشباب.. هل تتذكر المرة الأولى التي لقيتك فيها ؟.. لقد دعوتني الى الغداء .

وهل يمكن أن أنسى ؟

كان ذلك قبل عشرين عاماً ، وكنت إذ ذاك أقطن شقة صغيرة في الحي اللاتيني في باريس . كانت الشقة تطل على مقبرة ، وكنت أربح ما لايكاد يحفظ عليّ الحياة .

كانت قد قرأت كتاباً لي ، وبعثت اليّ برسالة حول موضوعه . وكتبت لأشكرها ، ثم تلقيت منها رسالة أخرى مؤداها أنها على وشك القدوم الى باريس ، ويسرها أن تحادثني ، ولأن وقتها محدود ، فإن اليوم الوحيد الذي يمكن أن تلقاني فيه هو الخميس . وقد رأيت أن أدعوها لغداء خفيف في مطعم (فويوت) ، وهو المطعم الذي يتناول فيه كبار الساسة طعامهم . وكان أبعد ما يكون عن مخيلتي أن أتردد عليه يوما ما.. لكنني كنت مجاملاً ، وكنت حديث السن . لم يكن لدي سوى ثمانين فرنكا لاستكمال الشهر . وغداء خفيف لن يعوزه أكثر من خمسة عشر فرنكا . واذا تغاضيت عن القهوة لأسبوعين قادمين ، فيمكن أن أتدبر الأمر بسهولة . وكتبت إليها لأخبرها بأني سألقاها يوم الخميس في الثانية عشرة والنصف .

لم تكن صغيرة كما توقعت ، وكان وقارها يفوق جاذبيتها.. في حقيقة الأمر كانت سيدة في الأربعين ، وأعطتني انطباعاً بأن لها عدداً من الأسنان يفوق ما يحتاج اليه الانسان العادي .

كانت كثيرة التكلم ، ولما كنت أنا مثار الحديث ، فقد جلست مصغياً اليها ، ثم انتابني الفزع حين تطلعت الى قائمة صنوف الطعام ، فقد كانت أسعارها مرتفعة جداً عما توقعت ، لكنها قالت :



ـ أنا لا أتناول شيئا كثيرا في الغداء .

وبشهامة قلت :

ـ لا أريد أن أسمع منك ذلك .

ـ أنا لا أتناول أكثر من صنف واحد.. وأعتقد أن الناس أصبحوا يأكلون بشراهة هذه الأيام.. أريد قليلا من السمك.. أرجو أن يكون لديهم شيء من السلمون .

كان هذا الوقت من السنة مبكراً بالنسبة لوجود السلمون، ولما كانت قائمة الطعام قد خلت منه ، فقد تشجعت وسألت الجرسون عما اذا كان يوجد شيء منه ، فأجابني ـ لسوء الحظ ـ أنه وصل لتوه . طلبت اليه أن يحضر واحدة، ثم سألها الجرسون عما اذا كانت ترغب في تناول شيء حتى يتم طهي السمكة ، فقالت :

ـ لا.. أنا لا أتناول أكثر من صنف واحد.. هذا اذا لم يوجد بعض الكافيار .

كاد قلبي أن يتوقف، فأنا أدرك أن الكافيار فوق طاقتي.. لكني لم أجرؤ على مصارحتها طلبت الى الجرسون أن يحضر للسيدة بعضاً منه ، وطلبت لنفسي أرخص صنف تحويه قائمة الطعام.. وهو شريحة من لحم الضأن ، فعلقت قائلة :

ـ أعتقد أنك غير صائب في تناول اللحم.. لست أدري كيف ستواصل عملك بعد تناول وجبة ثقيلة مثل لحم الضأن.. أنت تحمل معدتك فوق ما تحتمل .

وفرغت السيدة من تناول الكافيار والسلمون، ثم تحدثت بطلاقة في الفن والأدب والموسيقى ، بينما أنا أفكر في اللحظة التي ستأتي فيها قائمة الدفع . وعندما أحضر الجرسون اللحم ، قالت :

ـ أرى أنك معتاد على تناول غداء ثقيل.. أنا على يقين بأنك غير صائب.. لماذا لا تحذو حذوي ؟.. تأكل فقط صنفاً واحداً.. سوف تشعر بتحسن كبير اذا فعلت ذلك .

ـ أنا سأضطر الى تناول صنف واحد ! قلت ذلك بينما الجرسون يأتي ثانية استجابة لاشارة منها، قالت له :

ـ لا.. لا.. لا أتناول شيئاً في الغداء.. فقط صنف واحد.. لاشيء أكثر من ذلك الا لمناسبة الحديث.. لا أستطيع تناول المزيد.. هذا اذا لم يوجد بعض الأسباراجس(*) .

كاد قلبي أن يتوقف ، فقد وجدته ضمن قائمة الطعام وعرفت أن ثمنه باهظ ، ويكاد لعابي أن يسيل لمجرد رؤيته . سألت ـ وأنا آمل من أعماق قلبي أن يكون الجواب بالنفي ـ الجرسون :

ـ تريد السيدة معرفة اذا ما كان لديكم أسباراجس ؟

فارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وهو يؤكد أن لديهم أصنافاً

مدهشة منه ، فقالت السيدة :

ـ لست جائعة.. لكن لو كنت مصراً، فلا مانع من تناولِ شيء منه .

وأمرت لها به ، فسألت :

ـ هل تريد أن تتناول شيئاً منه ؟

ـ أنا لا أقربه .

ـ أعرف أن هناك أناساً لا يقربونـه.. لكن الحقيقة أنـك أفسدت شهيتك بكل هذا اللحم .

وانتظرنا حتى ينتهي اعداد الأسباراجس، وقد انتابني الذعر . لم يعد السؤال الذي يدور في رأسي : كم سيفيض لاستكمال الشهر ؟ بل هل ما معي كفيل بسداد الدفع ؟

وتجلى الأسباراجس طازجاً كبير الحجم ، واقتحمت أنفي رائحة الزبد السائل . أخذت أرقب السيدة وهي تلتهم الواحدة تلو الأخرى . وعندما انتهت سألتها بأدب :

ـ قهوة ؟

ـ نعم.. هذا إذا لم يوجد آيس كريم .

وهذه المرة لم أفزع.. لذا فقد طلبت لنفسي قهوة ، وللسيدة قهوة وآيس كريم .

قالت السيدة بينما تلتهم الآيس كريم :

ـ كما ترى صنف واحد.. هكذا أعتقد.. يجب دائماً على المرء أن يدع الطعام وهو يشعر أنـه بالامكان تناول المزيد منه .

سألتها :

ـ هل لازلت تشعرين بالجوع ؟

ـ لا.. لا.. لست جائعة.. كما ترى لم أتناول وجبة غداء كاملة.. قهوة في الصباح ثم المساء.. ثم لا شيء أكثر من صنف واحد في الغداء .

وكانت المفاجأة : حين كنا ننتظر القهوة ، مر الجرسون وهو يحمل سلة كبيرة ملأى بالخوخ الضخم ، ولم يكن موسم الخوخ قد حل ، ويعلم الله كم يبلغ ثمنه . وهنا امتدت يد السيدة الى السلة وانتزعت واحدة ، ثم قالت :

ـ كما ترى.. لقد ملأت معدتك باللحم.. لذلك لم تعد تستطيع تناول المزيد.. أما أنا فأستطيع أن أستمتع بهذه الخوخة .

وجاءت قائمة الدفع وتبين أن ما معي يكفي ، ويتبقى منه فرنكات ثلاثة أدعها للجرسون . حدقت عينا السيدة في الفرنكات الثلاثة التي تركتها ، فلابد أنها تصورت أني شحيح . ولدى خروجي من المطعم، كان عليّ أن أواجه شهراً بأكمله دون أن يكون لدي فلس واحد .

قالت وهي تصافحني :

ـ احذ حذوي.. ولا تأكل أكثر من صنف واحد في الغداء .

ـ سوف أفعل.. ولن أتناول شيئا على الاطلاق .

وبينما هي تقفز الى المركبة قالت :

ـ أنت مرح.. مرح أنت لا شك .

وأخيراً شاءت الأقدار أن تنتقم لي منها ، ولو أنني لست بالرجل الذي يهوى الانتقام.. لكن الانتقام قد حدث فعلا.. فإن وزنها الآن يبلغ ثلاثمائة رطل !

(*) نوع من الخُضر، يتخذ من قمته طعاماً .

المصدر :

Here and There, short stories, By: W. Somerset Maugham - First Published 1948, London and Beccles.



العفو

بقلم : رستم كيلاني

مرَّ به الوقت وهو لا يعرف مداه .. ولا يدري كيف أمضاه ، متنقّلاً يطوي الشوارع بلا هدف واضح ، متهالك الجسد ، متخاذل المشية ، وقد بدت على وجهه مسحة من الحزن ، وتزاحمت عليه الخواطر القاتمة من كل صوب ، واعتراه وجوم شامل ، وأحسّ بالضيق ينهش صدره ، واشتد بقلبه الخفوق ، وظل طوال سيره ذاهلاً ، شارداً كالمحموم ..

وفي الطريق كان يدوِّي في سمعه حديث زوجته الأولى «**ابتسام**» عندما عاد إليها يستسمحها طالباً منها العودة إلى بيته من جديد ، وتمنحه فرصة جديدة لإصلاح الخطأ الذي وقع فيه .

ـ ها أنت ذا أخيراً تعود إليَّ طالباً مني العفو عما سلف ، وإعادتي إلى بيتك من جديد بعد أن لفظتك «سعاد» صائدة الرجال نبذ النواة لأنك لم تعد الصيد الثمين بالنسبة لها ، وبعد أن استنزفت أموالك منذ الشهور الأولى من الزواج منها دون حساب ، وأنت راض بهذا دون أدنى معارضة ، حتى ساءت ماليتك .. وبدأت الاستدانة وزاحمتك الديون ..

والآن تعود إليَّ .. حتى إذا تحسنت حالتك ، وظهرت في الأفق غادة جديدة جريت وراءها كشأنك .. ووقتئذ تنظر إليَّ فتراني لم أعد صالحة لك فتلفظني من جديد .. أليس كذلك ؟

لا .. لا لن أخاطر بحياتي مرة أخرى معك .. لأنني لا أحب المخاطرة ، كما أنني لست تلك الدمية التي ترغب في أن تلهو بها وقتما تشاء .. وتتركها كيفما تشاء ..

لم يفق من ذلك الصوت الذي يدوِّي في سمعه ويردد رفض زوجته الأولى العودة إليه حتى ألقى نفسه تحت عجلات سيارة مرقت بجانبه مروق السهم .. وعلى أثر تلك الصدمة القوية راح في غيبوبة طويلة ..

وفي اليوم التالي .. اندفعت «ابتسام» تجري كالمجنونة تهيم على وجهها ، وفي صدرها مرارة ولوعة حزينة بعدما قرأت تفاصيل الحادثة في الجريدة الصباحية .. وأمام الطبيب المعالج وقفت تسأله في صوت راعش عن حالة المريض ..

وقد ألقى الطبيب في سمعها بكلمات أدركت منها أن حالته بالغة الخطر، وذلك بسبب تلك الصدمة القوية التي سببت شلل الجزء الأسفل من جسده ..

وخرجت من غرفة الطبيب تتعثّر ، وتبكي ، وساقتها خطاها إلى حجرة المريض ، وهي لا تكاد تتبيّن الطريق من فرط لوعتها .

وتوالت الأيام ، وهي بجانبه تقوم على خدمته وتعنى بأمره كل العناية وتواسيه فيما يجد من ضيق ، وما يقاسيه من أوجاع خلال تلك الفترة العصيبة التي حاقت به ..

وفي ليلة همَّ أن يلقى إليها بسؤال ظل يراوده منذ أن رآها بجانبه وهي تقوم على رعايته ، والتسرية عنه ، لكنه ما لبث أن عدَل عنه ..

وأحست به «**ابتسام**» فهتفت تسأله عما يريد ، وبعد صمت لم يطل ، سألها في إعياء شديد عن سبب عودتها بعد أن أعلنت تصميمها على رفض الرجوع إليه ..

قالت وهي تشمله بنظراتها :

ـ لقد عدت إليك راضية .. وسوف أكون بجانبك في محنتك ، أرعاك بحبي وأشملك بحناني ، وسأبذل كل ما في وسعي لاسعادك .. وسأكسب أيامك بهجة ، ونضارة ..

والآن يطيب لي أن أسألك بدوري ، هل ترضى أن أعيش معك .. وأعود إلى مكاني الأول في بيتك من جديد ؟ وكلٍّ أمل أنك سترضى دون تردّد .. أليس كذلك ؟؟

وامتدت يده إلى يدها ، وضغط عليها في حنو ورفق ، وحدَّق في عينيها ، كأنما يطلب العفو منها وتلاقت النظرات ..

ولم يمض قليل من الوقت ، حتى أحست «ابتسام» ببرودة في يده ، وبتقلص شفتيه ، وارتخاء جفنيه ..

وحينئذ نظرت إليه مشدوهة وأحست أن الذي كان يضغط على يدها كأنما كان يضغط على نفسه ألاّ تغادره .. وبكتْ .. بكَتْ بمرارة ..

●●●



أمراض الأطفال

أ

التهاب رئوي :

أحد الأمراض المنتشرة والخطيرة التي **تصيب الجهاز التنفسي للأطفال** ، ويكثر حدوثه في فصلي الشتاء والربيع . وهو التهاب للحويصلات الهوائية للرئة وما حولها بواسطة (المكور الرئوي) وتحدث العدوى عن طريق الرذاذ المتطاير من أنف وفم المريض عند السعال ، أو عن طريق أدواته الملوثة ببصاقه ، وتشكل نزلات البرد والانفلونزا واهمال علاجهما العامل الرئيسي في حدوث المرض .

أعراضه تبدأ بارتفاع فجائي في درجة حرارة الطفل ، مع قشعريرة أو رعشة ، ويصاب الطفل بهيجان ويصبح تنفسه سريعاً وغير عميق . يصاحب ذلك الم ناخس (وخزي) في جانب الصدر ، وسعال جاف . وتلاحظ الأم أن فتحة أنف طفلها تنفرج مع الشهيق لإدخال أكبر كمية ممكنة من الهواء وأن طفلها يحدث أنيناً مميزاً (**Grunting**) مع الزفير .

يجب الإسراع بعرض الطفل على الطبيب نظراً لخطورة **مضاعفاته** مثل : الانسكاب البلوري ، تليف وخراج الرئة ، التهاب غشاء القلب ، التهاب المفاصل ، الالتهاب السحائي ، التهاب الأذن الوسطى ، التهاب البريتون .. الخ .

ب

برايت :

مرض برايت أو (**التهاب الكلى الحاد**) ، نوع من أنواع الحساسية (للميكروب السبحي) ولذا فغالبا ما يُسبق هذا المرض بالتهاب الحلق أو اللوزتين أو الحمى القرمزية . وسمي بمرض (برايت) نسبة إلى الطبيب الانجليزي (**ريتشارد برايت**) الذي اكتشف الحقائق الرئيسية للمرض عام ١٨٢٧م .

وهناك **ثلاثة أعراض رئيسية للمرض** : أولاً : تغيرات في البول وتشمل نقص كمية البول وتغير لونه حيث يبدو (دخانياً) ، ووجود الزلال واسطوانات دموية بالبول . ثانياً : ارتفاع ضغط الدم . ثالثاً : حدوث تورم (أوديما) خاصة بالوجه وحول العينين .

المضاعفات : هبوط القلب ، وارتفاع الضغط بالمخ ، والفشل الكلوي الحاد . ولذا فالوقاية هنا مهمة جدا .. فيجب عدم تعريض الطفل لنزلات البرد ، وتجنب وجوده في الأماكن الرطبة والمزدحمة والاهتمام بنظافة المسالك الهوائية ، وحماية الطفل من الاصابة بالتهابات الحلق واللوزتين والحمى القرمزية ، وعلاج هذه الأمراض علاجاً كاملاً وتحت اشراف الطبيب .

ت

تبول لا إرادي :

ظاهرة مرضية ، تعني عدم قدرة الطفل على التحكم في البول أثناء النوم ، وبعد العام الرابع من عمره . ويحدث بين سن (٤ ـ ١٥) سنة ، وتصل نسبته إلى ١٢٪ من الأطفال عند عمر (٥) سنوات و٨٪ عند عمر (٨) سنوات ، و١٪ حتى سن (١٥) سنة .

وهناك **الأسباب العضوية** : وتمثل ١٠٪ من الأسباب ، وتعود إلى خلل أو مرض عضوي في أحد أعضاء الجهاز البولي أو الجهاز العصبي المتحكم في نظام الجهاز البولي مثل : التهابات حوض الكلى أو الحالب أو المثانة ، ضيق حجم المثانة ، تشوهات العمود الفقري ، مرض السكر ، بعض الطفيليات المعوية كالاكسيورس . أما (**الأسباب النفسية**) وتمثل ٩٠٪ من الأسباب فتعود إلى فقدان الطفل الشعور بالأمن ، وحرمانه من العطف والحنان ، أيضاً ضرب وتوبيخ الطفل بعد تبوله ، وخوف الطفل ، وقلة العناية بالطفل بعد الاهتمام به عقب شفائه من مرض ما مثلاً أو ولادة طفل جديد .

يقوم الطبيب بعلاج المرض العضوي بعد عمل الفحوصات المعملية في حالة وجوده . ثم يبدأ العلاج النفسي ببحث الأسباب المؤدية إلى التبول مع الطفل ووالديه ، وتدريب الطفل اثناء النهار على حبس البول أكبر قدر ممكن ، ويراعى عدم شرب السوائل بعد السادسة مساء وتعويد الطفل على إفراغ مثانته قبل النوم .

ج

الجُدَرِيّ :

مرض فيروسي ، تنتشر عدواه عن طريق الرذاذ أو عن طريق أدوات المريض الملوثة . تبدأ أعراضه بارتفاع بسيط في درجة الحرارة مع صداع وتوعك عام ، يعقبها ظهور الطفح الجلدي المميز للجدري على البطن والصدر والظهر وتحت الإبطين ، ويتكون من بقع صغيرة حمراء تتحول إلى ارتفاعات جلدية صلبة (حلميات) تتحول إلى أكياس صغيرة بداخلها سائل مائي رائق تسمى (الحويصلات) ثم يتحول السائل الرائق إلى سائل صديدي عكر عندئذ تسمى (البثرات) . ويتميز الطفح بظهوره في مجموعات وعلى دفعات ، ويلاحظ ظهور مختلف مراحل الطفح في نفس المكان الواحد .

الوقاية والعلاج : يجب عزل الطفل لمنع انتشار المرض ، وقص أظافره

حتى لا يحك جلده فتنفجر الحويصلات وتهاجمها الميكروبات ، والعناية بنظافة الطفل ، ويعتمد العلاج على اعطاء الطفل عقاقير من شأنها تسكين شدة الحكة ومنع وعلاج مضاعفات المرض .

ح

الحصبة :

مرض فيروسي شديد العدوى ، تحدث عدواها عن طريق الرذاذ المتناثر من فم وأنف المريض وأعراضها تشبه الأنفلونزا في البداية ، حيث ترتفع درجة الحرارة مع زكام ورشح وسعال جاف واحمرار العينين ، وفي اليوم الثالث للمرض تظهر بقع بيضاء صغيرة بفم الطفل (بقع كوبلك) . وفي اليوم السابع يظهر طفح جلدي أحمر اللون خلف الأذنين والجبهة ثم ينتشر ليغطي الجسم كله .

ومضاعفاتها : النزلات المعوية والشعبية ، والالتهابات الرئوية ، والتهاب المخ .. الخ . ومن هنا تأتي أهمية (الوقاية) من هذا المرض الخطير ، وذلك بتطعيم الطفل بطعم الحصبة (½ سم^3 حقنا تحت الجلد) في الشهر التاسع مرة واحدة .

خ

الخناق (الدفتيريا) :

مرض شديد العدوى ، **يصيب الحلق أساساً** (٨٠٪ من الحالات) وبدرجة أقل الحنجرة والأنف والعين والجلد . وتنتقل عدواها بواسطة الرذاذ المتطاير من المرضى أو حاملي الميكروب ويلعب اللبن دوراً مهماً في نقل العدوى . تظهر أعراضها على هيئة وجع بالحلق ، وصعوبة في البلع ، وارتفاع متوسط في درجة الحرارة ، وقيء ، وفقدان الشهية للطعام .

من **علامات المرض** : وجود (غشاء) سميك ملتصق بالحلق لونه رمادي ينزف دماً عند ازالته ، ووجود تضخم في الغدد اللمفاوية في الرقبة حيث تبدو رقبة الطفل مثل (رقبة الثور) .

وتتم **الوقاية** ، بتطعيم الطفل بالطعم الثلاثي (الدفتيريا والسعال الديكي والتيتانوس) ½ سم^3 حقنا في العضل في الشهور الرابع والسادس والثامن ، ثم جرعات تنشيطية عند (١٨) شهرا ، و(٣) سنوات ، و(٦) سنوات .

دُ

الدرن :

مرض معد ، تحدث عدواه نتيجة للاختلاط المباشر بالمرضى ، أو شرب لبن ماشية مصابة بالدرن ، أو استنشاق الغبار المحمل بميكروب المرض . ويهيىء لانتشاره البيئة غير الصحية ، والمنازل المحرومة من الشمس والهواء النقي ، وسوء التغذية ، والأمراض المنهكة مثل السكر . وأعراضه : ارتفاع بسيط في درجة الحرارة خاصة في المساء ، وفقدان الشهية ، ونقص في الوزن ، وكحة جافة ، وعرق غزير أثناء الليل .

(**الوقاية**) بالتطعيم بطعم (البي . سي . جي) ، ويعطى حقناً بجلد أعلى الذراع خلال أول أربعين يوماً للولادة . ويكرر التطعيم عند سن ست سنوات ، مع تهوية المنازل ، وغلي اللبن جيدا ، وإحكام الرقابة على الماشية والفحص الدوري للأطفال واكتشاف حاملي المرض وعلاجهم .

ذ

ذبحة الزور :

التهاب الحنجرة والقصبة الهوائية مع تقلصهما ، تبدأ أعراضها عادة بعد نوبة من نوبات البرد أو أي عدوى مشابهة . ويكون الطفل مبحوح الصوت إلى حد ما ، فيما عدا ذلك يبدو طبيعياً في أثناء النهار ، وعندما يأوى إلى فراشه تبدأ النوبة بكحة جافة لها شيء من الرنين الخاص ، سرعان ما تصبح شديدة وتتميز بصوت (النباح) المميز لها ونظراً لتقلص الحنجرة فإن الطفل يجد صعوبة شديدة في التنفس ، وعند محاولته التنفس يصدر عنه صوت قوي معروف قلما يُنسى .

العلاج : استنشاق صبغة الجاوة والاكسجين ، ويصف الطبيب المضاد الحيوي المناسب وقد يحتاج إلى شق حنجري عند حدوث انسداد في الحنجرة .

ر

حمى روماتزمية :

مرض خطير يصيب الأطفال من سن (٥) سنوات إلى (١٥) سنة نتيجة (لحساسية) بعض الأطفال للميكروب السبحي الذي يصيب الحلق واللوزتين والجلد ، وتختلف الأعراض من حالة إلى أخرى ، فقد تظهر على هيئة ارتفاع في درجة الحرارة ، مع التهاب وتورم بالمفاصل الكبرى مثل مفصل الركبتين والكاحلين والكتف والكوع ، أو عقد روماتزمية بالجلد ، أو إصابة عضلات القلب وصماماته ، أوقد يكون على هيئة (كوربا) روماتزمية . ويتميز ورم المفاصل بأنه يظهر في أحد المفاصل ثم يختفي ليظهر في مفصل آخر .

ونظرا للعلاقة الوثيقة بين التهابات الحلق واللوز والاصابة بالحمى الروماتزمية ، يجب علاج هذه الالتهابات علاجاً كافياً وتحت إشراف الطبيب ، فالإهمال في العلاج هو الذي يؤدي إلى الإصابة بالحمى الروماتزمية .

ز

الزكام (نزلة البرد) :

عدوى سريعة الانتشار للجزء العلوي من الجهاز التنفسي بفيروسات معينة . ويساعد على إصابة الطفل [الاجهاد وسوء التغذية والتعرض للتيارات الهوائية] .

الأعراض : زكام ورشح من الأنف ، تدميع العينين ، صداع وجفاف الحلق ، وقد ترتفع درجة الحرارة ، مع كحة جافة أحياناً .

المضاعفات : التهاب الجيوب الأنفية ، التهاب الأذن الوسطى والحنجرة النزلات الرئوية والشعبية .

ويعتمد **العلاج** على الراحة التامة ، وحسن التغذية ، وتناول فيتامين (ج) وسرعة علاج المضاعفات في حالة حدوثها بواسطة الطبيب .

س

السعال الديكي (الشاهوق) :

مرض معد تنتقل عدواه عن طريق الرذاذ أثناء السعال ، وتكثر حالاته في الشتاء .

وأهم **أعراضه** : ارتفاع درجة الحرارة ، وسعال قد يعقبه قيء خاصة أثناء الليل ، وحدوث نوبات من السعال ، تتكون كل نوبة من شهيق عميق يعقبه زفير قصير متتابع مع صوت يشبه صيحة (الديك) ، ومن هنا جاءت التسمية .

وأهم **مضاعفاته** : الالتهاب الرئوي الشعبي والفصي وانقباض الرئة ، وحدوث فتق سري ، أو سقوط المستقيم .

والوقاية مثل (الدفتريا) بواسطة الطعم الثلاثي .

ش

شلل الأطفال :

مرض يحدث نتيجة العدوى بفيروس خاص . وتنتقل عدواه بواسطة الرذاذ ، أو عن طريق تناول طعام أو شراب ملوث بفيروس المرض . ويلعب الذباب واللبن دوراً مهماً في نقل العدوى .

الأعراض تشبه في البداية الأنفلونزا فترتفع درجة الحرارة ، مع صداع ورشح ، واضطرابات بالجهاز الهضمي . ثم يبدأ (دور الشلل) فجأة ، حيث لا يقوى الطفل على السير أو الجلوس ثم ينحسر الشلل تدريجياً ، ويبدأ الطفل في استعمال أطرافه كما يمكنه الجلوس أو السير . ثم يتوقف الشلل عن التحسن ، ويكون الشلل المتبقي أقل بكثير من الشلل الذي بدأ به المرض .

الوقاية : بتطعيم الطفل بالطعم الحي المروض (**سابين**) بنقطتين على اللسان ، وفي نفس مواعيد الطعم الثلاثي . ويجب الإهتمام بتهوية المنازل ونظافة الطعام والشراب ، ومكافحة الذباب ، وغلي اللبن جيدا قبل تناوله ، وعدم ارتياد الأماكن المزدحمة .

ص

الصــــرع :

مرض عصبي منتشر ، يحدث نتيجة لعدة أسباب أهمها : اصابات وأورام المخ ، التهاب السحايا (الحمى الشوكية) ، التشوهات الخلقية ، الولادة العسرة ، اضطرابات الغدد والتمثيل الغذائي ، ونقص السكر في الدم . وتلعب الوراثة دوراً مهماً في أنواع معينة من الصرع .

والصرع في الأطفال أنواع : **دور الصرع الصغير** ، وهو عبارة عن عدة نوبات تتكرر يومياً كل نوبة تتكون من غفوة وقتية مصحوبة بالتحديق في الفضاء وصمت لبضع ثوانٍ ، يعود بعدها الطفل إلى اكمال ما كان عليه قبل النوبة . **ودور الصرع الكبير** ، يبدأ بفقدان الطفل لوعيه مع تشنج توتري في العضلات مصحوب بتوقف التنفس وظهور زرقة وزبد بالفم . وقد تبدأ النوبة الصرعية في جزء محدود من جسم الطفل مثل : زاوية الفم ، أو حركة لا إرادية بالأصبع الكبير بالقدم ، ثم ينتشر على جانب واحد من الجسم ، وهذا يُعرف (**بالصرع البؤري**) .

وهناك **أنواع أخرى** من الصرع يصاب بها الطفل لمجرد سماع صوت مفاجىء ، أو موسيقى صاخبة ، أو مشاهدة التليفزيون . ويتم العلاج بواسطة الطبيب المتخصص .

ض

ضعف الشهية :

قد يعود ضعف الشهية عند الطفل إلى (**أسباب مرضية**) مثل : النزلات المعوية والشعبية الحصبة ، الانفلونزا ، نزلات البرد ، التهاب الحلق ، التهابات الفم خاصة مرض القلاع . كذلك عند التسنين وبعد التطعيمات . أو إلى (**أسباب نفسية**) وتعود إلى أخطاء تربوية في تنشئته ، أو عدم انتظام وجبات الطفل وعدم مناسبة نوعية الطعام وتركيزه لسن الطفل ومزاجه الخاصّ ، والفطام المتأخر .

ويجب مراجعة الطبيب لعلاج الطفل في حالة اصابته بأحد الأمراض العضوية . ويجب على الأم عدم تأخير فطام طفلها ، ويراعى الحرص على تناول الطفل لطعامه في مواعيد منتظمة وعدم تناول الطفل للحلوى أو المكسرات أو المشروبات بين الوجبات أو قبلها . وأخيراً .. ننصح بأن يقدم للطفل الطعام الذي يحبه في أوان خاصة جذابة ، وتركه يأكل وحده دون أي تدخل من الأهل ، وتقدم له كميات قليلة في بادىء الأمر لكي يطلب غيرها ، مع تركه ينصرف عن الطعام في اللحظة التي يفقد اهتمامه به .

ط

الطفولة ، سكر :

مرض يصيب الأطفال تحت سن (١٥) سنة ، ويرجع إلى تلف خلايا « **لا نجرهانز** » الموجودة في البنكرياس التي تفرز هرمون الأنسولين ، وبالتالي يعجز البنكرياس عن إمداد الجسم بحاجته من الأنسولين ، ولذا فهذا النوع من السكر يستجيب للعلاج بحقن الأنسولين ، ويؤدي ذلك العجز إلى ارتفاع نسبة السكر في الدم عن معدلها الطبيعي ، وتسرب السكر في البول ، ومن ثم ظهور أعراض المرض المعروفة .

لا تختلف **الأعراض** عن أعراض سكر الكبار ، بيد أن هذه الأعراض تحدث بشكل حاد ومفاجىء فيشكو الطفل من كثرة التبول ، والعطش الشديد ، وتلاحظ الأم الهبوط الكبير والملحوظ في وزن الطفل يصاحب ذلك الضعف الشديد ، والشعور بالجوع .

يستطيع الطفل المريض بالسكر أن يحيا حياة طبيعية شأنه في ذلك شأن أي طفل آخر ما التزم بالعلاج ونفذ تعليمات الطبيب المعالج .

غ

الغدة النكفية ، التهاب (النكاف) :

مرض معد ، **يصيب الغدة النكفية** ، إحدى الغدد اللعابية الموجودة أمام الأذن . تحدث العدوى بفيروس خاص ، ينتقل عن طريق الرذاذ أو استعمال أدوات المريض .

أعراض النكاف : حمى بسيطة ، وزفزفة وغثيان ، ثم بعد ٢٤ ساعة يشكو الطفل من الم أمام حلمة الأذن ، يعقبه تورم تدريجي بالغدة النكفية ، يزداد الألم عند المضغ وعند البلع ، وقد تتضخم الغدة النكفية الثانية بعد يوم أو يومين من تضخم الأولى ، كما قد تتضخم الغدد اللعابية تحت اللسان أو تحت الفك في ناحية أو ناحيتين .

أهم المضاعفات : التهاب الخصية في البالغين فقط مما قد يؤدي إلى العقم ، التهاب المبيض أو الثدي في الإناث . ونادراً ما يسبب التهاب البنكرياس أو المخ .

الوقاية : بواسطة **الطعم الفيروسي الثلاثي (M. M. R)** ضد الحصبة والحصبة الألمانية والنكاف في الشهر الخامس عشر من عمر الطفل مرة واحدة .

ف

أنيميا الفول :

أنيميا تكسرية ، وراثية ، ونادرة الحدوث . تحدث لنقص إنزيم في الدم يسمى (G. 6 - P. D.) عند بعض الأطفال . ونتيجة لنقص هذا الانزيم ، تحدث بعض التفاعلات تكون نتيجتها إحداث تكسير شديد بكرات الدم الحمراء بواسطة الفول ، أو مشتقاته (كالطعمية والفول الأخضر والبصارة .. الخ) أو بعض الأدوية (كالأسبرين والسلفاناميد ، الكلورومفينكول ، أدوية الملاريا ، النوفالجين وغيرها) وبالتالي حدوث أنيميا حادة وظهور أعراضها على هؤلاء الأطفال .

وتظهر **الأعراض** عادة عندما تبدأ الأم في فطام طفلها باعطائه وجبة فول .. عندئذ تفاجأ الأم بطفلها وقد أصيب بامتقاع وشحوب شديدين في وجهه ، وعرق غزير ، وهبوط شديد . يصاحب ذلك غثيان وقيء وألم بالبطن . وفي الحالات الشديدة يتحول لون البول إلى اللون الأحمر مع اصفرار عيني الطفل .

والعلاج هنا نقل الدم للطفل .. ويجب على الأم تنبيه الطبيب إلى مرض طفلها بأنيميا الفول إذا ما ذهبت إليه لعلاج طفلها من مرض آخر ، حتى يتجنب اعطاء الطفل الأدوية التي تسبب هذه الأنيميا .

ق

الحمى القرمزية :

مرض معد ، يحدث نتيجة الاصابة بالمكور السبحي المحلل للدم مجموعة (أ) . وتحدث العدوى عن طريق الرذاذ أو عن طريق أدوات المريض الملوثة أو عن طريق اللبن الملوث بالميكروب السبحي . ويتميز هذا المرض بهذه الصورة المميزة : التهاب الحلق ، وطفح قرمزي اللون (ولذلك سميت بالحمى القرمزية) ، وتغيرات مميزة في لسان المريض ، وحدوث تقشر أو انسلاخ في الجلد بعد الطفح .

أخطر **المضاعفات** : الحمى الروماتزمية ، والتهاب الكلى الحاد . فضلاً عن التهاب الأذن الوسطى ، التهاب غشاء القلب ، التهاب المفاصل ، الالتهاب الرئوي الشعبي .

والوقاية : ضرورة اتباع القواعد الصحية ونظافة فم الطفل ، وتعقيم اللبن أو غليه قبل تناوله ، ومحاربة الذباب ، وتخصيص أدوات خاصة بالمريض ، وعدم اهمال التهابات اللوز أو الحلق وعلاجها علاجاً كاملاً وتحت اشراف الطبيب .

ك

الكواشيوركور :

يعني الكواشيوركور باللغة الغانية : **مرض الطفل الأول لاحساسه بقدوم الطفل الثاني** . وهو أحد أمراض سوء التغذية الخطيرة . ويرجع إلى النقص الشديد والمستمر في المواد البروتينية في طعام الطفل . ويحدث ذلك في فترة فطام الطفل أو بعد فطامه . يساعد على ذلك الفقر والجهل ونقص الوعي الغذائي لدى بعض الأمهات ، كذلك البيئة غير الصحية ، والنزلات المعوية والحميات والطفيليات وغيرها .

وأعراضه الرئيسية : تأخر نمو الطفل حيث يقل وزنه بصورة كبيرة وملحوظة . ويحدث تورم في الأطراف السفلى ثم في الجسم كله . وتعتري الطفل تغيرات نفسية مثل البلادة والتعاسة والتبرم والحزن ، كما تحدث تغيرات في الشعر والجلد . ويصاحب هذا المرض نقص في الفيتامينات والمعادن ويصبح الطفل عرضة للاصابة بالأمراض المعدية .

العلاج : يتم اسعاف الطفل بتصحيح سوائل الجسم وعلاج الجفاف ، وعلاج المضاعفات ، ثم العلاج الغذائي ويرتكز على امداد الجسم بالبروتينات ، ويعطى عادة مسحوق اللبن المنزوع الدسم بمعدل (١٢٥) ملجم/ لكل كيلو جرام من وزن الطفل/ في اليوم .

ل

التهاب اللوزتين :

مرض معد ، يسببه عادة الميكروب السبحي ، وتحدث عداوة عن طريق الرذاذ المتطاير من حلق المريض .

أعراضه : ارتفاع درجة الحرارة ، ألم في الحلق صعوبة في البلع . ويكون اللسان متسخاً ورائحة الفم كريهة . أهم علامات المرض هو تضخم اللوزتين ووجود حبيبات بيضاء اللون على اللوزتين . وقد يوجد تضخم في الغدد اللمفاوية تحت الفكين وفي العنق .

المضاعفات : التهاب الأذن الوسطى ، والالتهاب الرئوي ، والتهاب الكلى ، والحمى الروماتزمية .

لذلك يجب علاج هذا المرض علاجاً تاماً وتحت اشراف الطبيب .

م

انسداد معوي :

هو انسداد تجويف الأمعاء مما ينتج عنه عدم مرور الغذاء المهضوم والعصارات الهاضمة داخل تجويف الأمعاء ، فتتجمع هذه المواد فوق منطقة الانسداد مما ينتج عنه مضاعفات خطيرة . وأخطر أنواع الانسداد المعوي هو ما يحدث في الأطفال حديثي الولادة ، نتيجة لوجود انسداد في المرىء ، أو التواء الأمعاء ، أووجود التصاقات بريتونية خلقية ، أو تضخم القولون ، أو الانسداد الخلقي في جزء من الأمعاء سواء الدقيقة أو الغليظة .

والأعراض غالباً ماتكون حالة قيء مستمر ، وعدم مرور شيء البراز ، وانتفاخ البطن . وعلى الأم المسارعة بعرض طفلها على الطبيب في حالة حدوث بعض أوكل هذه الأعراض ، لأن عامل الوقت هنا في منتهى الأهمية ، فالفرق بين انقاذ الطفل أو حدوث مضاعفات مميتة قد تكون ساعة أو أقل من ساعة فقط .

ن

نزلة معوية (اسهال) :

تنتشر النزلات المعوية كثيراً **في فصل الصيف** ، وتعتبر العدو الأول للأطفال . والإسهال هوزيادة عدد مرات التبرز عن العادة مع تَغَيُّر قوام البراز بحيث يكون ليناً أو مائياً . وقد يصاحب الإسهال القيء المتكرر ، وقد يكون سبب النزلة المعوية ميكروباً معدياً ، أو قد تصحب عملية فطام خاطئة ، أو قد تكون نتيجة عدم الاهتمام بالنظافة ، أو نتيجة تلوث طعام الطفل ، أو زحف الطفل على الأرض غير النظيفة ، ووضع أصابعه والأدوات الملوثة في فمه .

وترجع خطورة النزلات المعوية لدى الأطفال إلى تكرار عدد مرات الإسهال ، والذي قد يصحبه قيء متكرر ، والنتيجة أن يفقد الطفل كمية كبيرة من السوائل تعرضه لحالة جفاف شديد ، مما يستدعي السرعة في تعويض هذه السوائل بالمحاليل بواسطة الطبيب .

و

الوسطى ، التهاب الأذن :

التهاب حاد يصيب الغشاء المخاطي المبطن للأذن الوسطى . ويرجع ذلك إلى كثرة اصابة الأطفال بأمراض الجهاز التنفسي العلوي كنزلات البرد والأنفلونزا ، وكذلك إصابة الأطفال بالحميات ، وتكرار التهاب اللوزتين والتهاب الجيوب الأنفية . وكذلك الوضع الخاطىء أثناء الرضاعة ، حيث تقوم الأم بارضاع طفلها وهو في وضع أفقي ، وهذا معناه تسرب اللبن إلى الأذن الوسطى عن طريق **قناة استاكيوس** ، التي تفتح مع البلع أثناء الرضاعة .

والأعراض : ارتفاع كبير في درجة الحرارة ، وآلام شديدة بالأذن ، ويفقد الطفل قدرته على النوم ويصبح متهيجاً ، كما يفقد شهيته للطعام .

الوقاية : يجب علاج نزلات البرد خاصة إذا صاحب حميات الأطفال ، وعلاج التهاب الأنف والجهازالتنفسي . ويجب إبعاد الطفل عن كل مريض بالبرد أو الأنفلونزا ، وحث الأم على الرضاعة الطبيعية .

ى

اليرقان (الصفراء) :

الصفراء هي **اصفرار بياض العين والجلد وبعض سوائل الجسم** ، نتيجة لزيادة مادة البليروبين (المادة الصفراء) في الدم . **والصفراء أنواع** :

(الصفراء التحليلية) : وهي نتيجة لتكسير كرات الدم الحمراء ، وتكون إما **وراثية** نتيجة لاختلافات إل **R H** في دم الزوجين ، أو **فسيولوجية** (طبيعية) وتحدث للأطفال حديثي الولادة في الأسبوع الأول وتختفي بدون أي علاج ، وإما مكتسبة نتيجة لتغير بالانزيمات داخل كرات الدم الحمراء .

(الصفراء الانسدادية) : وهي أكثر أنواع الصفراء خطورة على المريض ، ويكون فيها لون البول مثل الشاي ويكون البراز باهت اللون . وتحدث نتيجة لضيق خلقي بالقنوات المرارية أو التهابات مزمنة بالكبد أو أورام وتليف بالكبد ، أو وجود حصوات بالقناة المرارية ، أو أورام خبيثة تضغط على القناة المرارية من الخارج وأهمها سرطان رأس البنكرياس وغيرها .

(الصفراء الكبدية الوبائية) : وتحدث نتيجة للالتهاب الكبدي الوبائي ، وفيها يكون البول غامقاً مثل الشاي أو العرقسوس والبراز فاتحاً . وتعالج بعزل المريض والراحة التامة ومنع المواد الدهنية والاقلال من البروتينات والاكثار من السكريات ، واعطاء الفيتامينات وبخاصة (ب ، ك) ، وملاحظة البول والبراز يومياً لمتابعة درجة الصفراء .

■■■

أهم المراجع :

1) Pediatrics / A.S. Abbassy / Dar Al-Maaref 1987

2) Nelson / Textbook of pediatrics / Waldo E. Nelson, M.D./1981

(٣) المرشد في امراض الأطفال / جون هندرسون / ترجمة د . محمد شرف / سلسلة الألف كتاب / رقم ٦٣٢ / القاهرة ١٩٦٧م .

(٤) عندما ترتفع درجة حرارتك / د . محمد فتحي عبد الوهاب / كتاب اليوم الطبي / ابريل ١٩٩٠م .

(٥) الحميات والأمراض المعدية / د . جمال الدين العرقان / كتاب اليوم الطبي / يونيه ١٩٨٣م .

(٦) حتى لا تخطىء في علاج طفلك / د . خليل الديواني / كتاب اليوم الطبي / يناير ١٩٨٨م .

(٧) من الطفولة إلى المراهقة / د . أحمد السعيد يونس / كتاب اليوم الطبي / اكتوبر ١٩٨٦م .

(٨) مجلة طبيبك الخاص / دار الهلال بمصر / عدة أعداد .

مسابقة مجلة «الفيصل»

١ ـ قيمة الجوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٧٥٠ ريالاً .

ب ـ الجائزة الثانية ٥٠٠ ريال .

جـ ـ الجائزة الثالثة ٣٥٠ ريالاً .

د ـ سبع جوائز قيمة كل منها ٢٠٠ ريال سعودي .

هـ ـ عشر جوائز قيمة كل منها اشتراك مجاني لكل فائز لمدة عام في مجلة «الفيصل» .

٢ ـ شروط المسابقة

أ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وإرفاق الإجابات مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الإسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

مسابقة مجلة « الفيصل »

ص . ب ٣ الرياض ١١٤١١ المملكة العربية السعودية

(مع ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لا يلتفت إليها .

د ـ من حق القارىء أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

هـ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة .

●● أسئلة مسابقة مجلة الفيصل ●●

● السؤال الأول :

الصورة المنشورة تمثل نموذجاً للكتابة على أحد المساجد القديمة في بلد عربي . أين يقع هذا المسجد ؟ ومن الذي بدأ بناءه ؟ ومن الذي أتمه ؟



● السؤال الثاني :

برنامج الطاقة الشمسية ، واحد من البرامج المتكاملة التي وضعتها « مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية » لخدمة المجتمع . اذكر انجازات مشروع الإنارة بالطاقة الشمسية المنبثق عن هذا البرنامج .

● السؤال الثالث :

تيوفيل جوتييه ، رابيه انكيل ، فيتسلاف نيز فال ، من الشعراء الأوروبيين المشهورين . عرِّف كلا منهم باختصار .

● السؤال الرابع :

ميدان « بايزيد » ، من الميادين العامة المشهورة في مدينة اسطنبول التركية . اذكر أهم المعالم الأثرية التي توجد في هذا الميدان .

● السؤال الخامس :

اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية : ذهول العقول بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، صورة النجاح ، الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث ، الشعر في ظلال حركة الإمام محمد بن عبدالوهاب .

●● أجوبة مسابقة العدد (١٧٢) ●●

ج ١ : هو الكاتب الإسلامي المعاصر « **مالك بن نبي** » - يرحمه الله - من **القطر الجزائري** الشقيق .



ج ٢ : **الصورة « للمتحف العسكري الفرنسي » ويقع في قلب مدينة باريس ، في مبنى عتيق عُرِفَ باسم « هوتيل دي إنفالير » يعود تاريخ إنشائه إلى أواخر القرن السابع عشر ، وقد أمر بإنشائه لويس الرابع عشر ملك فرنسا - وقتذاك -** .

ج ٣ : **بدأ تنفيذ مشروع الخط الحديدي الذي يربط المنطقتين الشرقية والوسطى في المملكة العربية السعودية في ١٣٦٦/٥/١٠ هـ الموافق ١٩٤٧/٤/١ م ، وقد تسلمته الحكومة السعودية بمرافقه كاملة في ١٣٧٢/٤/١٤ هـ الموافق ١٩٥٢/١٢/٣١ م .**

ج ٤ : يعد **أبو الريحان البيروني** (توفي ٤٣٠ هـ / ١٠٣٩ م) **أول من فصل الطب عن الصيدلة** ، ونادى باستقلال الصيدلة عن الطب ، ومن أشهر كتبه في هذا المجال كتاب : « **الصيدلة في الطب** » .

ج ٥ : تأثيرات الموجات فوق الصوتية :

(أ) **تأثير ميكانيكي** : لوقوع النسج تحت ضغط وانحطاط وبالتالي إكثار نفاذها ، وسرعة تبادل المواد بها ، وتجديد نشاطها الخلوي والترميمي وتغذيتها جيداً بالدم والأكسجين .

(ب) **تأثير طردي** : قوي وجيد . ٨٠ ٪ من هذه الحرارة تنتقل عن طريق الدم و ٢٠ ٪ تنتشر في الوسط المحيط ، وهذا يكثر نفاذ الأغشية الخلوية ويرخي العضلات ويعرّض الأوعية الدموية .

(ج) **تأثير فزيو كيماوي** : تأكسد وإرجاع جيدان وبالتالي تشكل مفعولاً أفضل للهستامين وأتستيل كولين . القلويات تتحول لجل وماء .

(د) **تأثير بيولوجي** : تنشيط المناعة والوظائف الدفاعية للجسم . وتجديد الخلايا ، وتحسين الدورة الدموية ، وشفاء الجروح ، وتحسين تبادل المواد وتركيب البروتينات .

●● نتائج مسابقة العدد (١٧٢) ●●

● فازت **بالجائزة الأولى** ، وقيمتها (٧٥٠) **سبعمائة وخمسون ريالاً سعودياً** ، الأخت (**دليل عبدالله صالح المطلق**) - **الرياض** - المملكة العربية السعودية .

● وفاز **بالجائزة الثانية** ، وقيمتها (٥٠٠) **خمسمائة ريال سعودي** ، الأخ (سيد نثار علي) **1709** - رودجران - لال كنوان - دلهي **110006- الهند** .

● وفاز **بالجائزة الثالثة** ، وقيمتها (٣٥٠) **ثلاثمائة وخمسون ريالاً سعودياً** ، الأخ (**سامر مأمون عبدالله**) - مدرسة هلال بن عطية الصباحية - صحم - الباطنة - **سلطنة عمان** .

□□□

● **وهناك سبع جوائز مالية كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي** ، فاز بها الإخوة والأخوات التالية أسماؤهم :

من **المملكة العربية السعودية** ، الطائف - ص . ب (١٢٠٢) - الأخ (**صالح جويبر حمود العصيمي**) .

من **مصر** ، المحلة الكبرى - الأخت (**منى عبدالعزيز عرابي البهلوان**) .

من **تونس** ، المروج - الأخت (**حسنة بنت أحمد بن عمر الصابري**) .

من **السودان** ، ودمدني - الحوش - مكتب التعليم - الأخ (**شرف الدين أحمد وهب الله**) .

من **الجمهورية اليمنية** ، تعز - ص . ب . (٥٥٢٥) - الأخ (**نشوان منصور عبدالله**) .

من **الجزائر** ، ولاية المسيلة - الأخت (**سليمة سلطاني**) .

من **المغرب** ، الدار البيضاء - الأخت (**السعدية ريحان عمر إبراهيم**) .

□□□

● **إلى جانب عشر جوائز أخرى كل منها اشتراك مجاني لمدة عام (١٢ عدداً) في مجلة « الفيصل »** ، فاز بها الإخوة والأخوات التالية أسماؤهم :

من **المملكة العربية السعودية** ، مكة المكرمة - الأخت (**خديجة سعيد مسفر الغامدي**) .

من **الجزائر** ، تيبازة **42395** - السحاولة - ص . ب (٨) - الأخ (**رحيم علي**) .

من **الأردن** ، عمان - الأخت (**سناء أمين مصطفى محمود**) .

من **تونس** ، الوسلاتية - المدرسة الإبتدائية « حشاد **3120** - الأخ (**بلقاسم بن محمد العبداوي**) .

من **مصر** ، الإسكندرية - الأخت (**أمال صلاح عبدالمجيد قنديل**) .

من **المملكة العربية السعودية** ، مكة المكرمة - الأخت (**رانية عبدالله بن صادق**) .

من **المغرب** ، العيون ، سوق الزجاج - ساحة بئر انزارن رقم - **19** الأخ (**حيراش محمد بن الحسّان بن أحمد**) .

من **السودان** ، بورتسودان - الأخت (**حميدة محمد سيد أحمد**) .

من **مصر** ، القاهرة - ٩ شارع الشيخ محمد رفعت - شقة (٥) - النزهة - مصر الجديدة - الأخ (**محمد سمير يوسف نجا**) .

من **الهند** ، دلهي - **1742** غلي غنتي والي - فهاري بهوجلا - الأخ (**سيد أنوار حسين**) .

على موعد

الركعة الخامسة

دلف صاحبنا إلى مسجده ليصلّي صلاة العصر ، كان المسجد صغيراً ، يضمُّ عدّة صفوفٍ لجماعة إقتربت منازلها ، وتقاربت قلوبها ، فأصبحوا كأسرة واحدة ، يجتمعون في تآلف ، ويتجمّعون على مودّة ...

وأقيمت الصلاة ، وانتظمت الصفوف ، وكبّر الإمام ، وشرع في صلاته ، ومن خلفة جموع المصلّين ، وركع الإمام الركعة الرابعة ، ثم سجد ، وبعد السجود قام سهواً .

وتعالت أصوات بعض المصلّين « سبحان الله ، سبحان الله » ولكن الإمام مضىٰ في صلاته ، مؤدياً ركعة خامسة ، وجلس بعد الركوع والسجود للتشهّد ، ثم سجد سجدتي السّهْو وسلّم .

وبعد الاستغفار والتسبيح ، قال صاحبنا موجِّهاً حديثة للمصلّين : « من كان منكم على يقينٍ من سهو الإمام وتابعة في الركعة الخامسه ، فيلزمة القضاء » ، أي عليه أن يعيد صلاته .

واعترض مصلٍ آخر قائلاً : « ماجُعل الإمام إلاّ ليؤتمّ به » ، وتعالت الأصوات بين مؤيّدٍ ومعارض .. والإمام – سامحه الله – لم يكن على درجة من الفقه تؤهّله للبتّ فى اختلاف الرأي ، وهو لو كان لما تابع في أداء ركعة خامسة ، ولتنبّه عندما قيل له « سبحان الله » ولجلس للتشهدّ ، وهو لو كان لأيّد قول صاحبنا أن صلاة العصر أربع ركعات ، فمن جاء بركعة خامسة وهو متيقّن ، فيلزمة القضاء .

وحضرت مرّة صلاة جمعة في جامع كبير ، وعندما أقيمت الصلاة ، قرأ الإمام في الركعة الأولىٰ بعد الفاتحة ، سورة العلق ، وأصغىٰ المصلّون لقراءته حتى وصل إلى قوله تعالىٰ « كلاّ لاتُطعه واسجد واقترب » وكبر إيذاناً بالركوع ، وظنّ كثيرٌ من المصلّين أن الإمام سجد سجود التّلاوة ، فسجدوا ، ولكنهم تبيّنوا خطأهم عندما رفع الإمام قائلاً « سمع الله لمن حمده » ، فتابعوا مع الإمام ، وعندما سلّم ، سجد بعضهم سجود السهو – إجتهاداً منهم – ثم سلّموا .. رغم أنهم أخلّوا بركن .. ذلك أن من سجد منهم على تغليب الظّن أن الإمام سجد سجود التلاوة ، فقد فاتته الركعة الأولىٰ من ركعتي الجمعة ، وعليه – بعد تسليم الإمام – أن يأتي بالركعة التي فاتته ، كما أن على الإمام أن يتابع القراءة ، فيقرأ سورة القدر ، وهي التي بعد سورة العلق ، حتى لايفوّت على بعض المصلّين ركعة من ركعتي الجمعة ، بمعنى أن على الإمام أن يتنبّه أن بعض المصلّين البعيدين عن الإمام سيظنون أن الإمام سجد سجود التلاوة ، فيتابعوه ظناً » فما أحرى به أن يتابع القراءة بعد السجدة بآية أو آيتين ..

هذه أشياء صغيره ، تحدث في حياتنا ، وهي مهمّة ، وبعضُ منا يجهل حكمها ، وتحتاج إلى تذكير ، وتحتاج إلى تنبيه ، حبّذا لو تناول هذه وأمثالها الأئمة ورجال الوعظ ، تذكيراً للناس ، وتبصيراً للأمة .

والله من وراء القصد ،،

عبدالقادر بن عبدالحي كمال